





مذكرات طالب

مكتبة 441

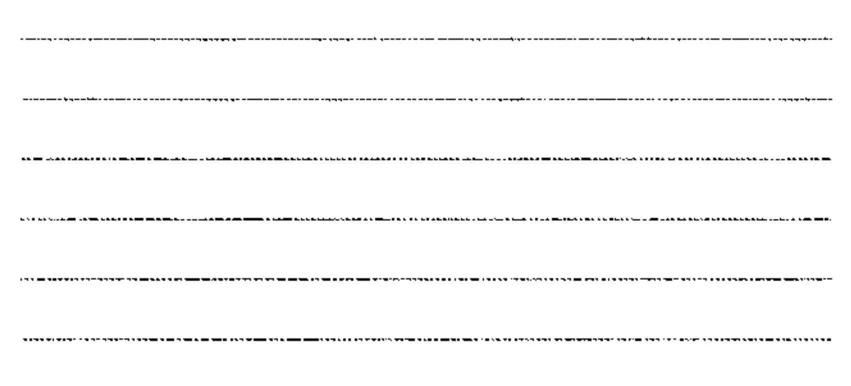
رحلة الأحلام

الكتاب ١٣





جيف كيني



أهم جروبات علي تليجرام

باحثون

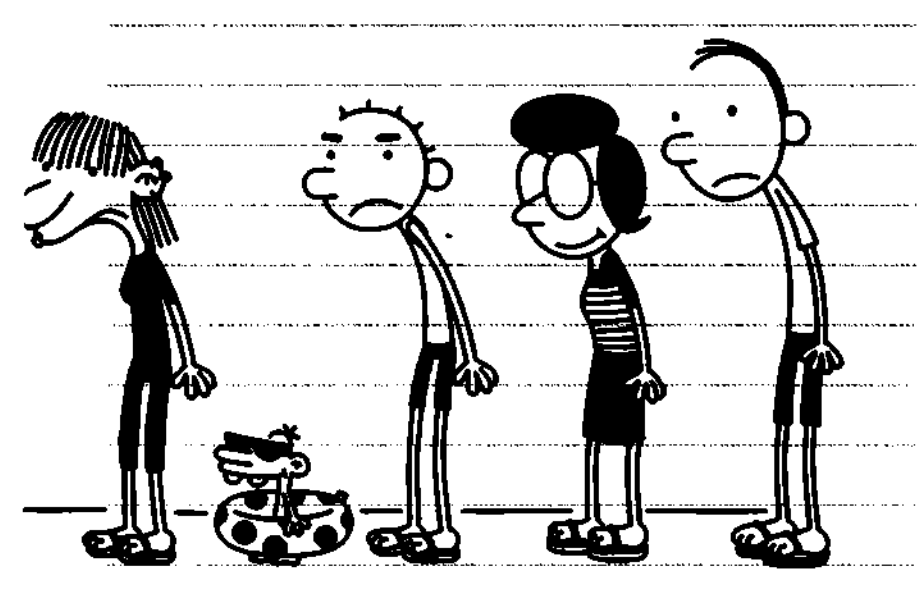
هنا سور الازبكية

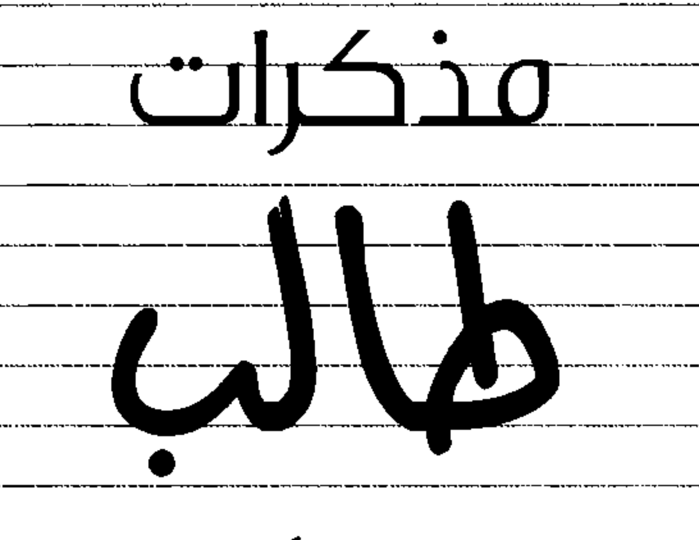
غواص في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية و الفنية

سلسلة مذكرات طالب

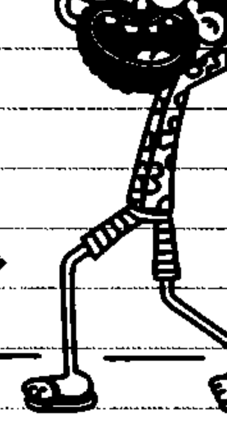
1. مذكرات طالب
2. قوانين الأخ الأكبر
3. القشّة الأخيرة
4. أيّام الكلاب
5. الحقيقة المُرّة
6. جنون المنزل
7. العجلة الثالثة
8. الحظّ العاثر
9. الرحلة الشاقة
10. أيّام زمان
11. الخطة الفاشلة
12. بقلمك أنت

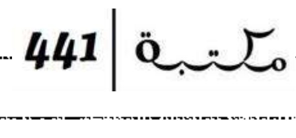




رحلة الأحلام

بقلم جيف كيني









الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
DIARY OF A WIMPY KID: THE GETAWAY
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Wimpy Kid, Inc.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

First published in the English language in 2014
By Amulet Books, an imprint of Harry N. Abrams, Inc., New York
Original English title: Diary of a Wimpy The Long Haul

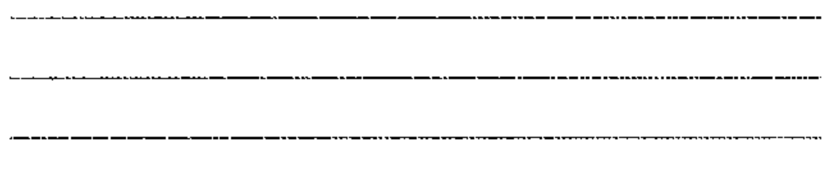


1440 هـ - 2018 م

ردمك 978-614-01-2610-7




عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 1102-2050 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



أهم جروبات علي تليجرام

باحثون

هنا سور الأزبكية

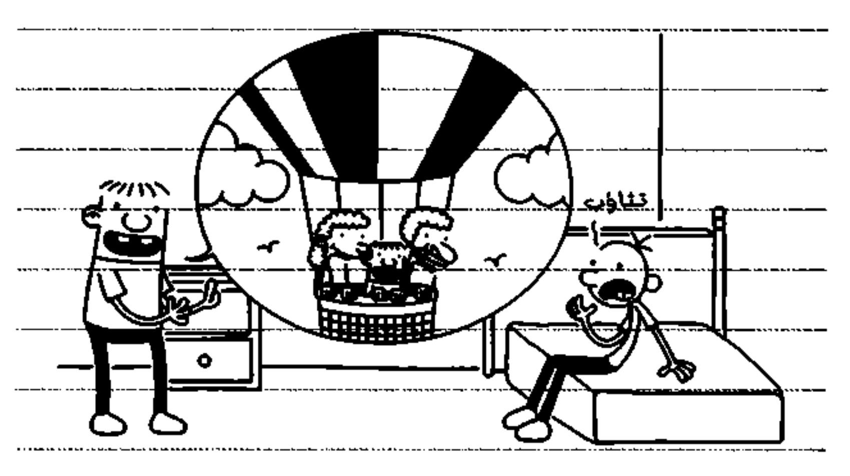
غواص في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية و الفنية

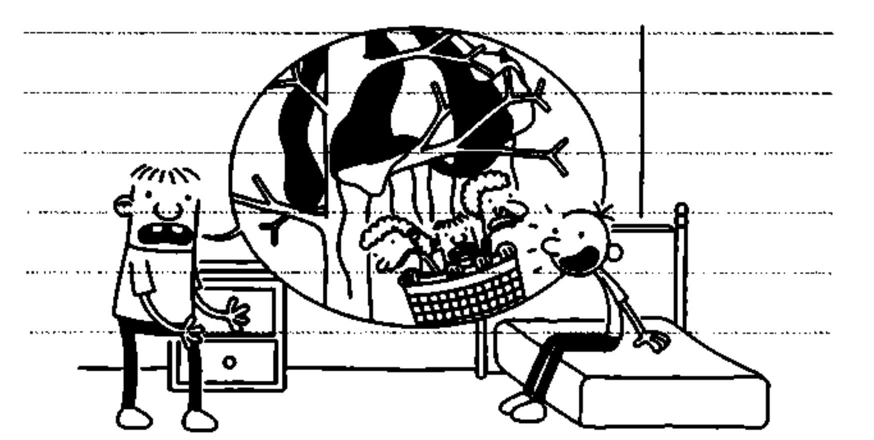
ديسمبر

الأحد

أسوأ ما في الأمر، حين يخبركم شخص ما عن رحلة قام بها في عطلته، أن تحاولوا الادعاء أنكم مسرورون من أجله، لأنه ما من أحد يحب أن يسمع عن أوقات ممتعة لم يشارك فيها.



الرحلات الوحيدة التي أحب السماع عنها هي تلك التي ساءت فيها الأمور. فهكذا لا أشعر أنه فاتني شيء.



في الحقيقة، عدت مع أسرتي للتو من رحلة كهذه. وصدقوني، لو كنت أملك الخيار، لبقيت في البيت. لكن لم يكن بيدي حيلة.

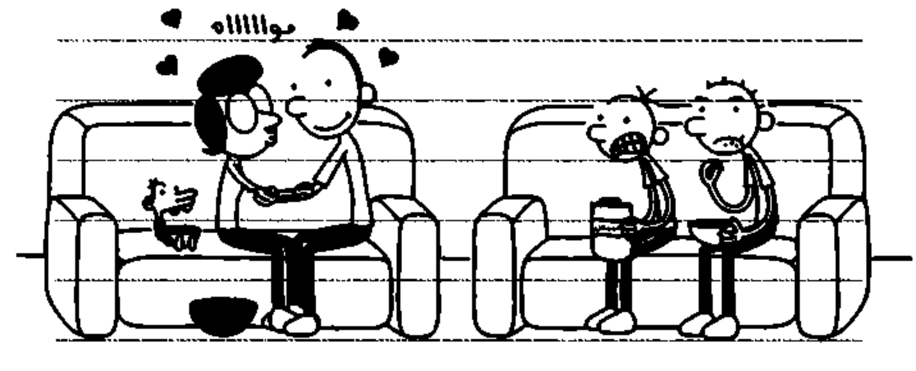
منذ بضعة أسابيع خلت، لم تكن هذه الرحلة متوقعة أساساً. فقد كنا نمضي فترة عادية في شهر ديسمبر، وكنت انتظر العيد بشوق.

غير أن الأجواء توترت كثيراً بين والدي بسبب كل الاستعدادات التي تسبق العطلة. فقد تأخرنا كثيراً في تزيين المنزل، ولم تكن الأمور تسير كما ينبغي.

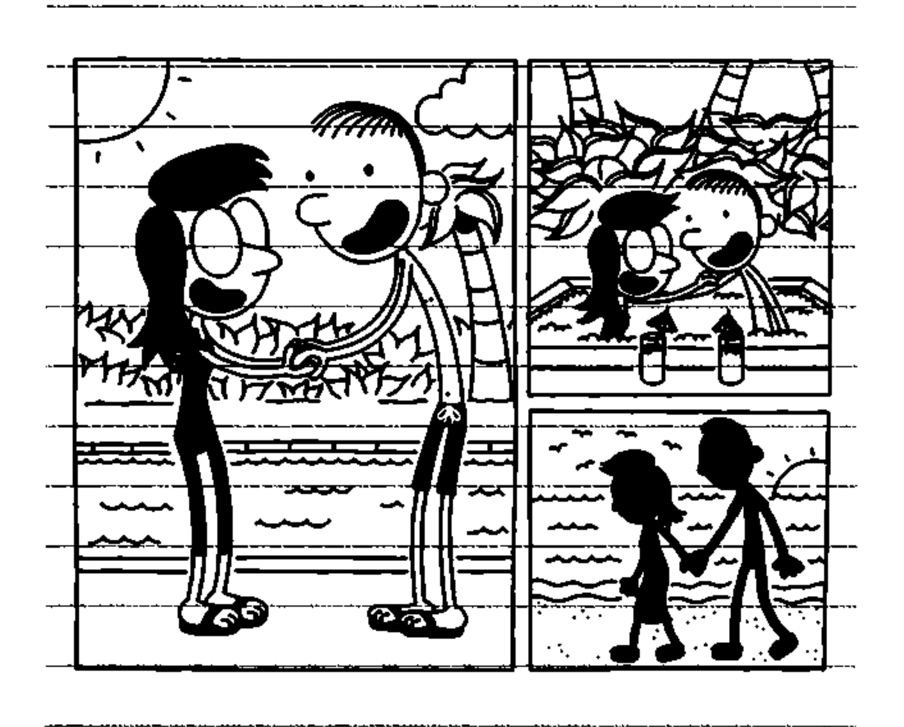
أنا واثق أننا كنا سننجز التجهيزات كلها قبل العيد. لكن في إحدى الأمسيات، ظهر إعلان على التلفزيون قلب عطلتنا رأساً على عقب.



كان الإعلان يتناول جزيرة تسمى جزيرة المرجان، وهو المكان الذي أمضى فيه والداي شهر العسل. عرفت ذلك لأنه كلما ظهر الإعلان على التلفاز، تتأجج عواطفهما.

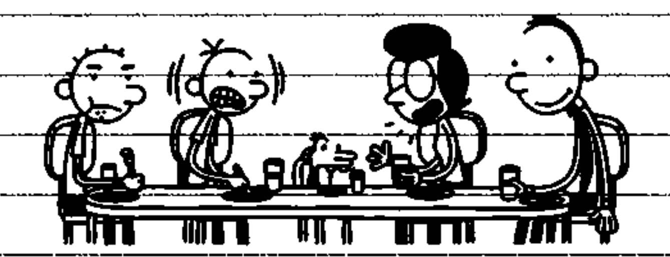


يزعجني التفكير بأمي وأبي قبل إنجابنا نحن الأولاد. وما كنت لأضطر لذلك لو أنهما لا يُخرجان ألبوم شهر العسل كل عام في ذكرى زواجهما.



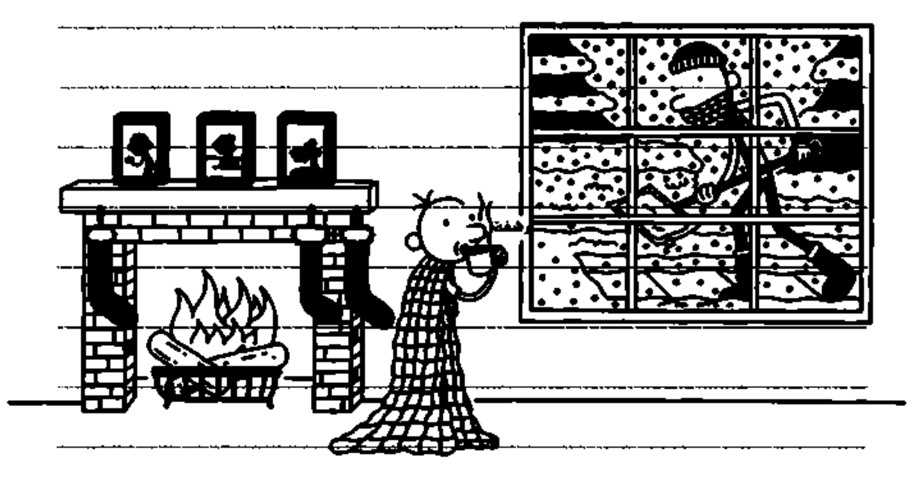
في تلك الليلة بعد مشاهدة الإعلان، زفّ لنا والداي خبراً. قالا إننا هذا العام لن نمضي الإجازة هنا، بل سنسافر جميعنا إلى جزيرة المرجان.

وعندما سألتهما كيف سننقل هدايانا إلى المنتجع، قالت أمي إن الرحلة هي هديتنا.

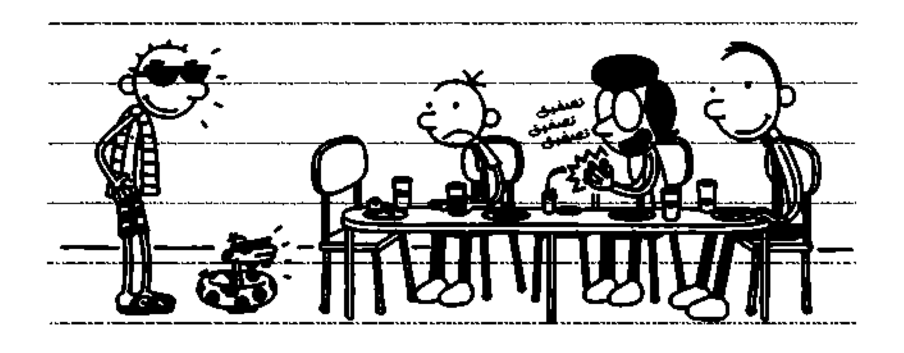


برأيي، كانت تلك الفكرة رهيبة، وما فاجأني أنّ أبي لم يعترض عليها. فهو عادة لا يحبّ إنفاق كثير من المال، وأنا واثق أنّ هذا المنتجع سيتقاضى منّا ثروة. غير أنّه قال إنّه سئم الطقس البارد، ويريد الفرار إلى مكان أكثر دفئاً.

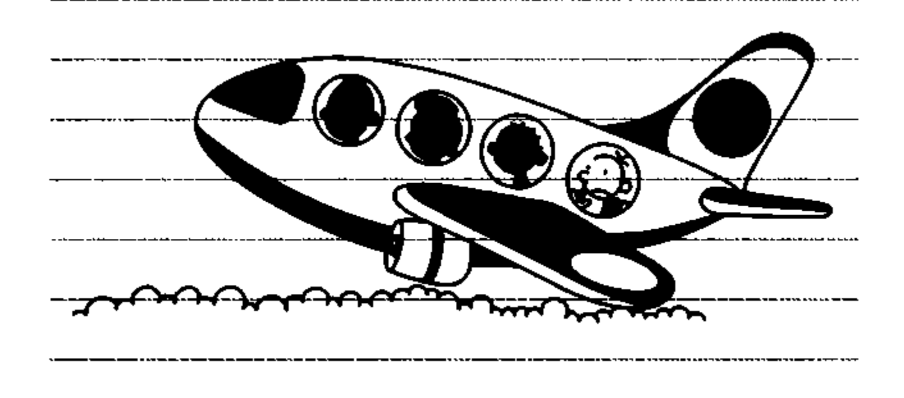
شخصياً، لا يزعجني الطقس البارد. لا بل في الواقع، وبشكل عام، كلّما ساء الطقس في الخارج، كنت أكثر سعادة.



ظننت أن ماني ورودريك سيساعدانني لإقناع أمي وأبي بالعدول عن فكرتهما. لكنهما لم يدعماني إطلاقاً.



هكذا كان علي أن أتقبل فكرة تمضية عطلة عيد غير عادية خارج المدينة. لكن ما أزعجني حقاً أنه كان علينا السفر إلى ذلك المكان جواً. فأنا لم أركب الطائرة من قبل، ولم أكن متشوقاً لأحبس نفسي في أنبوب معدني.



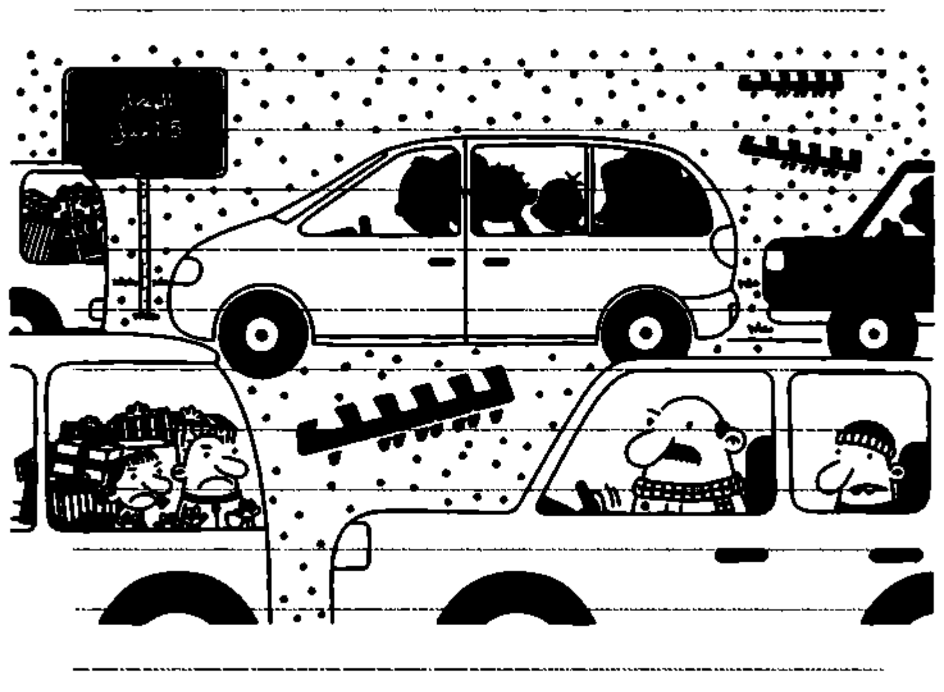
لم يشعر أحد غيري بالقلق على ما يبدو. وبعد أسبوعين، عوضاً عن تعليق جواربنا والجلوس حول الموقد لمشاهدة برامج العيد، أمضينا الليلة في حزم حقائبنا للسفر إلى تلك الجزيرة.

الاثنين

تركنا المنزل نحو الساعة الثامنة صباحاً عشية الميلاد. كان أبي متوتراً جداً لأنه أراد المغادرة قبل ساعة، لكن أمي اعترضت قائلة إننا سنصل إلى المطار في الوقت المحدد.

كان البرد قارساً في الخارج، لكن رودريك ارتدى ملابس العطلة منذ الآن.

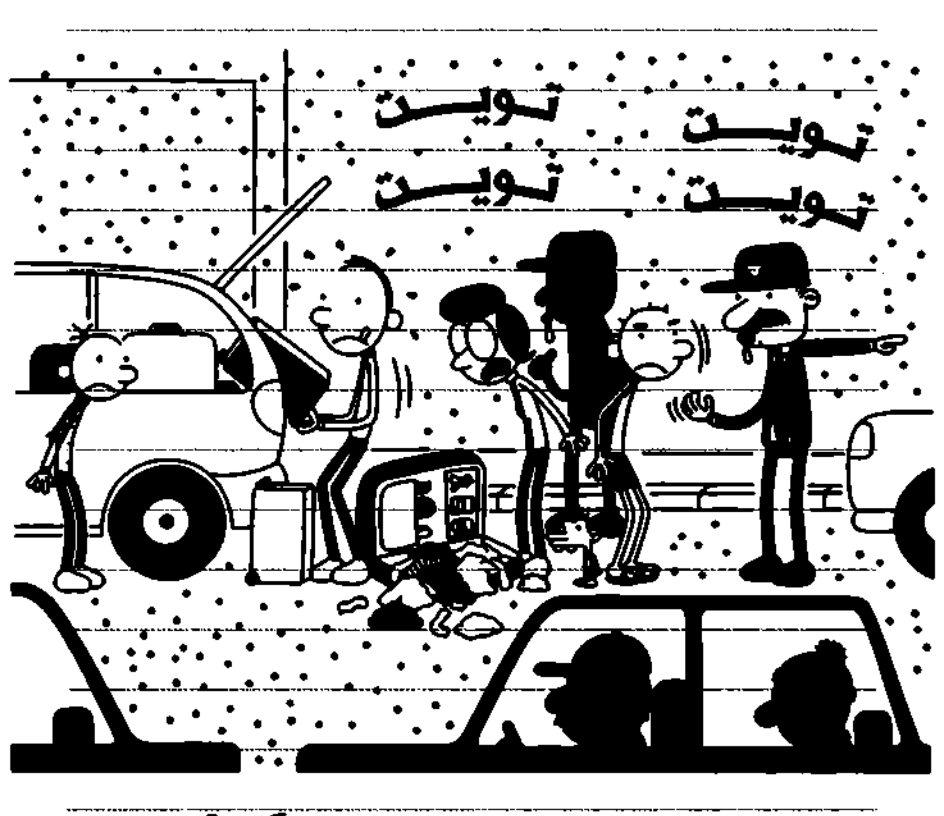
تبين أن أبي على حق، إذ كان يجدر بنا مغادرة المنزل في ساعة أبكر. فكما يبدو، كانت عشية العيد من أكثر أيام العام ازدحاماً، والطرقات تغص بالأسر التي خرجت لتمضية الليلة لدى أقاربها. ولم يكن الناس يتحلون حقاً بروح العيد.



ازدادت الأمور سوءاً حين بدأ الثلج يتساقط. بعد ذلك، أصبح السير بطيئاً جداً. أخذ والداي يتشاجران حول الوقت الذي كان يجدر بنا أن نغادر فيه، وأوشك أبي على تفويت المنعطف المؤدي إلى المطار. فاضطر لتجاوز ثلاثة خطوط سير، وهو أمر لم يكن سهلاً.

عندما وصلنا إلى المطار، كان المرأب الرئيس ممتلئاً. فاضطررنا لركن السيارة في المرأب التوفيري، الذي كان بعيداً جداً. قال أبي إنه سينزلنا جميعاً مع الأمتعة ثم ينضم إلينا بعد ركن السيارة.

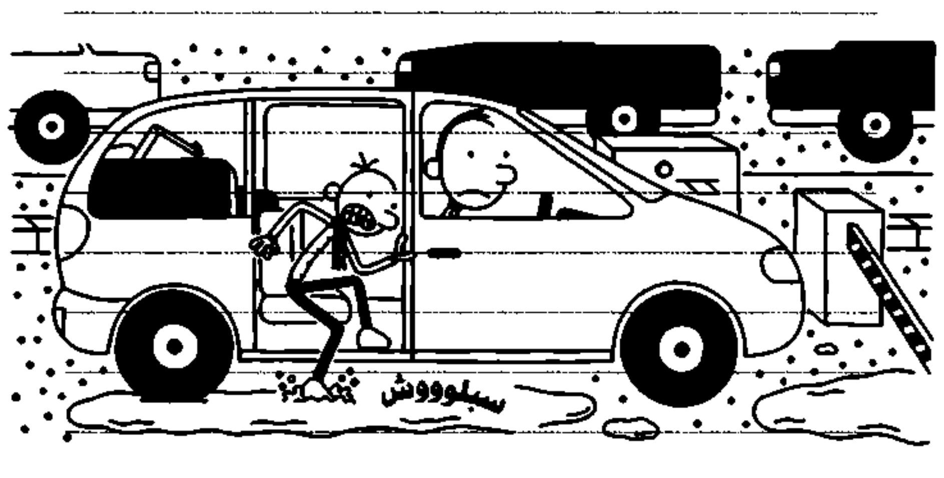
عندما وصلنا إلى مكان نزول المسافرين، وجدناه في فوضى عارمة. حاولنا إنزال حقائبنا، لكن رجال الشرطة لم يسمحوا لأحد بالتوقف لأكثر من ثلاثين ثانية. وهذا ما وتّر الأجواء وجعل الأمور أكثر سوءاً.



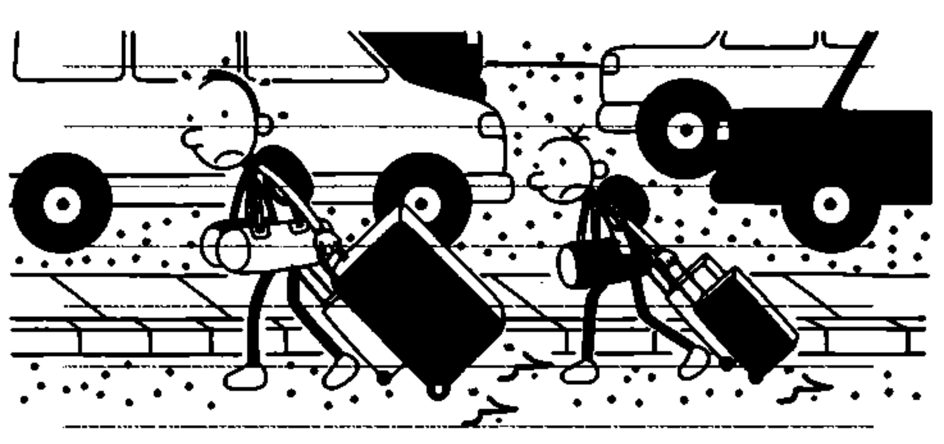
اضطررت للعودة إلى السيارة لمساعدة أبي في إنزال بقية الحقائب. فعادة، يتولى رودريك هذا النوع من المهمات. لكن بما أنه يرتدي ملابس صيفية، فقد أفلت منها هذه المرة.

وكان ذلك من حظه. فحين وصلنا إلى بوابة المرأب، لم يستطع أبي أن يطال البطاقة من نافذته. لذا، طلب مني النزول من السيارة لإحضارها.

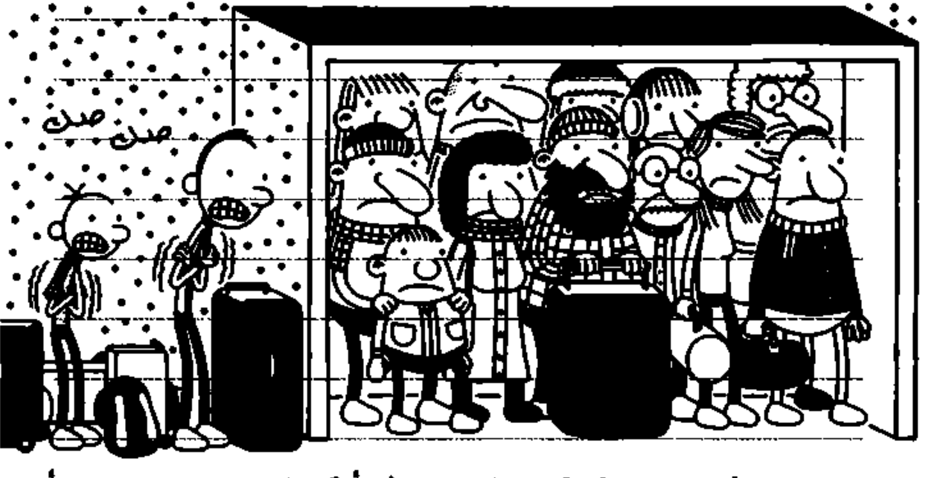
ولسوء الحظ، لم ألاحظ وجود بركة وحول كبيرة من جانبي من السيارة إلا بعد فوات الأوان.



بعدما ركنا السيارة، دفعنا حقائبنا إلى أقرب محطة باص داخلي، ولم يكن ذلك ممتعاً.



بحسب اللائحة، كان الباص يمر لنقل المسافرين إلى داخل المطار كل عشر دقائق. لكننا لم نجد متسعاً لنا تحت مظلة الباص، لذلك اضطررنا للانتظار في الخارج في البرد القارس.



مرت عشرون دقيقة ولم يصل أي باص. وحين بدا أبي يتوتر حقاً بشأن الوقت، قرر الذهاب إلى مبنى المطار سيراً على الأقدام، مع أنه كان يبعد مسافة ميل تقريباً.

فكّرتُ في إقناع أبي بالانتظار قليلاً، لكن جواربي أصبحت باردة كالجليد وخفت أن أصاب بلسعة صقيع.

ما إن ابتعدنا مائة قدم عن المظلّة، حتى دخل باص المرآب. فحاولنا أن نلوّح له ليتوقّف، إلا أنّه مرّ مسرعاً من أمامنا.



رحنا نجري إلى المظلّة، لكنّنا لم نصل في الوقت المناسب.

الآن، بدأ أبي يخشى حقاً أن تفوتنا الرحلة. فقلت له إن تفويت الرحلة قد لا يكون بهذا السوء، لكنه لم يكن في مزاج للإصغاء إلي.

حين وصلنا إلى المطار، كنا مبتلّين وفي حالة مزرية.
لذلك عندما مرت بنا شاحنة وكادت أن تدهسنا،
جن جنون أبي وعبّر عن غضبه.

فجن جنون السائق، الذي أوقف شاحنته وترجّل
منها.

غير أننا لم نقف في مكاننا طويلاً لحل المشكلة، بل هربنا بالاتجاه المعاكس واختلطنا ببعض الأشخاص الواقفين على الرصيف إلى أن خلت الساحة.

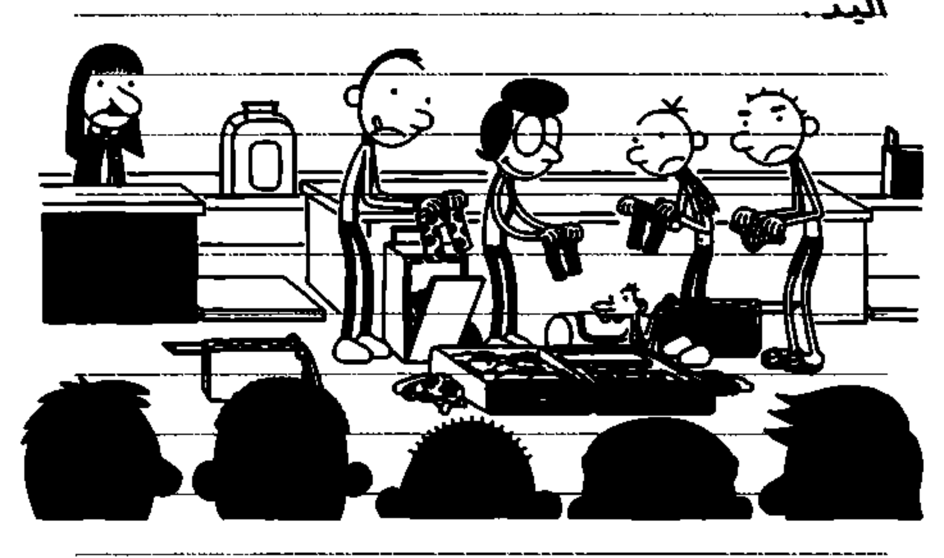


قال أبي: علي أن أتعلم من هذه الحادثة ألا أفقد أعصابي وارتكب الحماقات. غير أنني استخلصت منها درساً مختلفاً: عندما يقع آل هيفلي في المشاكل، فإنهم يلوذون بالفرار.

كان بقية أفراد الأسرة ينتظرون في مدخل المطار. سألتنا أمي لماذا تأخرنا إلى هذا الحد، وسألها أبي لماذا لم تحجز مكاناً في الصف مع ماني ورودريك.

استغرقنا عشرين دقيقة في صف تسجيل الوصول. لكن عندما وضع أبي حقيبتنا الكبيرة على الميزان، قالت الموظفة إنها ثقيلة جداً، وإن إدخالها سيكلفنا مبلغاً إضافياً من المال.

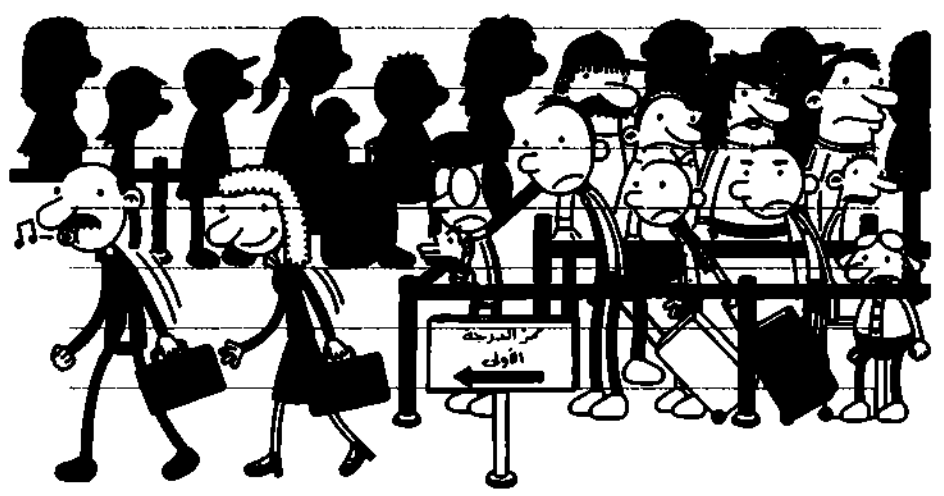
فقال أبي إن شركة الطيران نهبتنا أساساً، وإننا لن نعطيهم قرشاً إضافياً واحداً. لذلك أفرغنا بعض الملابس من الحقيبة وحشوناها في حقائب اليد.



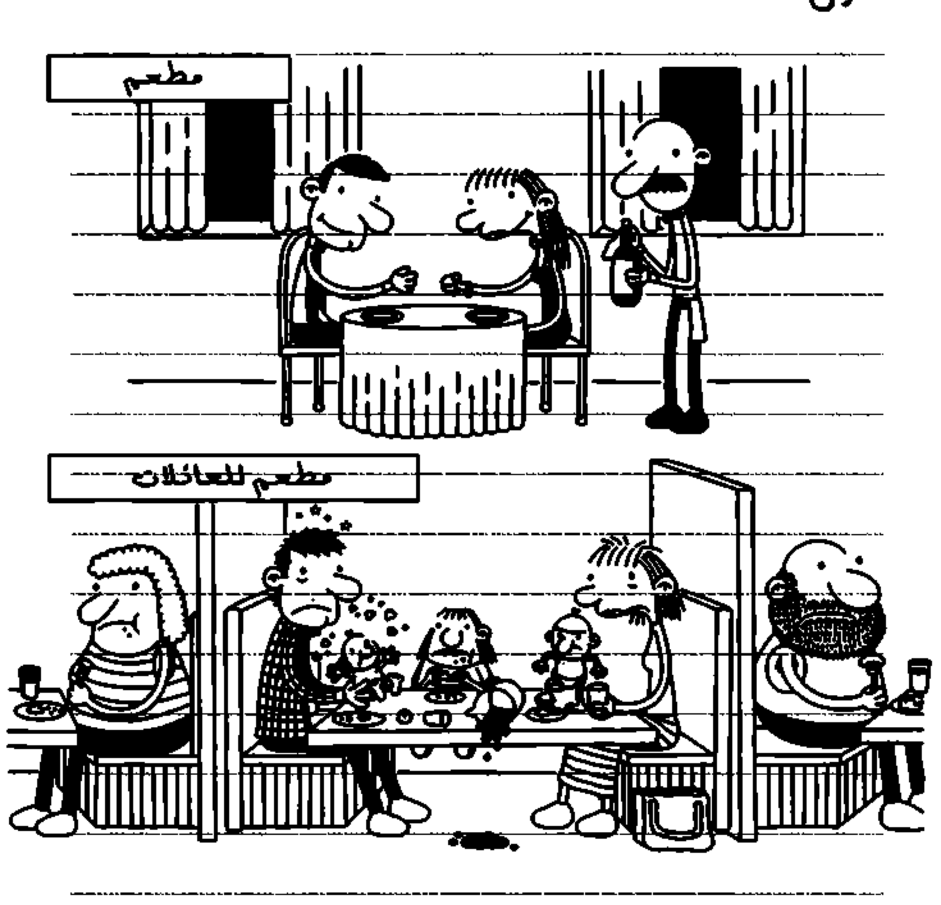
بعدما أنهينا كل الإجراءات، تبقى لدينا نصف ساعة للتوجه إلى بوابتنا قبل الصعود إلى الطائرة. فوصلنا إلى منطقة الأمن العام، لنجد أمامنا ازدحاماً خانقاً.

كان ثمة ممران، واحد للعائلات والآخر لمسافري الدرجة الأولى.

أظن أن أبي يسلك عادة ممر الدرجة الأولى عندما يسافر للعمل، لذلك بدا مستاءً من اضطراره للانتظار معنا في ممر العائلات.



في الحقيقة، كلما أضفت كلمة «عائلات» إلى شيء ما، تسوء الأمور حتماً. ثقوا بي، فقد دخلت ما فيه الكفاية إلى مطاعم العائلات وأعرف بالضبط ما أقول.



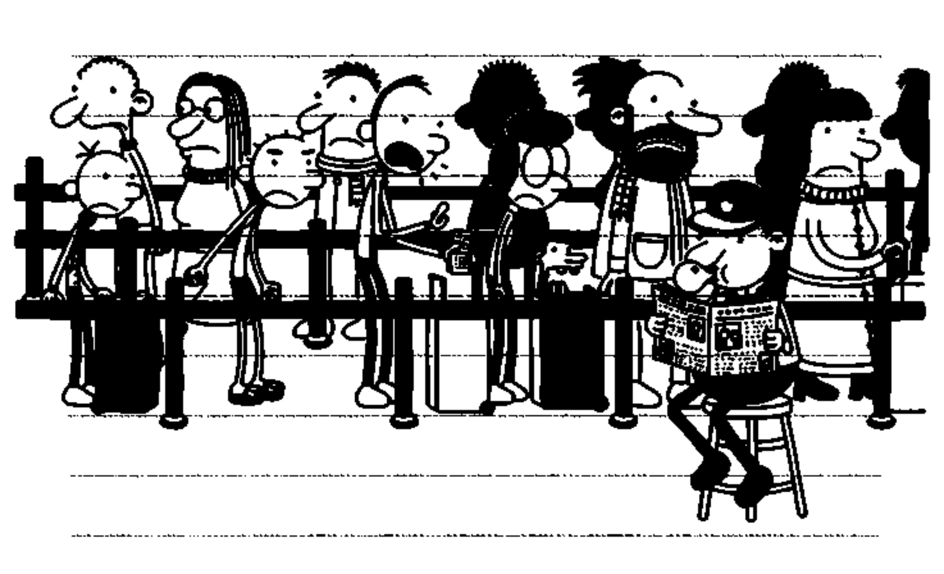
انتظرنا في ممر الأمن العام طويلاً، إلى أن حان دورنا أخيراً. لكن طفلاً يقف خلفنا بعدة صفوف أخذ يضغط على أزرار الأعمدة التي تثبت الحواجز.

فجأة، اختفت الخطوط الفاصلة. وللحظة، لم يتحرك أحد من مكانه.

ثم عمت الفوضى.

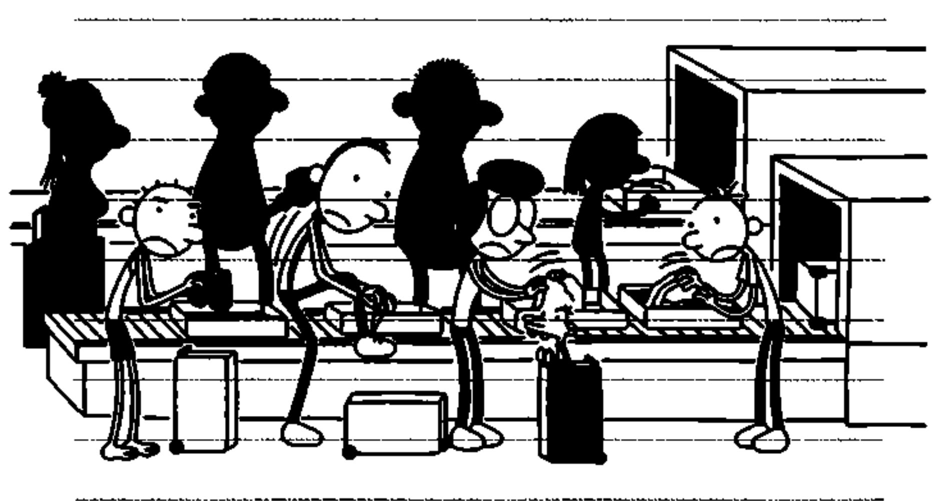
عندما أعاد رجال الأمن وصل الحواجز، وجدنا أنفسنا في آخر الصف مجدداً. أما أسرة الولد الذي تسبّب بالحادثة فأصبحت في المقدمة.

توتّر والداي كثيراً لأنّ طائرتنا كانت ستقلع في أيّ لحظة. فتوسّل أبي لأحد رجال الأمن ليسمح لنا بالمرور أولاً لكنه لم يبدِ أيّ تعاطف.

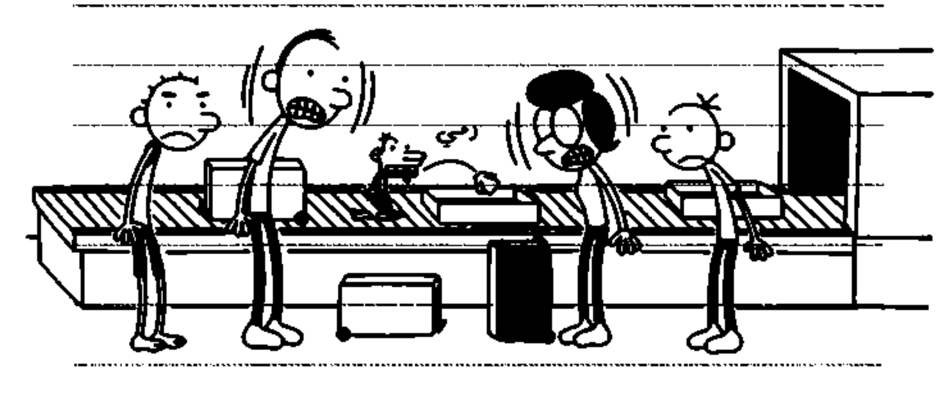


ظننت أننا فوّتنا رحلتنا، ولم أفهم ما الجدوى من عبور نقطة الأمن العام. لكنّ أبي قال إنهم يتركون البوابة مفتوحة أحياناً حتى اللحظة الأخيرة، وقد نتمكّن من اللحاق بالطائرة.

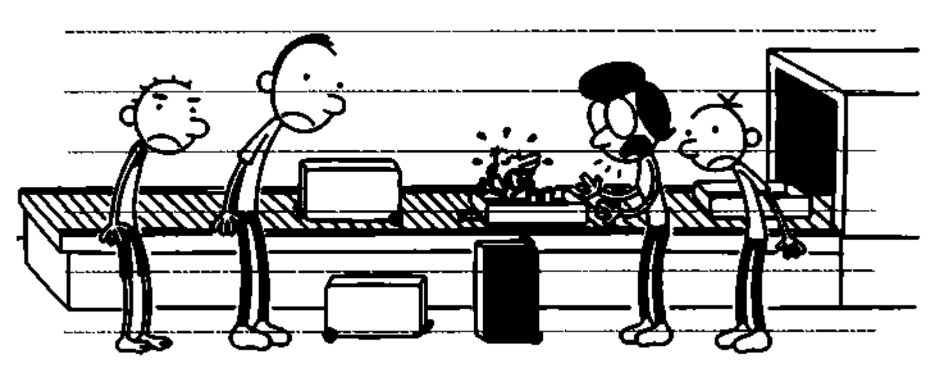
اخيراً حان دورنا ووضعنا حقائبنا على الحزام الناقل. ثم خلعنا معاطفنا وأحذيتنا ووضعناها في علب بلاستيكية.



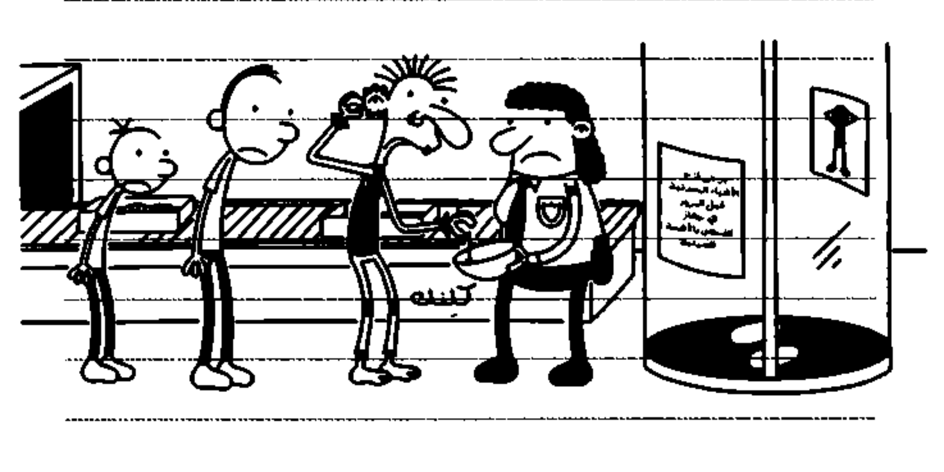
رأى ماني ما نفعله، فبدأ يخلع ملابسه هو الآخر. ولحسن الحظ، رأته أمي في الوقت المناسب واستدركت الأمر قبل أن ينهي ما بداه.



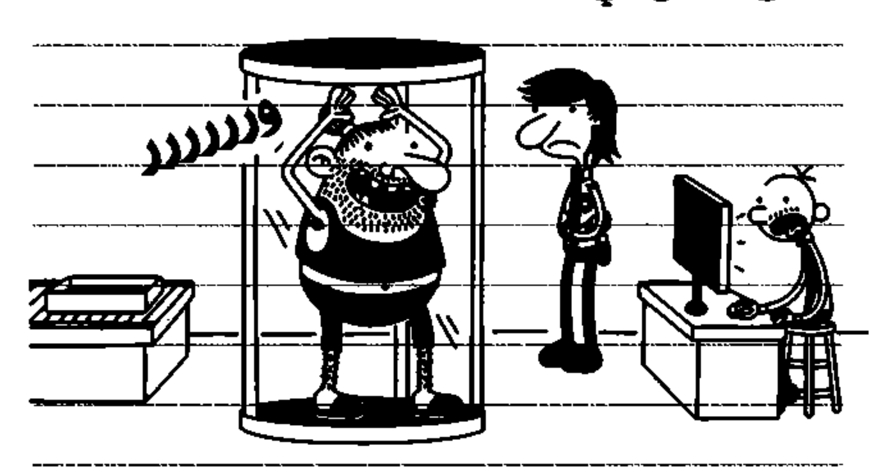
غير أنّ مشاكل ماني لم تنتهِ عند هذا الحدّ. فقد ظنّ على ما يبدو أنّ الحزام الناقل كان لعبة، وابتأس كثيراً عندما اكتشف العكس.



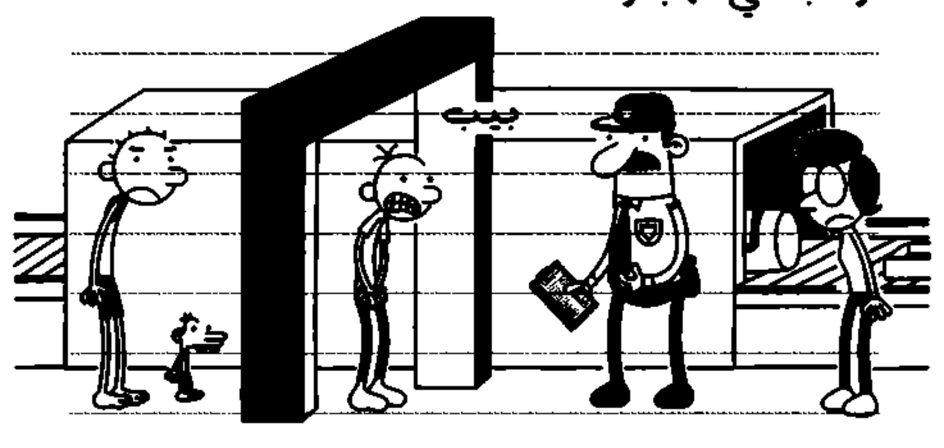
بدأ الناس خلفنا يتململون، لكنّ الشابّ الواقف أمامنا كان هو المسؤول عن التأخير. فقد اضطرّ إلى نزع كلّ الأشياء المعدنية التي يضعها، الأمر الذي استغرق منه دهراً.



قال لي رودريك إن هذه الآلات تكشف ما يوجد تحت الملابس، وثمة من يتحقق من الشاشة للتأكد أننا لا نحاول تهريب أشياء خطرة. كل ما أعرفه أنني لا أتمنى العمل في وظيفة كهذه.

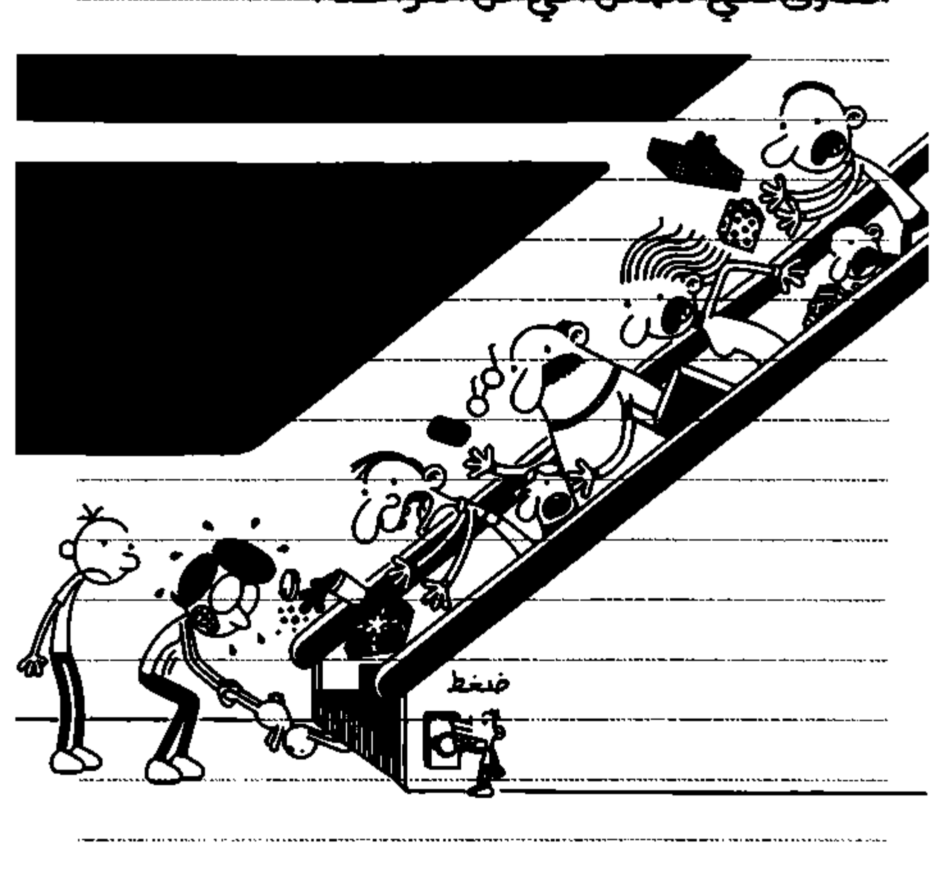


تبين أن جهاز الأشعة السينية الذي يكشف ما يوجد تحت الملابس مخصص للكبار فقط، وأن الأولاد يمرون عبر كاشف معدني وحسب. مع ذلك، لم أرغب في المجازفة.

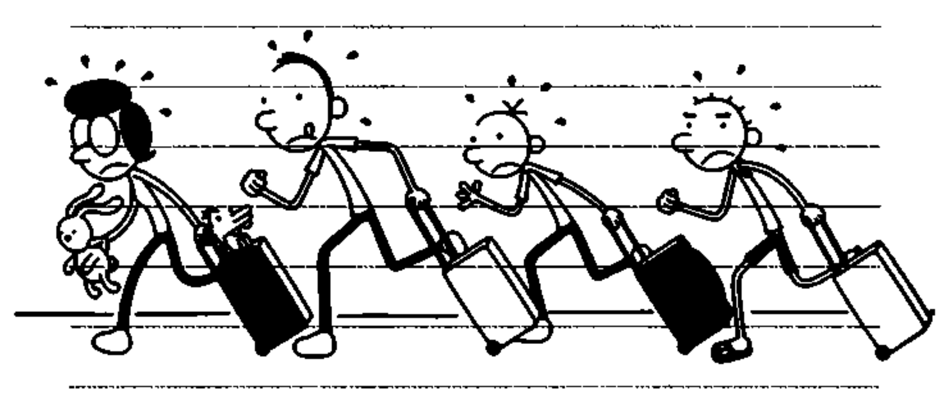


ما إن عبرنا نقطة الأمن العام، حتى أخذنا أغراضنا عن الحزام الناقل وانطلقنا. كانت بوابتنا في الطابق السفلي، وكان علينا النزول على السلّم الكهربائي.

حتى هذا الأمر لم نستطع إتمامه من دون التسبّب بمشكلة كبيرة. فقد علقت دمية ماني في أسفل السلّم، الأمر الذي اضطرّه إلى الضغط على زرّ التوقّف الطارئ لكي تتمكّن أمّي من انتزاعها.

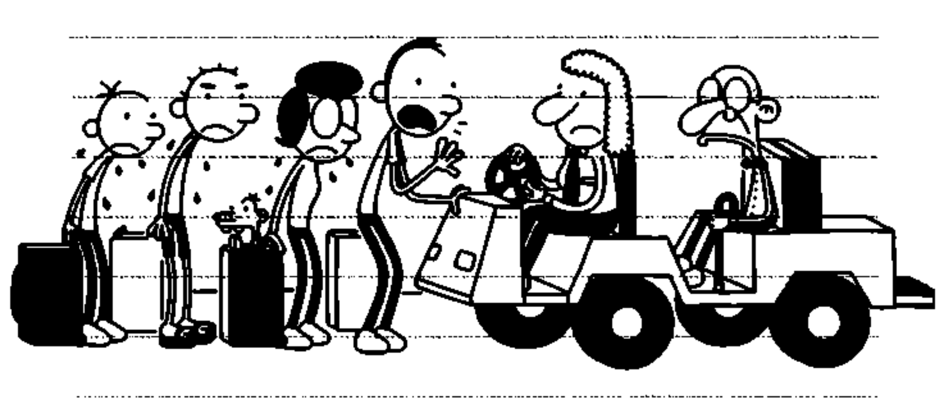


تحقق أبي من ساعته وقال إنه ما زال بإمكاننا اللحاق بالطائرة، فأخذنا نجري بأقصى سرعتنا.

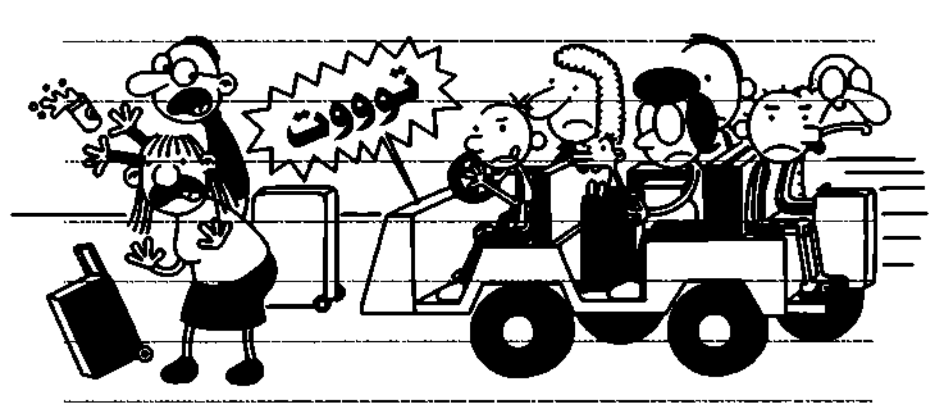


لكن البوابة كانت في الطرف الآخر من المطار، وأدركنا أننا لن نتمكن من الوصول سيراً على الأقدام.

في تلك اللحظة، مرّت عربة مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة. فأوقفها أبي وسأل السائقة ما إذا كانت تسمح بإيصالنا. غير أننا ركبنا العربة قبل أن تتمكن من الرفض.



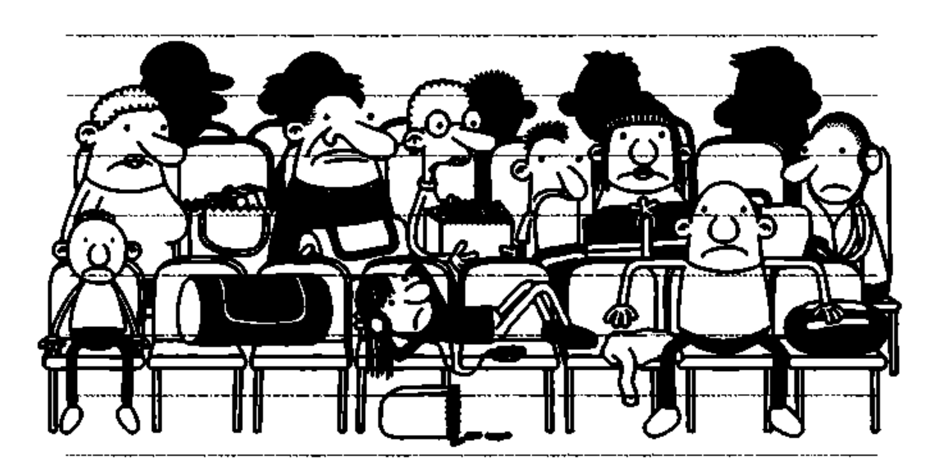
كانت رحلتنا بالعربة سلِسة. صحيح أن المطار مزدحم، لكن الناس كانوا يبتعدون عن طريقنا فور سماعنا.



أنزلتنا السائقة عند بوابتنا، لكننا وجدناها مغلقة. فظننتُ أننا فوّتنا الرحلة وبات بإمكاننا العودة والاستمتاع بليلة ميلاد هادئة في البيت. لكن تبين أن الرحلة تأخرت، وذهب كل هذا التوتر سدىً.



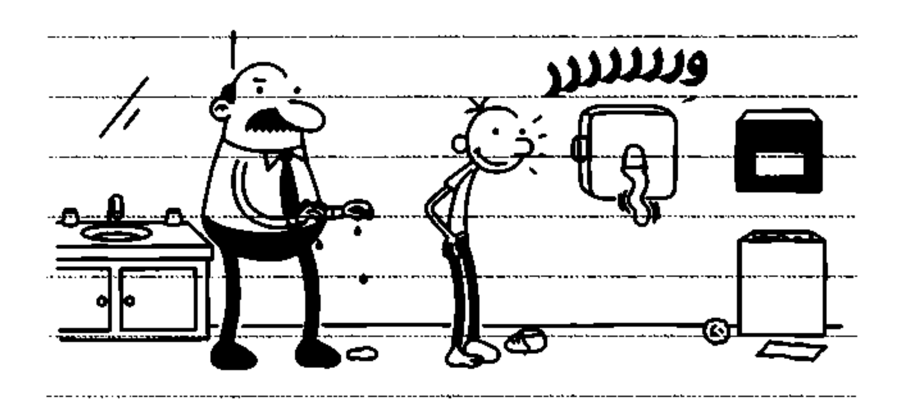
كان تأخر الرحلة ناتجاً عن سوء الأحوال الجوية. وبالتالي، علينا الانتظار لساعة أخرى قبل الصعود إلى الطائرة. فبحثنا عن مكان نجلس فيه، لكن الناس استولوا على جميع المقاعد.



قالت أمي إنه بعد صعودنا على متن الطائرة، سنمضي نحو ست ساعات في الجو، وكان هذا الخبر جديداً بالنسبة إلي. فطلبت منها بعض المال، واشتريت عدداً من المجلات وبعض الوجبات الخفيفة، فضلاً عن سماعات من متجر بالقرب من بوابتنا.

الشيء الوحيد الذي كنت أحتاج إليه ولم أجده في المتجر كان الجوارب. ففردة جوربي اليمنى لا تزال مبتلة بعدما دست في تلك البركة الموحلة، لذلك ذهبت إلى الحمام لأعصرها فوق المغسلة.

على الرغم من ذلك، بقيت رطبة، ولم أرغب في انتعالها مجدداً. غير أن الحمام كان يحتوي على جهاز قوي لتجفيف اليدين، فخطرت ببالي فكرة.



أردت حقاً العودة إلى البيت لكي أبدأ بكسب المال من تلك الفكرة. فأنا أظن أنني سأجني ثروة في الأيام الممطرة.

المشكلة الوحيدة في مجفف حمام المطار أنه كان قوياً بشكل زائد.

هكذا بدأ الدخان يتصاعد من فردة جوربي، قبل أن تطير في الهواء.



عندئذ قررتُ شراء جورب جديد عند وصولنا إلى المنتجع لأنّه من المستحيل أن أرتدي فردة جوربي بعد سقوطها في المرحاض.

عندما عدت من الحمام، سمعت إعلاناً عند بوابتنا.

حسبتهم يعلنون أننا نستطيع الصعود على متن الطائرة، لكنهم كانوا يبلغوننا بتأخير آخر.

استمر الحال على هذا المنوال لبقية اليوم. فعلى ما يبدو، سببت العاصفة مشاكل في كل مكان، وكانت الطائرة التي يفترض أن تقلّنا عالقة في مطار آخر.

بدأت أخشى أن ينتهي شحن جهازي الإلكتروني خلال الرحلة، لذلك بحثت عن مكان لأشحنه. لكن أظن أن جميع الركّاب فكّروا بالشيء نفسه.

كان القابس الوحيد المتاح موجوداً في مكان محرج قليلاً. لكن عندما لا يتبقى في البطارية أكثر من 15 بالمئة لا يعود باليد حيلة.

أخيراً وصلت طائرتنا إلى البوابة ونهض كل الركاب. لكن إن كانت الرحلات الجوية ممتعة، فمظهر أولئك الأشخاص لا يوحي بذلك.



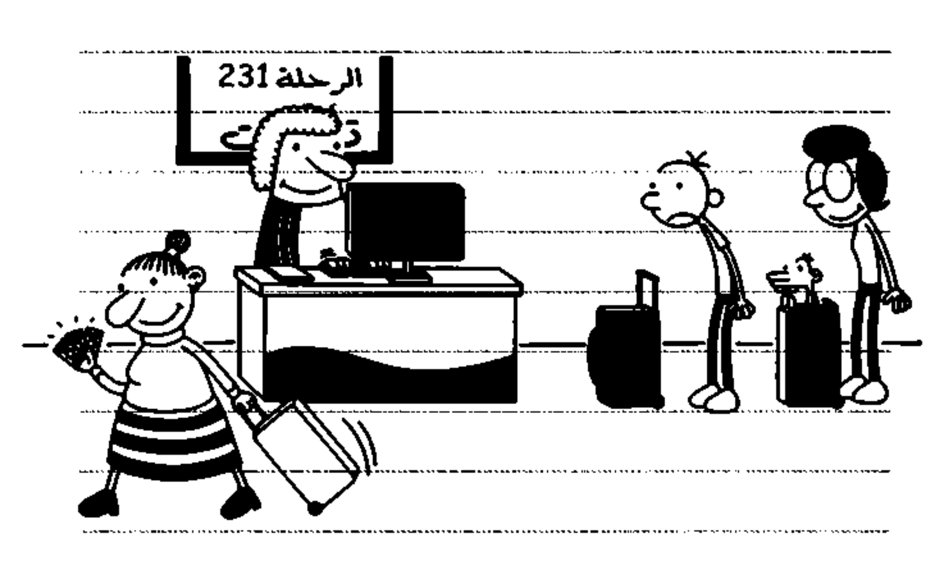
تصاعد صوت موظفة البوابة عبر مكبرات الصوت ليعلن أن الطائرة ستقلع قريباً. ثم قالت إن رحلتنا «مكتظة» وطلبت أن يتخلى بعض المتطوعين عن مقاعدهم.

أضافت أن من سيتطوع أولاً سينال ثلاثمائة دولار وسيفوز بليلة مجانية في فندق المطار.

لم أكن بحاجة إلى سماع المزيد، بل نهضت وتوجهت إلى مكتبها قبل أن تنهي إعلانها قائلاً لها إنني مستعد.

مع الأسف، لم تسمح لي أمي بالتطوع، كما أن أحداً غيري لم يفعل.

رفعت الموظفة العرض إلى خمسمائة دولار، فأتت امرأة واستولت عليه فوراً. أتمنى لها أن تنفق مالي بالهناء.



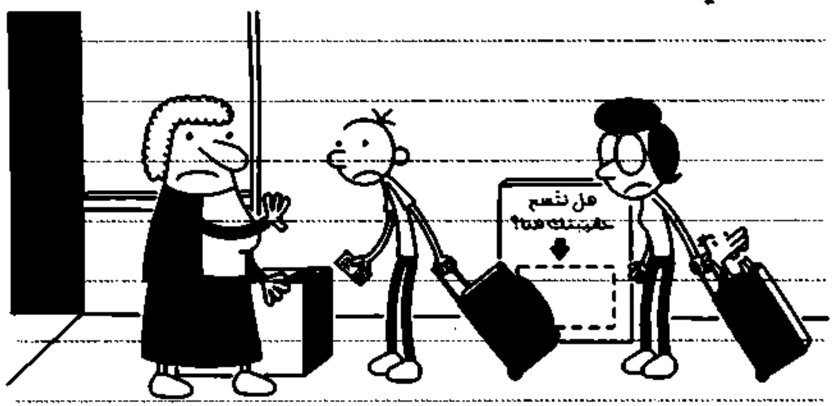
بعد ذلك، أعلنت الموظفة خبراً آخر. قالت إن طاقم الطائرة عمل لساعات طويلة بسبب التأخير، وبالتالي علينا انتظار وصول طاقم بديل قبل أن نقلع.

عندئذ ثار غضب جميع الركاب لأن الرحلة التي كان يفترض أن تكون مبكرة بدأت تتحول إلى رحلة ليلية.

حين وصل أفراد طاقم الرحلة الجديد، لم يبدُ عليهم السرور. فلا بدّ أنهم كانوا يتوقعون تمضية ليلة الميلاد في البيت، وأنا أعلم تماماً ما يشعرون به.

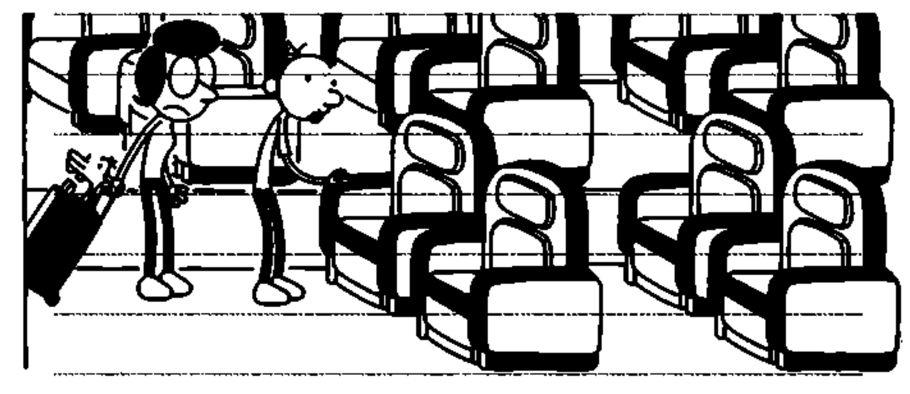


عندما أصبح الطاقم على متن الطائرة، بدأوا يسمحون للركاب بالصعود. فطلبوا من أسرتي المرور أولاً لأنهم يسمحون للأشخاص الذين يصطحبون أطفالاً صغاراً بالصعود قبل غيرهم. إلا أن الموظفة أوقفتني عند الباب.

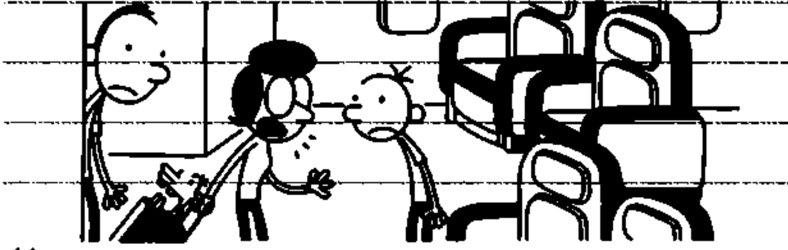


قالت إن حقيبتي اليدوية كبيرة جداً ولا تتسع في المكان المخصص لها فوق الركاب. وينبغي بالتالي أن تذهب إلى الأسفل مع بقية الحقائب. لم أمانع في ذلك لأنني لم أرغب في حمل حقيبتي على متن الطائرة أساساً.

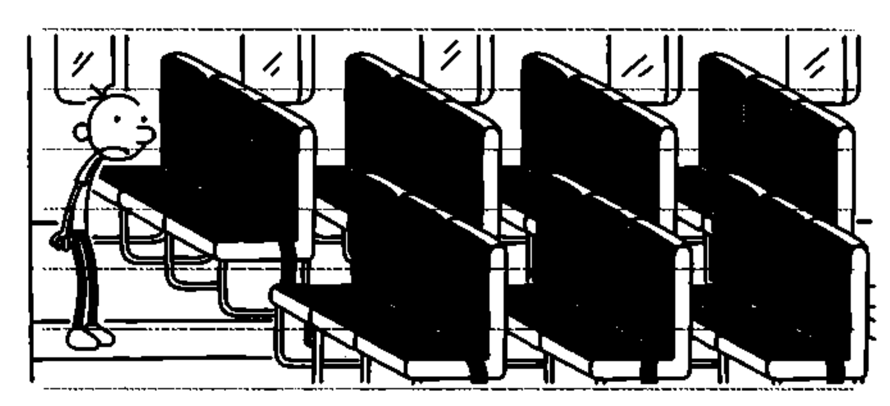
عندما صعدت إلى متن الطائرة، أُعجبت بها كثيراً. فقد كانت المقاعد أكبر بكثير مما توقعت، ومكسوة بالجلد الأصلي.



سألت أمي أين تقع مقاعدنا، فقالت إن علينا التقدم بعد. قالت إن هذه مقاعد الدرجة الأولى وإن مقاعدنا في الدرجة الاقتصادية.



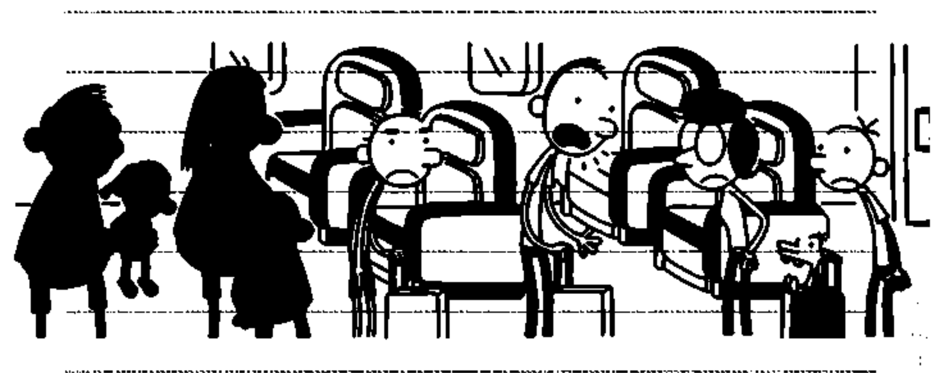
لكن مقاعد الدرجة الاقتصادية لم تكن بنصف جودة مقاعد الدرجة الأولى. فهي ملتصقة ببعضها وبلا أي مساند.



قالت أمي إن مقاعدنا في وسط الطائرة تقريباً، فتوجهنا إلى هناك. لكن أبي بقي في قسم الدرجة الأولى، وقال إنه حصل على ترقية بسبب رحلاته المتكررة، وسينضم إلينا بعد الهبوط.

لم يبدُ على أمي السرور بهذا الخبر. قالت إنه ليس من العدل أن يسافر هو بالدرجة الأولى بينما نسافر نحن بالدرجة الاقتصادية، لذلك سنتناوب على الجلوس في مقعد أبي خلال الرحلة.

اعترض أبي قائلاً إننا لسنا خبراء في السفر مثله، ولن نعرف حتى كيف نتصرف في الدرجة الأولى.

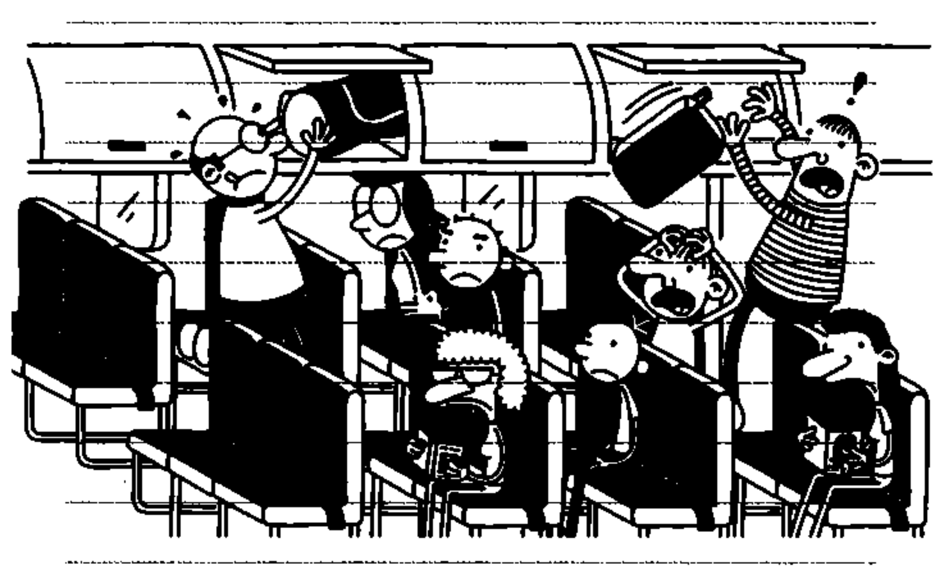


لحسن الحظ، كان ثمة مسافرون آخرون يحاولون الصعود على متن الطائرة، الأمر الذي منع أمي وأبي من خوض جدال حام هناك في الممر. فجلس أبي في مقعده، وذهبنا لنبحث عن أماكننا.

كانت مقاعدنا جميعاً في الصف نفسه. جلست أمي ورودريك وماني من جهة، وجلست أنا في المقعد الأوسط من الجهة الأخرى.

حاول رودريك إقناعي بتبديل مقعدي معه لكي لا يضطر للجلوس إلى جانب ماني، لكنني كنت مسروراً بمكاني. صحيح أن المجال كان ضيقاً على ساقيّ، لكن بخلاف ذلك لم يكن الوضع سيئاً.

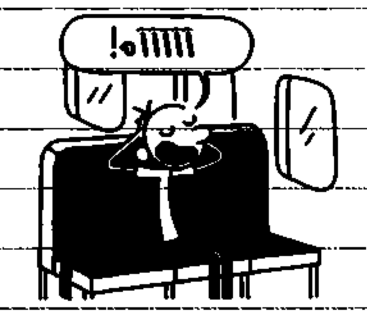
صعد كل الركّاب بعدنا، وتوترت الأجواء قليلاً وهم يحاولون إدخال حقائبهم في الأماكن المخصصة لها فوق رؤوسنا. لذلك فرحت لأنهم أخذوا حقيبتي قبل الدخول.



وضع الجميع حقائبهم وجلسوا في أماكنهم. ثمّ أعلن الطيار أن الأبواب تُغلق، وكانت المقعدان إلى يميني ويساري لا يزالان خاليَين.

لم أصدق نفسي. ما إن تقلع الطائرة، سأتمدد على المقاعد الثلاثة وأنال قسطاً وافياً من النوم.

حتى إن هنا أفضل من جلوسي في الدرجة الأولى.



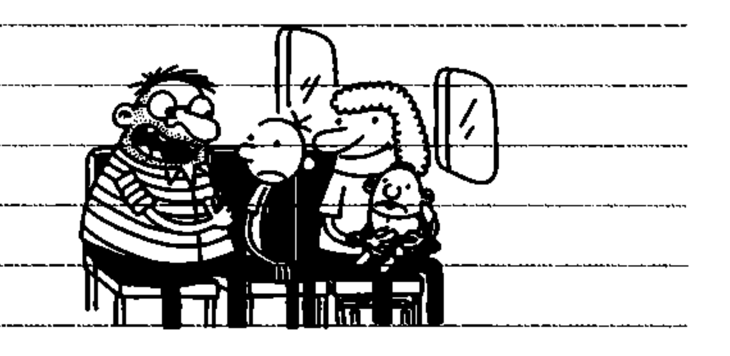
لكن في اللحظة الأخيرة التي سبقت إغلاق باب الطائرة، صعد زوجان على متنها. وكان برفقتهما طفل.

لم يخطر ببالي ان يجلس الزوجان إلى جانبي لأنهما بحاجة إلى ثلاثة مقاعد. لكن الأم أجلست الطفل في حضنها.



في الحقيقة، لو كنت مسؤولاً عن خطوط الطيران، لأصدرت أمراً يقضي بجلوس شخص واحد على كل مقعد. فلو كان هناك الزوجان يملكان توأماً، لخرجت الأمور تماماً عن السيطرة.

سألت الزوجين ما إذا كان أحدهما يرغب في تبديل مقعده بمقعدي لكي يجلسا متجاورين. غير أن الأم قالت إنها تحب الجلوس إلى جانب النافذة، وقال الزوج إنه مسرور بمكانه.



في تلك اللحظة، تناهى إلينا صوت الطيار عبر مكبّر الصوت. قال إنهم سيعرضون علينا قبل الإقلاع فيلماً يشرح لنا كيف نتصرّف في الحالات الطارئة.

كنت متوتراً أساساً حيال السفر جوّاً، من دون أن أعرف شيئاً عن «الحالات الطارئة». لذلك عندما بدأ عرض الفيلم، أعرته كلّ انتباهي.

لكن كما لاحظت، كنت الوحيد الذي يشاهد الفيلم، ولم يكترث له أحد من الركّاب.

عرضَت بداية الفيلم معلومات أساسية، مثل كيفية وضع حزام الأمان.

بعد ذلك، أصبحت الأمور جدية.

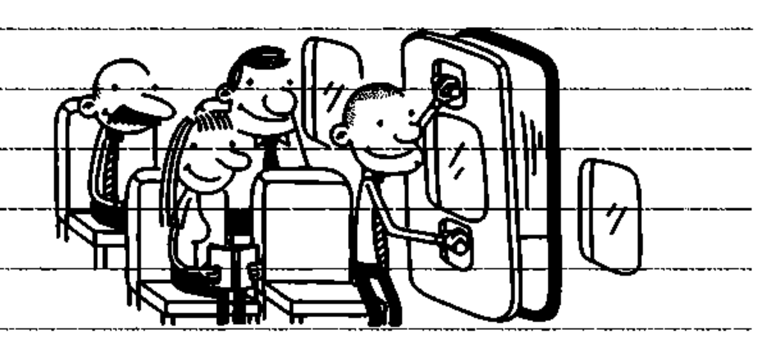
قال الراوي إنه في حال «انخفاض ضغط المقصورة» ستتدلى أقنعة الأوكسجين من السقف. ومع أنني لا أعرف ما معنى «ضغط المقصورة»، إلا أنه لم يعجبني احتمالُ أن نخسر شيئاً منه.

في الواقع، لم يبدُ أي انزعاج على الأشخاص الموجودين في الفيلم عندما تدلت أقنعة الأوكسجين، بل بدوا مسرورين بذلك.

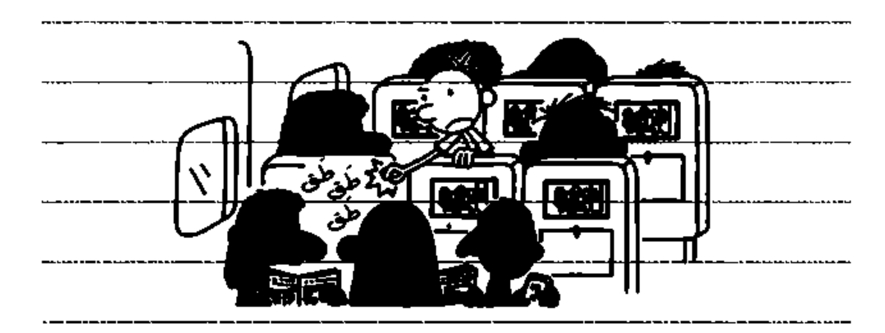
بعد ذلك، اتخذ الفيلم منحى أكثر خطورة. فقال الراوي إنه في حال «الهبوط فوق الماء»، سيتحتم علينا إخلاء الطائرة.

عندئذٍ، أصابني الذعر حقاً. فقد كنت أظن أن الهدف من الطائرة هو أن تبقى في الجو.

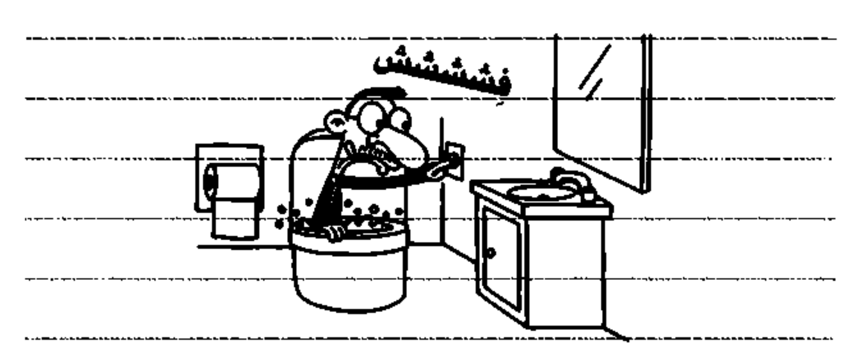
أشار الفيلم إلى وجود مخارج لحالات الطوارئ على متن الطائرة، وعلى الأشخاص الجالسين في ذلك الصف فتح الأبواب لكي يتمكّن الجميع من الخروج.



كان مخرج الطوارئ في الصف الواقع خلفي. ولاحظت أن الناس الجالسين هناك لم يعيروا أي انتباه للفيلم على الإطلاق. لذلك طلبتُ منهم ترك مجلاتهم والإصغاء لما يقال.



لم يبدُ أيّ انزعاج على الركّاب بسبب عدم اكتراث أحد لفيلم تعليمات السلامة. فتصوّرت أنه يملكون على الأرجح مخارج الطوارئ الخاصّة بهم، وفي حال وقوع أيّ مشاكل، سأتبعهم.



أظهر الفيلم الطائرة في الماء مع زلّاقات قابلة للنفخ تخرج في حالات الطوارئ. حتّى إنهم جعلوا الأمر يبدو ممتعاً.

أشار الفيلم بعد ذلك إلى أن مساند مقاعدنا تتحول إلى «أجهزة تعويم»، وكلّ منها مزوّد بصافرة. الآن خطرت ببالي أسئلة، فضغطت على الزر فوق مقعدي ليأتي المضيف.

أردت أن أعرف، في حال هبوطنا في مياه مليئة بأسماك القرش، فهل سيكون استعمال الصافرة فكرة جيدة؟ إذ شعرت أننا بذلك ندعو أسماك القرش إلى وجبة غداء مجّانية.

قال المضيف إنه لا حاجة بي إلى القلق لأن جميع المساند مغلّفة بمادة طاردة لأسماك القرش، ولذلك لن تقترب منا.

سررت كثيراً لدى سماع ذلك. لكنني أتساءل الآن ما إذا كان يسخر مني.

مع ذلك، لم أفهم ما جدوى الصافرة. فمن الذي سيسمعها إن كنتم في وسط المحيط؟

وإن كنتم محظوظين حقاً ومرّت سفينة سياحية بالقرب منكم، فصدّقوني لن يتوقّف أولئك الأشخاص لإنقاذكم.

بعد انتهاء فيلم تعليمات السلامة، شعرت بالإرهاق، ولم نكن قد أقلعنا بعد. لكن بعد بضع ثوانٍ، بدأت الطائرة تسير على المدرج، وسرعان ما أصبحنا في الجو.

لن أكذب، فقد أغمضتُ عينيّ خلال الإقلاع بأكمله حتى إنني لم أدرك أنني أمسك أنفاسي إلى أن أوشكت على الغياب عن الوعي.

ما إن استوت الطائرة في الجو، حتى بدأ الزوجان الجالسان في صفّي بإطعام طفلهما.

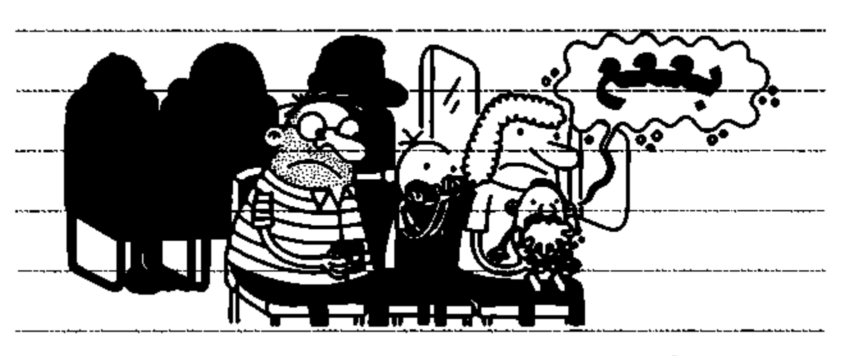
كنت أشعر بالغثيان أساساً بسبب الإقلاع، ولم تساعد رائحة البازيلاء المطحونة على تحسين الوضع.

شعرت أنني على وشك التقيؤ، لكن لم أعرف ماذا أفعل. ثم رأيت ذلك الكيس الورقي الأبيض في جيب المقعد أمامي وتصورت أنه موجود لهذا الغرض بالضبط.

غير أن المضيف بدا منزعجاً مني أساساً، لذلك ادركت أنه لن يكون مسروراً إن ناولته كيساً مليئاً بالقيء.

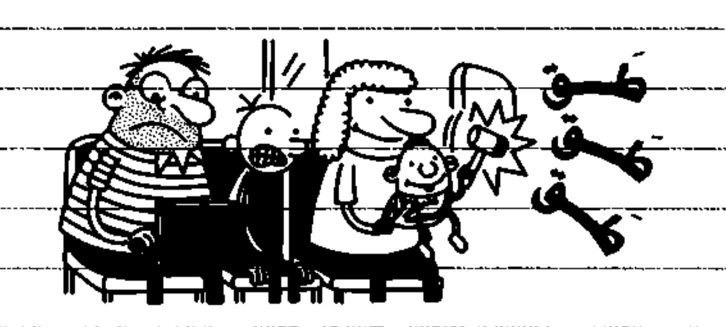


تمكنت بطريقة ما من تجاوز وجبة الطفل بسلامة. لكن اتمنى لو كنت أستطيع قول الشيء نفسه عن الطفل.



بعدما نظفت السيدة المكان، مدت يدها إلى حقيبتها وأعطت الطفل بضع ألعاب يتسلى بها.

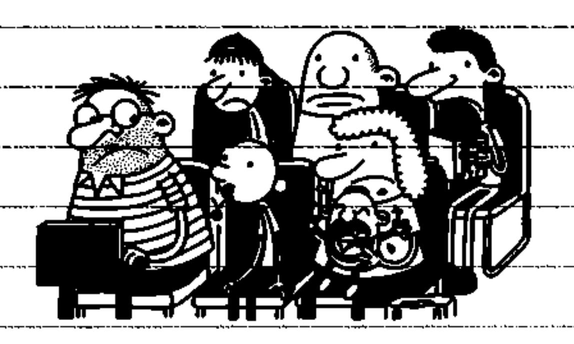
كانت إحدى الألعاب عبارة عن مطرقة بلاستيكية. وما أن استلم الطفل ذاك الشيء، حتى بدأ يطرق به على النافذة.



كنت قد سمعت أنه في حال تحطم إحدى نوافذ الطائرة، يمتص الهواء المحيط بها كل ما فيها. ولم أجد ذلك مطمئناً.

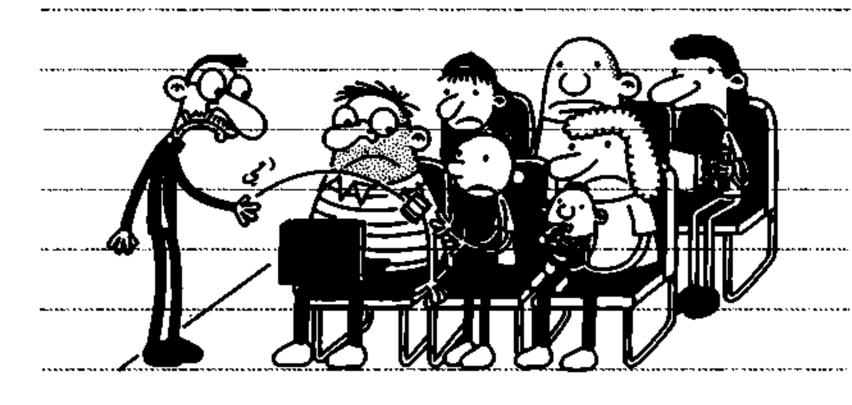
لذلك عندما كانت المرأة تنظر بعيداً، اختطفت المطرقة من يد الطفل ودسستها تحت مقعدي.

مع الأسف، ثار جنون الطفل.



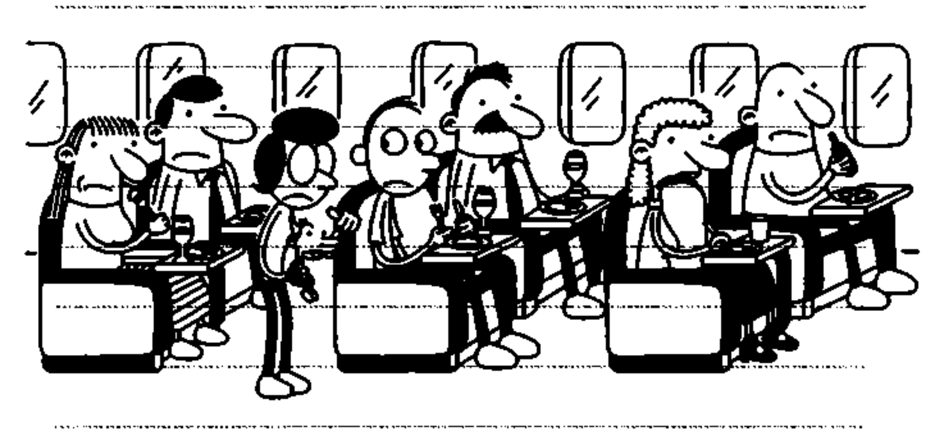
تبين أنّ لا أحد يحبّ سماع بكاء طفل على الطائرة، وبدأ الجميع يرمقوننا شزراً. لحسن الحظ، كانت السيدة تحمل زجاجة حليب في حقيبتها، فاستطاعت تهدئة الصغير قليلاً.

بدأت أشعر بالجوع، فضغطت على الزر لمناداة المضيف وسألته متى سيحضر الطعام. فأجاب إنّ الوجبات لن تقدم سوى لركّاب الدرجة الأولى، وناولني كيساً من الفستق السوداني لأسدّ به رمقي.



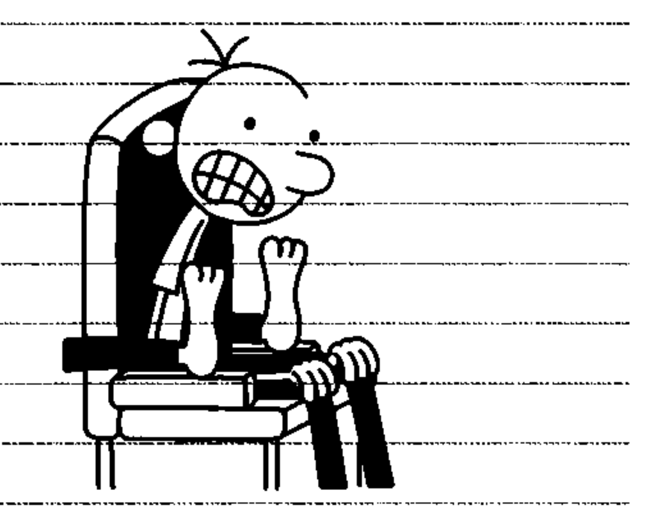
حينذاك، تذكّرت الوجبات الخفيفة التي اشتريتها قبل صعودنا على متن الطائرة. لكن سرعان ما تذكّرت أيضاً أنّني وضعتها في حقيبة اليد التي انضمّت إلى الحقائب الكبيرة في الأسفل.

أظن أنّ أمي كانت تفكّر في الطعام هي الأخرى. فما إن أعلن الطيار أنّنا بلغنا «ارتفاع الطيران» وأصبحنا قادرين على التنقّل في المقصورة، حتّى حلّت حزام الأمان وذهبت مع ماني إلى مقصورة الدرجة الأولى في وقت العشاء تماماً.

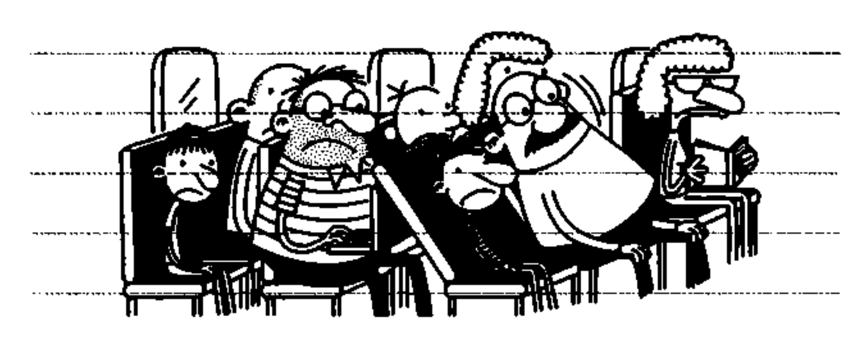


شعرتُ بشيء بارد ورطب يلمس كوعي الأيسر، ثمّ لمس شيء آخر كوعي الأيمن. لأكتشف أنّ المسافر الجالس خلفي خلع حذاءه وجوربه، ومرّر قدميه في الفراغ بين المقاعد.

أعتقد أنّ هذا الرجل ارتأى أنه لا بأس من استخدام مساند يدي كمساند لقدميه.



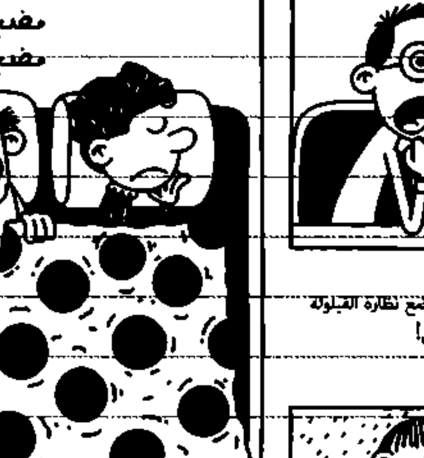
بدأتُ أشعر أنني مطوّق. لكن في تلك اللحظة، أرجع الشخص الجالس أمامي مقعده إلى الخلف، وأصبح على بعد سنتمترات من وجهي.



حاولت أن أُرجع مقعدي إلى الخلف، لكنني لم أعثر على الزر.

عندئذٍ ناديتُ المضيف وسألته عن مكان الزر. فقال إنّ مقاعد الصفّ الذي أجلس فيه لا تميل إلى الوراء، وإلّا سدّت مخرج الطوارئ.

بدأتُ أتصبّب عرقاً. ففكّرت في قراءة مجلّة لأرفّه عن نفسي، لكنّني لم أجد في جيب المقعد سوى مجلّة عن تلك الأشياء التي لا يحتاج إليها أحد.



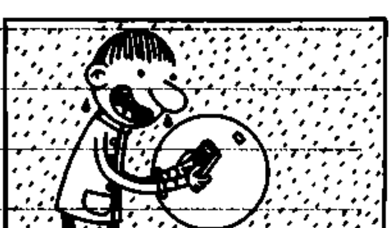
نظّارة القيلولة

عندما يغلبك النعاس في اجتماع ممل، ضع نظارة القيلولة لتبدو في غاية اليقظة... حتى لو لم تكن!

بطانية البيتزا

هل يُداهمك الجوع ليلاً؟ أشبع نفسك ببطانية البيتزا. وهي بطانية قابلة للأكل، دافئة ولذيذة!

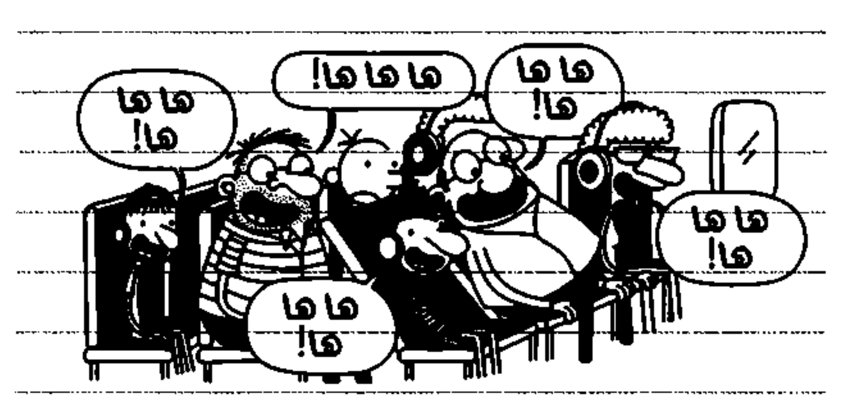
متوفرة بطعم البيبروني، مع كمية إضافية من الجبن، وسمك الأنشوفة.



فقاعة الهاتف

احمِ هاتفك من المطر بواسطة هذه الفقاعة البلاستيكية الشفافة!

كان جميع الناس من حولي يشاهدون فيلماً، فتصورت أنني أستطيع تشغيل شاشتي لإلقاء نظرة عليه. بدا الفيلم كوميدياً، لكن سماعاتي كانت في حقيبتي، ولم يكن من الممكن فهم ما يجري من دونها.



غيرتُ القناة لمشاهدة شيء آخر. كانت إحدى القنوات تعرض برنامجاً للأطفال الصغار أثار اهتمام الطفل الجالس إلى جانبي. وعندما غيرتُ القناة، بدأ يصيح عالياً.



أعدتُ القناة السابقة، فتوقف عن البكاء.

أعتقد أنني ما كنت لأمانع في ترك الطفل يشاهد البرنامج، لكن الشاشة كانت قريبة جداً من وجهي. وكانت الألوان ساطعة إلى حد أنني بقيتُ أرى كل ما يجري حتى بعدما وضعت قناع العينين الموجود في جيب المقعد.

عندما انتهى البرنامج أخيراً، بدأ الطفل يبكي مجدداً. لكن كان من المستحيل أن أواصل مشاهدة تلك القناة لبقية الرحلة.

هكذا قررتُ أن دوري قد حان للانتقال إلى مقعد الدرجة الأولى.

ما إن لاحظ رودريك أنني أحاول التحرك، حتى نهض قبل أن تتاح لي الفرصة لمغادرة مقعدي. وحين أصبح في الدرجة الأولى أدركتُ أنه سيكون عليّ الانتظار لبعض الوقت قبل أن نتبادل أماكننا.

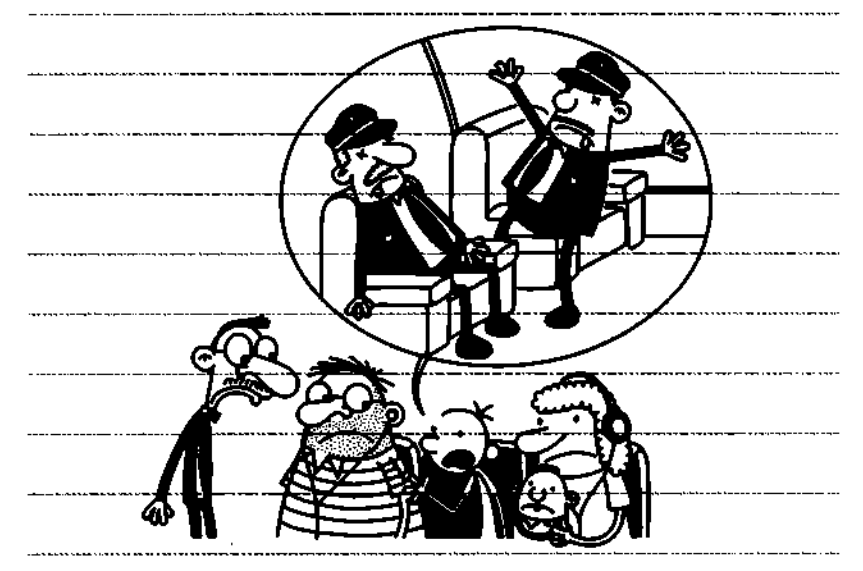
عندما عادت أمي ومامي إلى مقعدَيهما، رأيت باب قمرة القيادة يُفتح خلفهما والطيار يخرج منه.

فخشيت من وجود حالة طارئة، لذلك ضغطت على الزر وسألت المضيف عما يجري. فقال إن الطيار أراد تحريك ساقيه وحسب، والذهاب إلى الحمام، ومساعدُه يتولى كل شيء.

لم يعجبني أن تقع مسؤوليتنا على عاتق طيار واحد، حتى لو كان ذلك لبضع دقائق فقط.

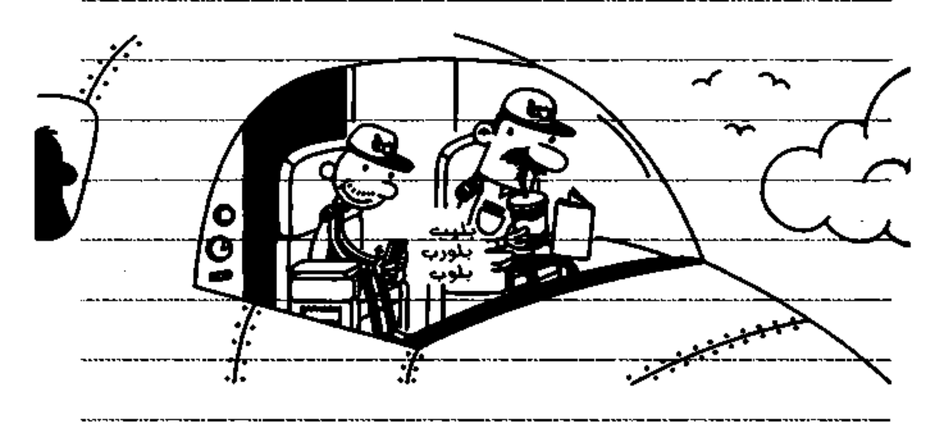
شخصياً، لا أظن أن طيارَين يكفيان، حتى لو كانا كلاهما في فمرة القيادة. فبرأيي، الفكرة من وجودهما أن يقوم الآخر بقيادة الطائرة في حال إصابة أحدهما بنوبة قلبية.

لكنني سألت المضيف ماذا يحدث إن أصيب الطيار الآخر بالذعر ومات هو أيضاً بنوبة قلبية.

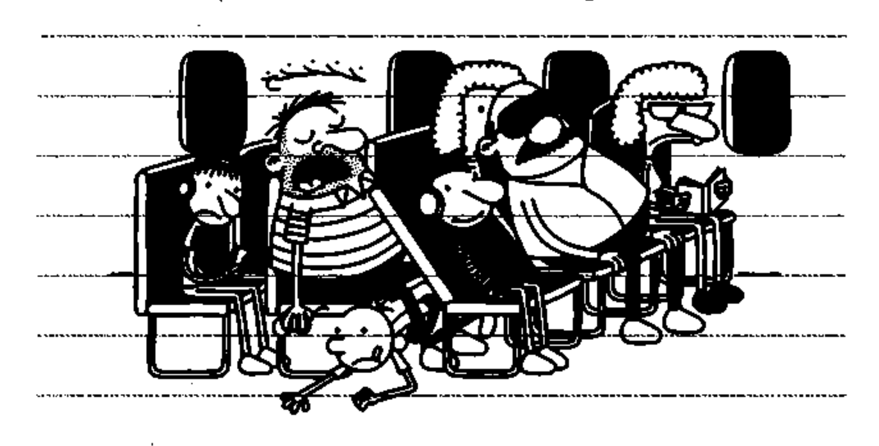


قال لي المضيف إنه لا داعي للقلق لأن هذه الطائرات عالية التقنية وتطير عملياً من تلقاء نفسها.

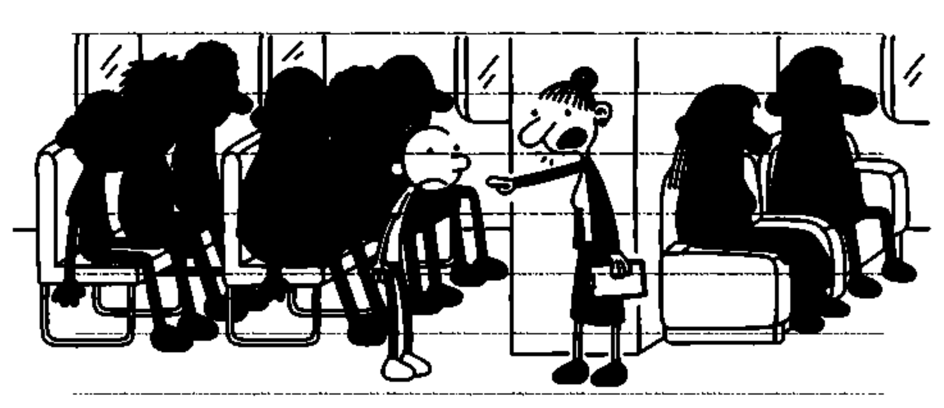
في الحقيقة، سمعت أنّ الطيارين يجنون كثيراً من المال. لذا، إن كان ما يقوله المضيف صحيحاً فمن الممكن أن أختارها مهنة لي.



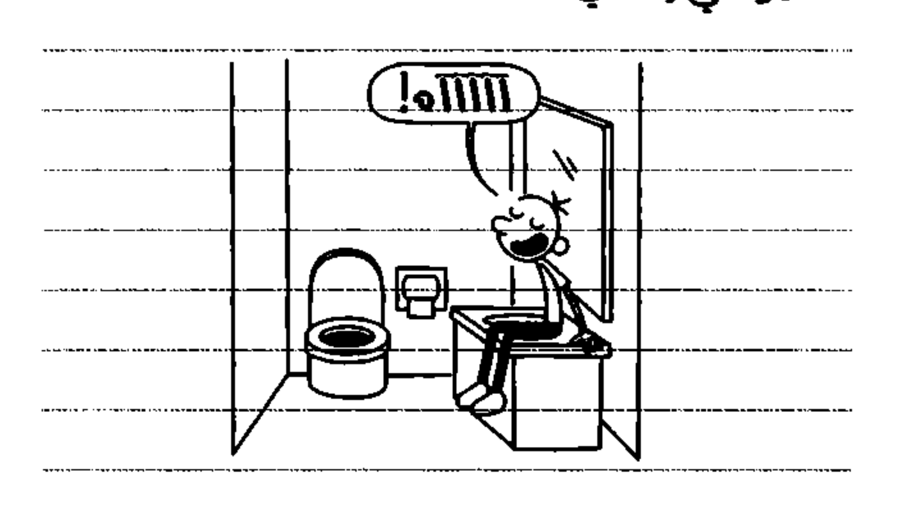
عندما خرج الطيار من الحمام، خطر ببالي الدخول مكانه من باب التغيير. لكنّ المشكلة أنّ الرجل الجالس إلى يميني استغرق في النوم، ولم يكن بإمكاني المرور من دون إيقاظه. لذلك عبرت من تحته، وصدّقوني، لم أجد ذلك ممتعاً.



ذهبت إلى الجزء الأمامي من الطائرة، لكن قبل وصولي إلى قسم الدرجة الأولى، قالت لي المضيفة إن على مسافري الدرجة الاقتصادية الذهاب إلى الحمام الواقع في الخلف.



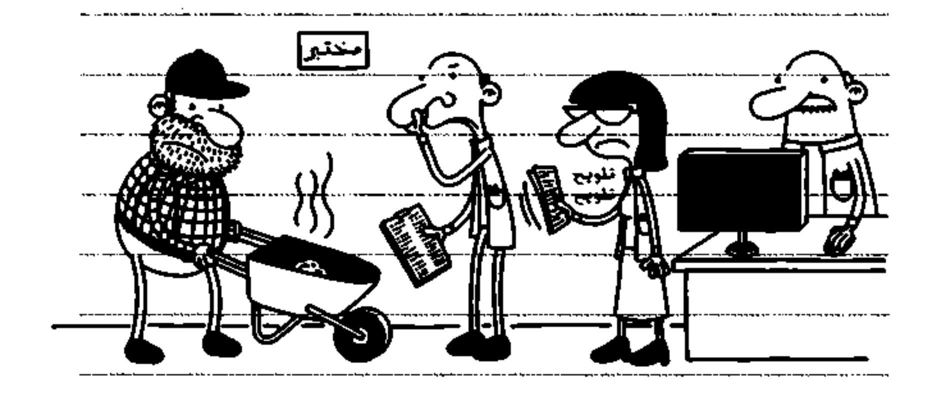
كان حمام الدرجة الاقتصادية صغيراً حقاً، لكنه أفضل مائة مرة من مقعدي. فوجدتُه أشبه بشقة صغيرة لي وحدي.



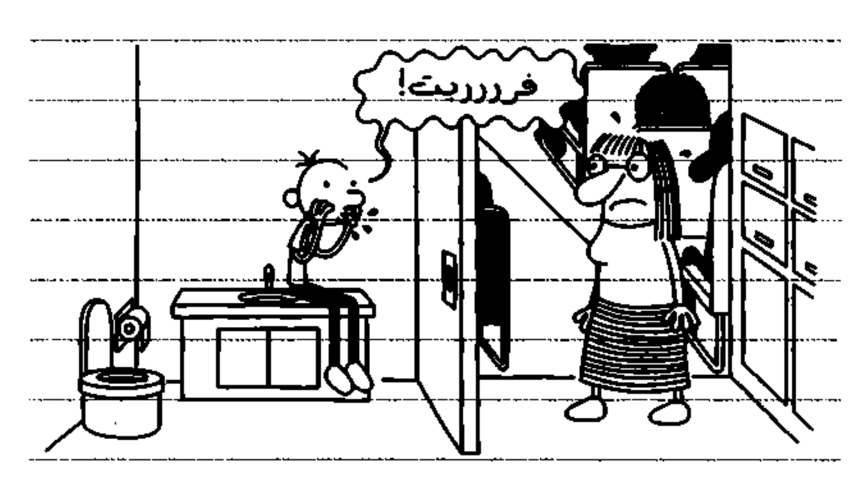
تعلّمنا في مادّة العلوم أنّه عندما يتمّ التخلّص من الفضلات البشرية من مرحاض الطائرة، فإنّها تتجمّد وتتحوّل إلى كتلة صلبة. وفي إحدى المرّات، عثر رجل في بلدتي على كتلة فضلات سقطت من إحدى الطائرات، وظنّها نيزكاً.



أعتقد أنّ الرجل كان يأمل بيعه لقاء مبلغ كبير. لكن ما إن ذاب ذاك الشيء، حتّى اكتشف أنّه بلا قيمة على الإطلاق.



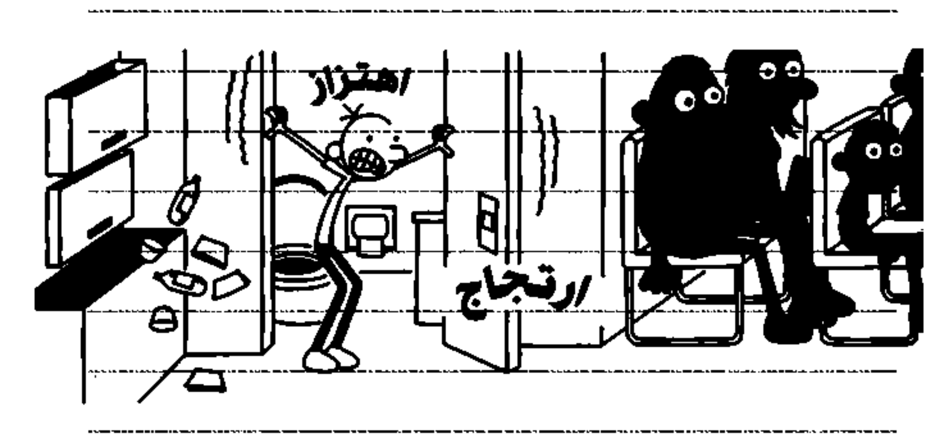
ما إن استقررت في الحمام، حتى رحت أفكر أنه لا سبب لدي للعودة إلى مقعدي. هكذا، كلما أتى شخص لاستعماله، كنت أصدر أصواتاً تدفعهم إلى الابتعاد.



يبدو أن أحد المسافرين كان يريد الدخول بإلحاح، لأنه راح يحرك قبضة الباب بقوة حتى ظننت أنه سيخلعه. أخيراً انصرف، لكن بعد بضع دقائق، بدأ الحمام بأكمله يهتز.



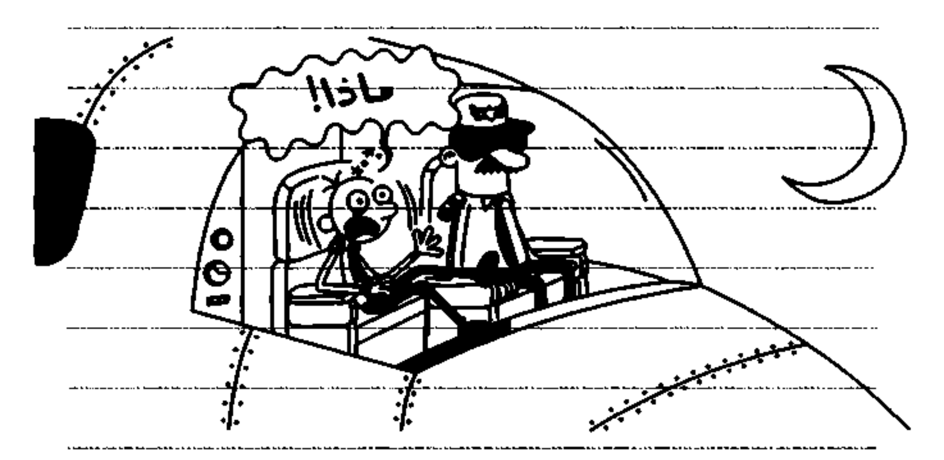
إن لم يكن الطارق، فلا بد أنه بحاجة إلى استخدام الحمام أكثر مني بكثير، لذلك فتحت الباب. غير أنني لم أجد أحداً هناك. عندئذٍ أدركت أن الحمام لم يكن هو الذي يهتز، بل الطائرة نفسها.



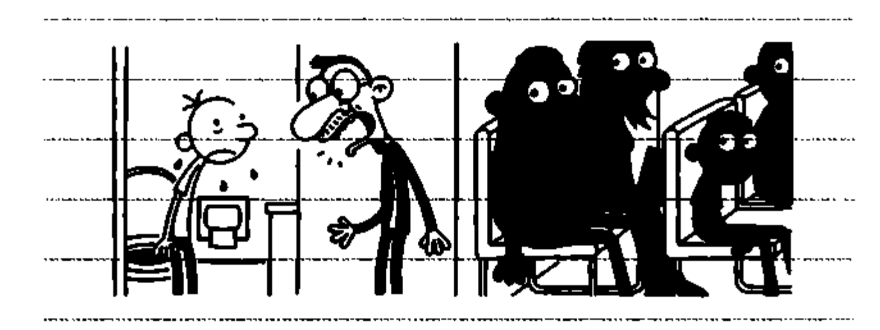
ظننت أننا قد نكون هبطنا على الماء أو خسرنا محركاً أو شيئاً من هذا القبيل. لكن الطيار تكلم عبر مكبرات الصوت.



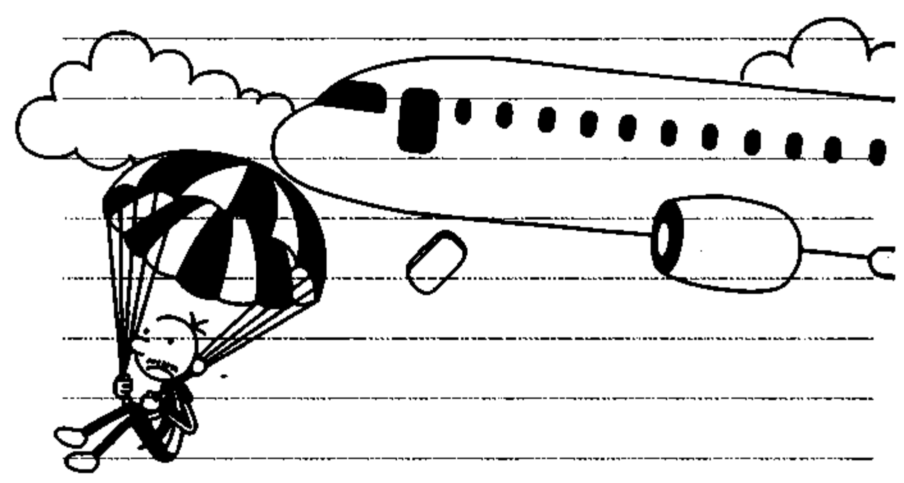
لم يبدُ لي ذلك صحيحاً. أظن أن ما حدث بالفعل أن الطيار غفا في مقعده وركل عجلة القيادة أو شيء من هذا القبيل، ثم تحجج بمطباته الهوائية. فهذا بالضبط ما كنت سأفعله لو وجدت نفسي في ذلك الموقف.



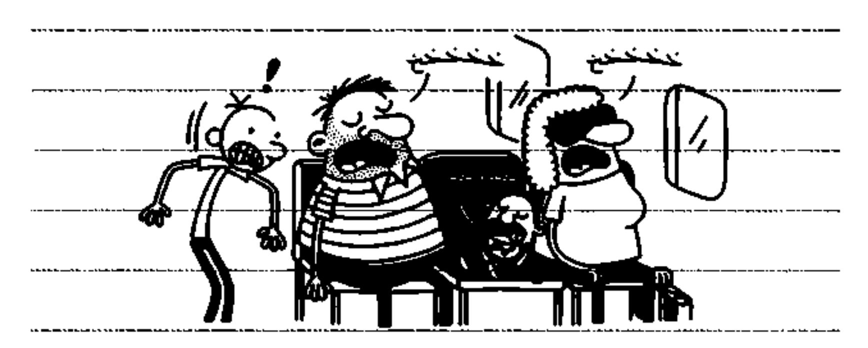
لاحظ المضيف أنني كنت على شفير الانهيار، فقال إننا نعبر أجواء مضطربة قليلاً، وهذا أمر طبيعي في رحلة كهذه.



في الواقع، إن كان هذا النوع من الأمور طبيعياً، فمن المستحيل أن أصبح طياراً يوماً. لأنني إن كنت أقود طائرة، فسأغادرها عند أول مشكلة.

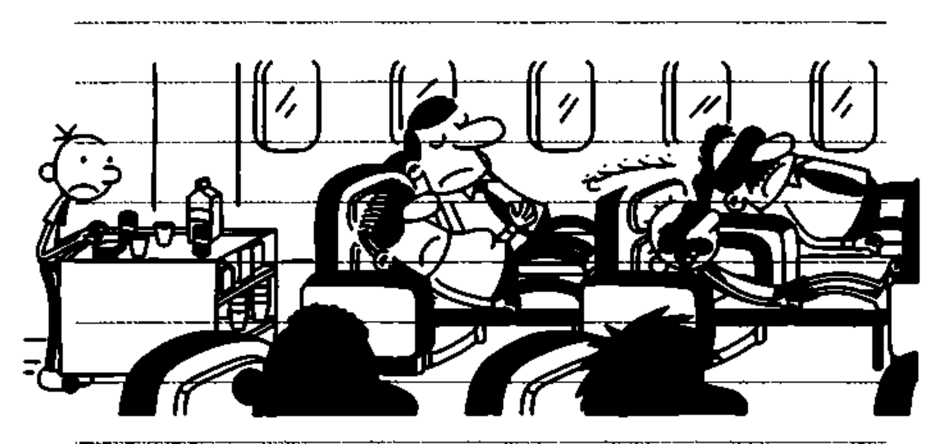


قال لي المضيف إنه عليّ العودة إلى مقعدي ووضع حزام الأمان. لكن عندما وصلت، وجدت مقعدي مشغولاً.



لم أرغب في إيقاظ الطفل، لأنه سيبدأ بالبكاء مجدداً.

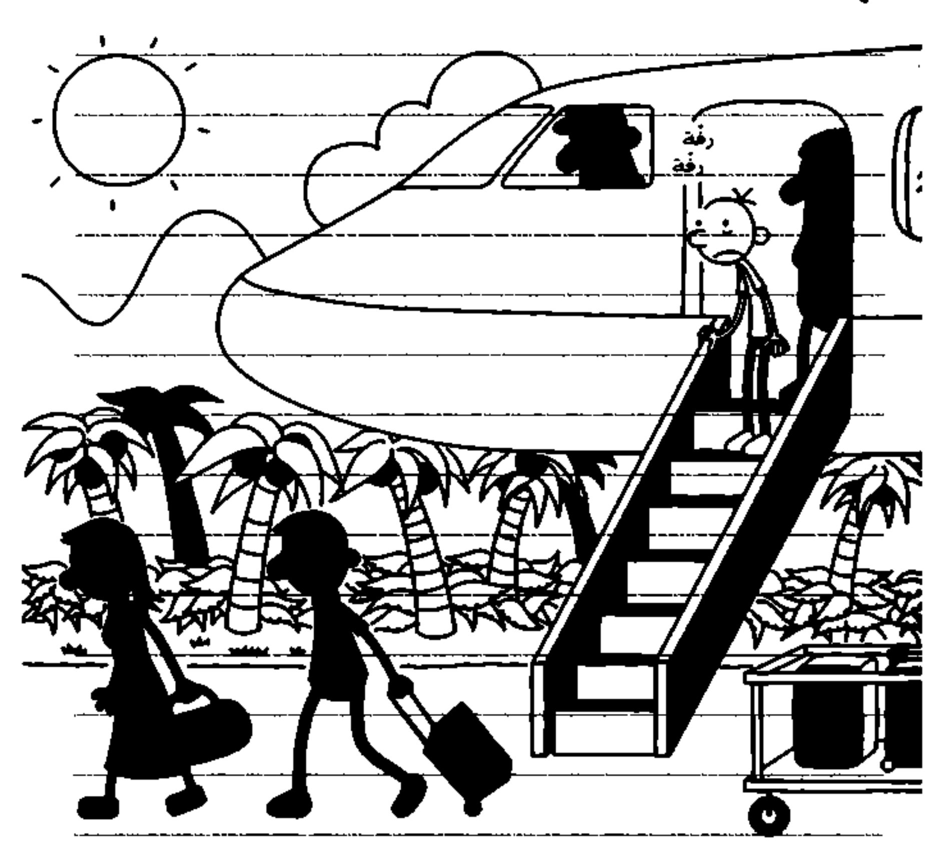
هكذا ذهبت إلى الجزء الأمامي من الطائرة لأطرد رودريك من مقعد الدرجة الأولى وأدعه يتولى أمر الطفل. إلا أنني لم أستطع الوصول إليه. فقد تعطلت إحدى عربات المرطبات بسبب الاهتزاز، وسدت الطريق.



لم يعد أمامي خيار آخر سوى العودة إلى مقعدي. ولا تسألوني كيف، لكنني تمكنت من النوم لساعة أو ساعتين. وكنت متعباً إلى حد أنني لم أستيقظ عند الهبوط.

الثلاثاء

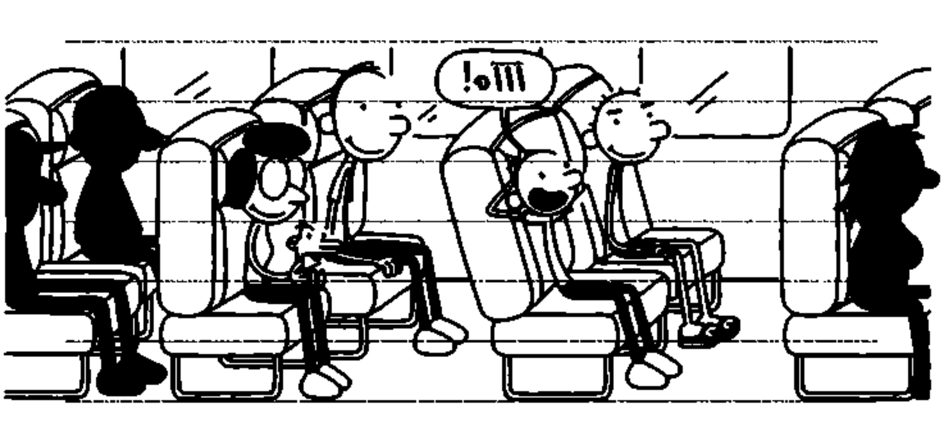
كنت قلقاً جداً من الرحلة الجوية بحد ذاتها بحيث لم أفكّر إطلاقاً في وجهتنا الفعلية. لكن عندما خرجت من الطائرة، وجدت نفسي في عالم آخر تماماً.



ولا بدّ لي من الاعتراف أنه ما إن لفحني الهواء الاستوائي حتى فهمت لماذا كان أبي توّاقاً جداً إلى الهرب من طقسنا البارد.

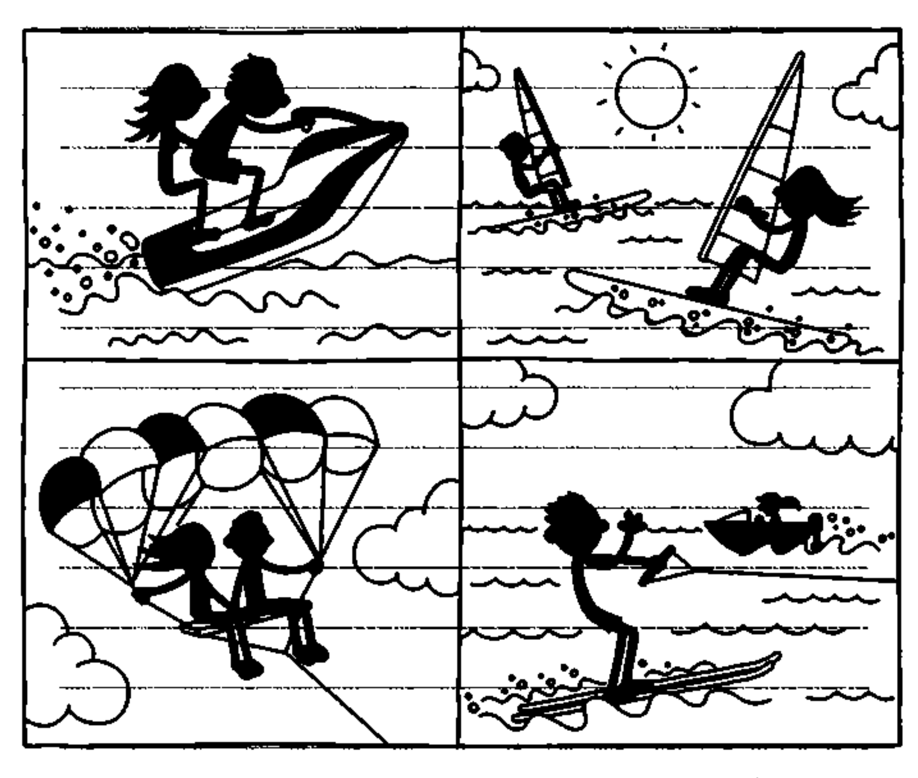
استلمنا حقائبنا عن الحزام الناقل، ثم تبعنا الإشارات إلى حيث تنتظرنا حافلة مكوكية كبيرة.

مع أن الهواء في الخارج كان رائعاً، إلا أن هواء المكيف في الباص بدا أروع. حتى إن مقاعده كانت مريحة أكثر من مقاعد الدرجة الأولى في الطائرة.



حين صعد جميع الركّاب في الحافلة، توجّهنا إلى المنتجع. ثمّ عُرض فيلم على الشاشات المثبتة فوق الركّاب، وكان ممتعاً أكثر من فيلم الطائرة بمليون مرّة.

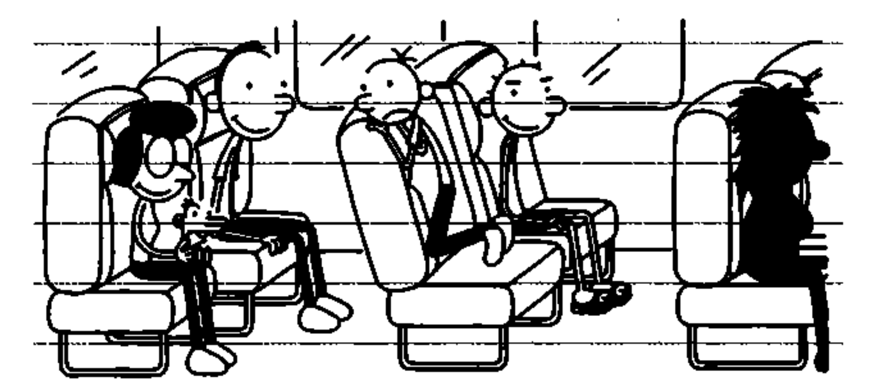
عرض الفيلم جميع النشاطات المسلّية التي يمكن ممارستها في المنتجع، فرغبت في تجربتها كلّها.



وكان أحدها ينطوي على السباحة مع الدلافين، وهو أمر لطالما رغبت فيه.

لكن كان ثمة مجموعة كبيرة من الأنشطة الأخرى التي بدت ممتعة أيضاً. فتمنيت أن يسمحوا لنا بالجمع بينها لكي أتمكن من تجربتها كلها قبل العودة إلى البيت.

شعرت بشيء من الذنب لأنني كنت سلبياً جداً في هذه الرحلة حتى تلك اللحظة، فاستدرت لأعتذر من أمي وأبي. لكن أتمنى لو أنني تابعت مشاهدة الفيلم عوضاً عن ذلك.



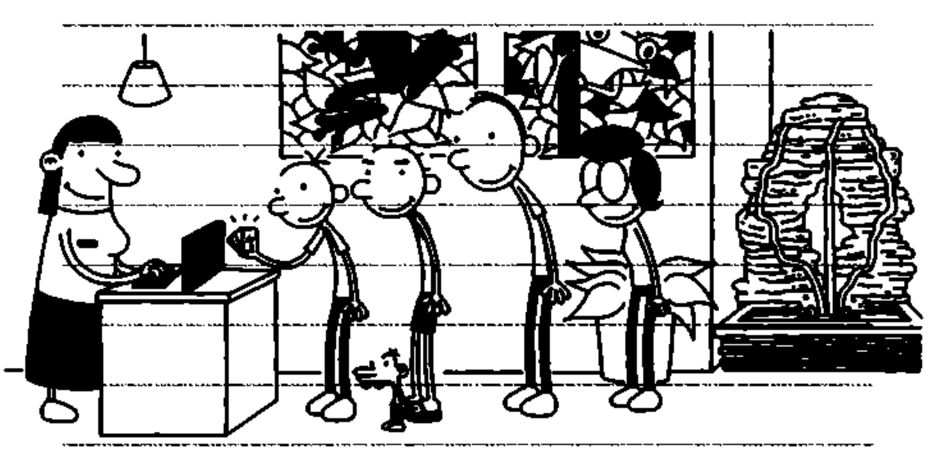
عندما وصلنا إلى المنتجع وترجّلنا من الحافلة، أتى الموظفون لاستقبالنا وقدموا لأمي وأبي الشراب البارد.



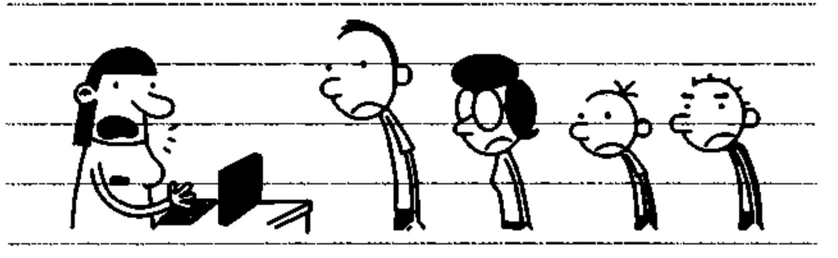
أعطينا حقائبنا لأولئك الأشخاص الذين يضعون قفازات بيضاء، وقالوا إنهم سيصطحبوننا إلى غرفتنا مباشرة. ولا بدّ لي من القول إنّ سلوكهم أثار إعجابي.

ذهبنا إلى مكتب الاستقبال، وشرحت لنا السيدة هناك كيف تسير الأمور. قالت إنّ الإقامة في المنتجع تشمل كل شيء، ولسنا بحاجة إلى استخدام الأموال النقدية أو بطاقات الائتمان.

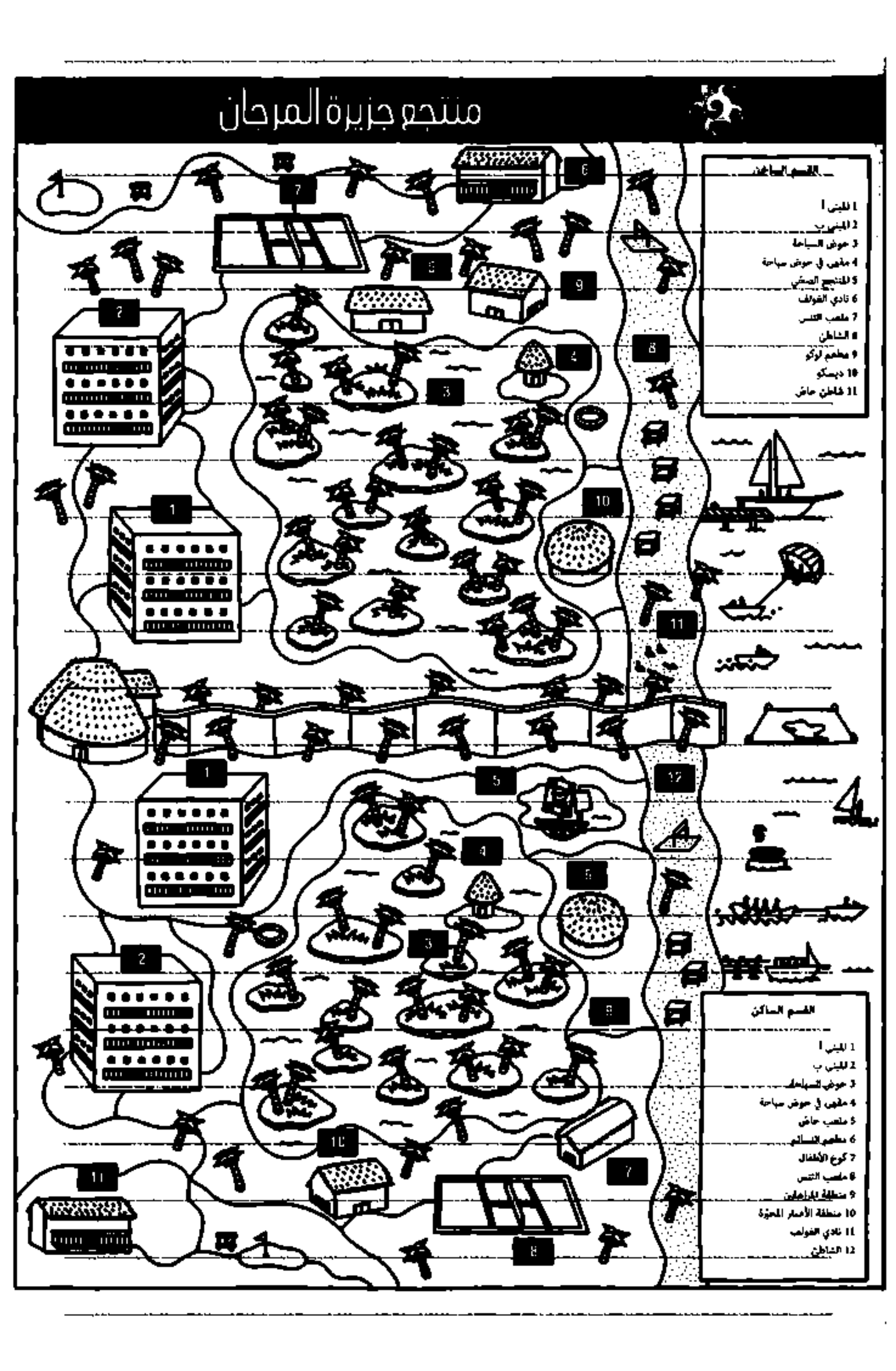
فرفعنا بواسطة تلك البطاقات البلاستيكية التي تُستعمل أيضاً كمفاتيح لغرفنا.



قال والداي لموظفة الاستقبال إنهما يريدان النزول في المبنى نفسه الذي أمضيا فيه شهر العسل، فأجابتهما أن المنتجع تغيّر منذ ذلك الحين، وأضافت أنه أصبح مقسماً الآن إلى نصفين، «القسم الساخن» و«القسم الساكن».

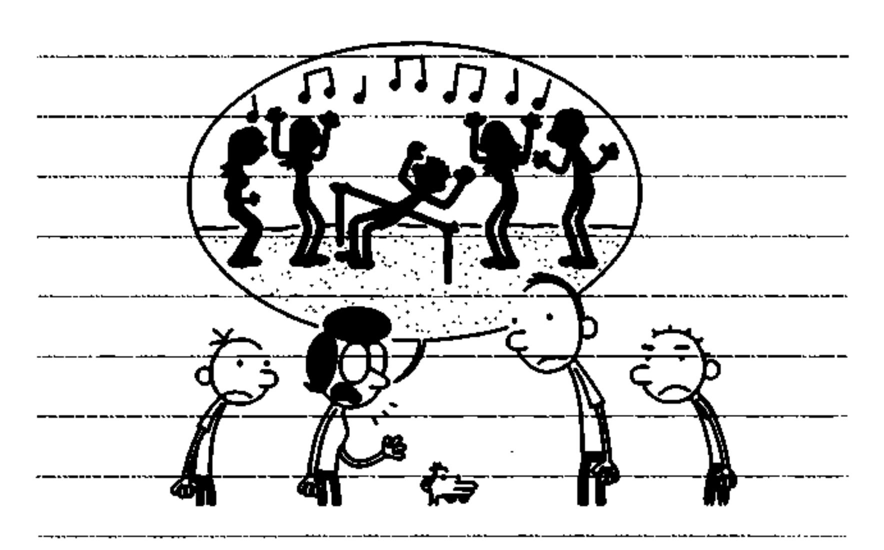


كان والداي قد أقاما في الجانب الساخن، الذي لا يُسمح للأولاد بدخوله. فأوضحت لنا الموظفة أين يقع مبنانا على الخارطة.



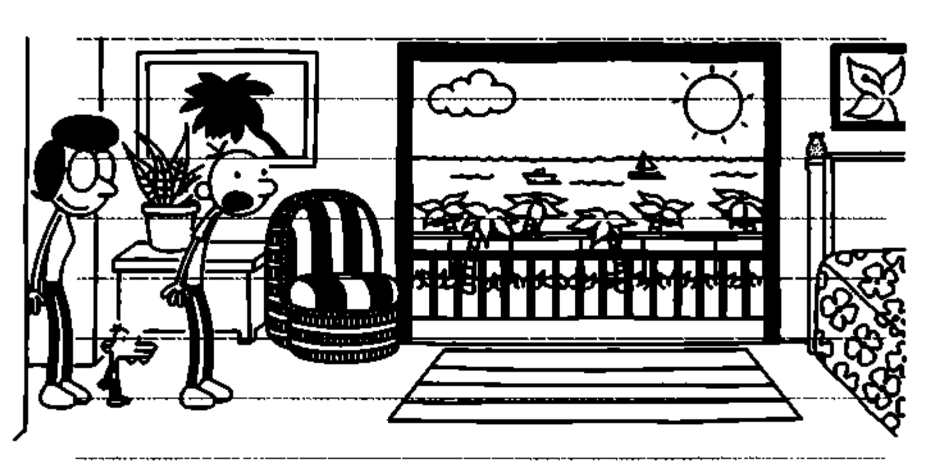
منتجع جزيرة المرجان
1 المبنى ا
2 المبنى ب
3 حوض السباحة
4 مقهى في حوض سباحة
5 المنتجع الصحي
6 نادي القوارب
7 ملعب التنس
8 الشاطئ
9 مطعم لوكو
10 ديسكو
11 شاطئ خاص
القسم الساكن
1 المبنى ا
2 المبنى ب
3 حوض السباحة
4 مقهى في حوض سباحة
5 ملعب خاص
7 كوخ الأطفال
8 ملعب التنس
10 منطقة الأعمار المحررة
11 نادي القوارب
12 الشاطئ

من الواضح أن أبي شعر بالخيبة بسبب التغييرات، لكن أمي قالت إن ذلك أفضل. أضافت أن هذه الرحلة عائلية، ولا ضرورة لوجودنا بجوار شباب يمرحون.



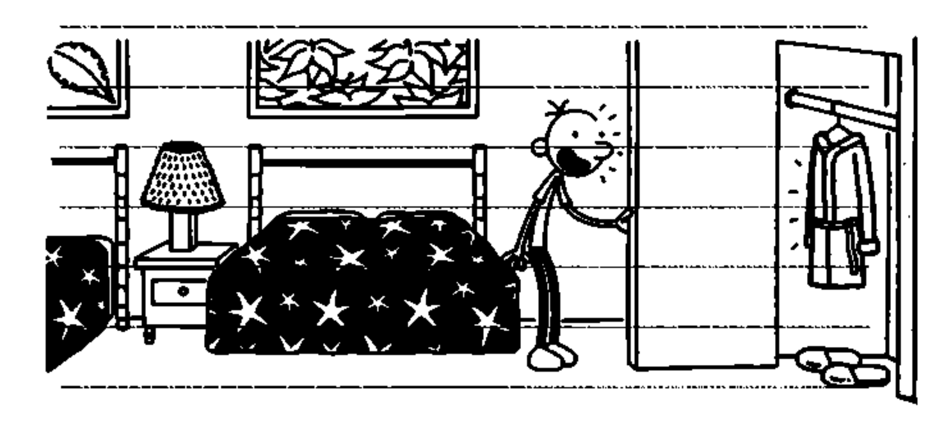
لم أكترث حقاً في أي قسم من المنتجع سنقيم، لأنني شعرت أن القسمين متشابهان أساساً. وما كان يهمني حقاً هو الغرفة.

فعادة، عندما تقيم أسرتي في فندق، نتشارك جميعنا غرفة واحدة، وأضطر للنوم على سرير نقّال أو على أريكة. لذلك صُدمت حقاً عندما اكتشفت أننا سنقيم في جناح مساحته كبيرة.



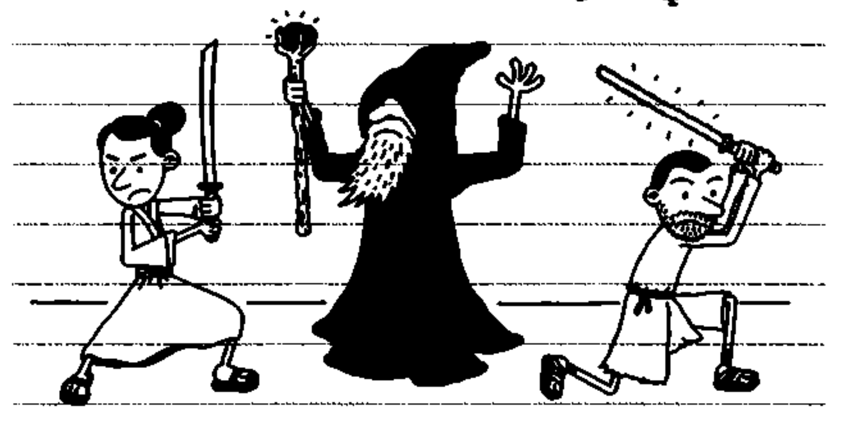
كان الجناح يتألف من غرفتين. جميعنا نستخدم حماماً واحداً، لكن لكلٍّ منا أنا ورودريك سرير خاص به، وهذا هو الأهم. من الواضح أن أمي وأبي أنفقا كثيراً من المال على هذه الرحلة.

كانت الغرفة تحتوي على تلفزيون لي أنا ورودريك، والأهم من ذلك أنني وجدت ثوب حمام في الخزانة.



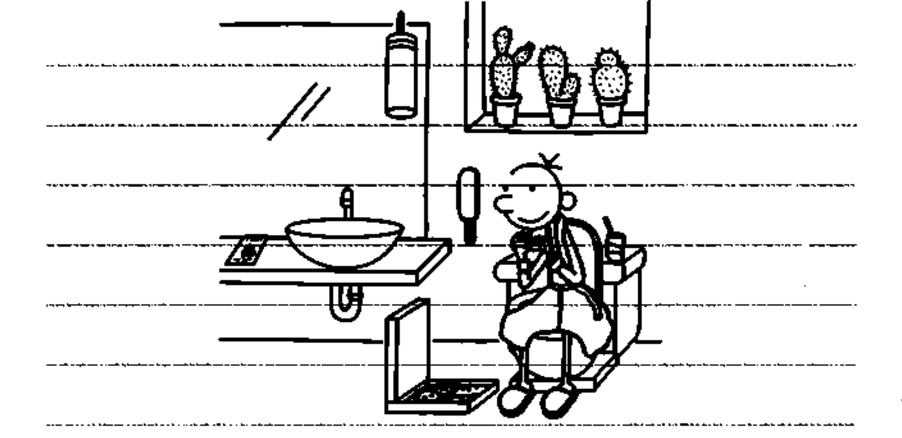
استوليت على ثوب الاستحمام فوراً، ولم يعارض رودريك.

في الحقيقة، رودريك يسخر مني دائماً عندما أرتدي ثوب الاستحمام الخاص بأمي في البيت. لكنني أجد هذه الأثواب جميلة، وأنا واثق أن كثيراً من الأشخاص يوافقونني الرأي.



كانت حجرة الاستحمام ضخمة، وجميع الأرضيات والمغاسل وكل ما في الحمام مصنوع من الرخام. وكان ثمة تلفزيون يعلو حوض الاستحمام، فضلاً عن هاتف بجانب المرحاض.

فتخيلت أنني أستطيع طلب خدمة الغرف من الحمام والحصول على كل ما أحتاج إليه في مكان واحد.

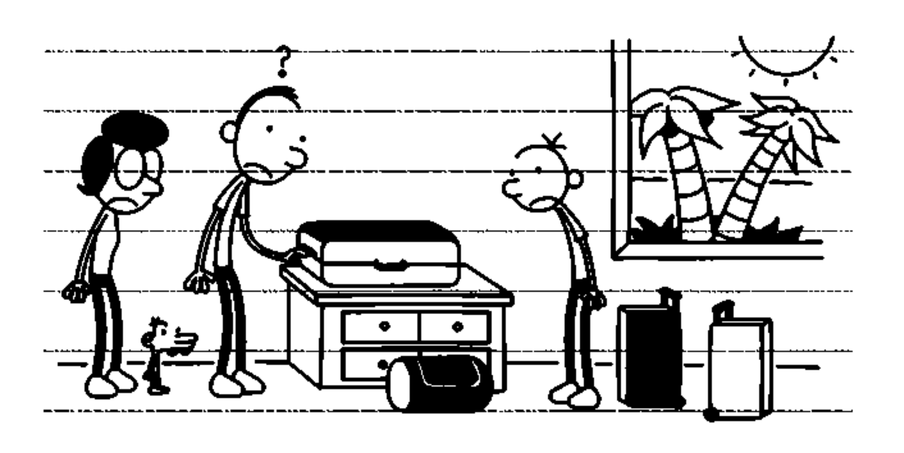


تطلّ الشرفة في غرفة أمي وأبي على مسبح القسم
الساخن من المنتجع، وهو مسبح كبير حقاً.

لم يكن مجرّد مسبح عادي، بل بدا أشبه ببحيرة
تتوزّع فيها الجزر. قالت أمي إنّه من أكبر أحواض
السباحة التي لا تمتاز بشكل محدّد.

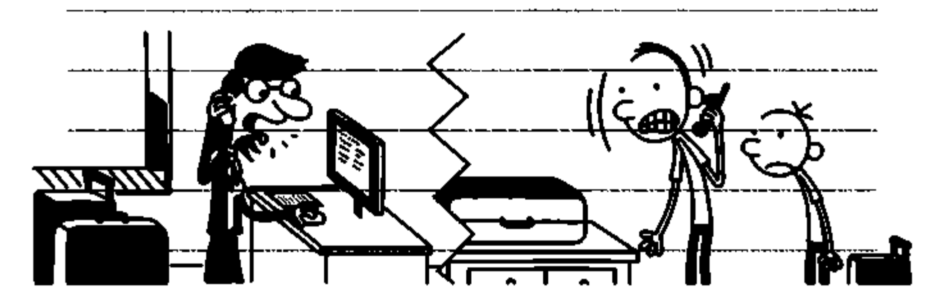
شعرت بالحماسة لأنني كنت أعرف أننا نملك مسبحاً مشابهاً في قسمنا. وأردت الذهاب للتحقق فوراً، لكن كان عليّ تغيير ملابسي أولاً.

ذهبت لأفتح الحقيبة الكبيرة، لكنني وجدتها مقفلة. فطلبت المفتاح من أبي الذي أجاب أن حقيبتنا ليست مزودة بقفل. ثم نظر إلى البطاقة المعلقة بالحقيبة، ووجد أنها تحمل اسم شخص آخر.

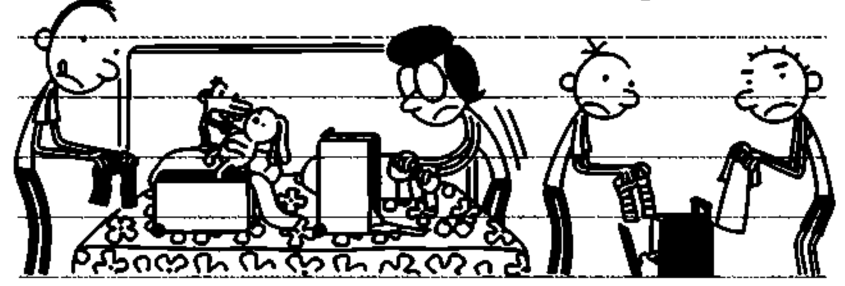


تبين أننا أخذنا الحقيبة الخاطئة عن الحزام الناقل في المطار. وقبل أن يفوت الأوان، اتصل أبي بشركة الطيران ليتأكد ما إذا كانت حقيبتنا لا تزال لديهم.

أجابت موظفة الشركة أنه حين لم يطالب أحد بحقيبتنا، تمت إعادتها إلى العنوان المدون على البطاقة.

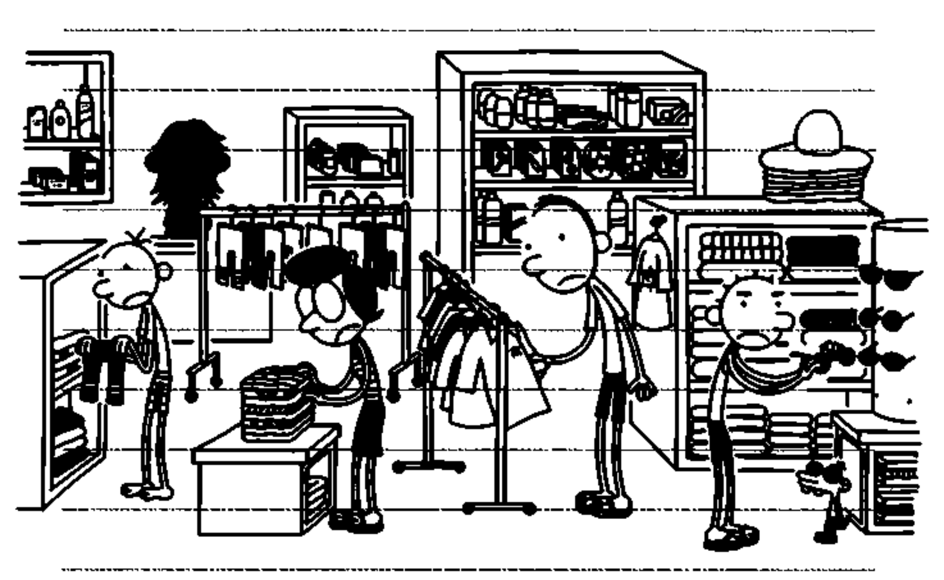


لكن لم تسبب تلك الحادثة كارثة كبيرة. فقد نقلنا بعض الملابس من حقيبتنا إلى حقائب اليد في المطار، وبقي لدينا بعض الأمتعة.



كانت ملابس السباحة معي، لكنني لا أملك كثيراً من الملابس الأخرى. إذ بقي شبشبي ونظارتي الشمسية في الحقيبة الكبيرة، مع مجموعة من الأمتعة الأخرى. فقال أبي إننا نستطيع شراء الأشياء التي تنقصنا من متجر المنتجع، ونزلنا إليه على الفور.

لكن ثمن بضائع المتجر كان يساوي خمسة أضعاف ثمنها الحقيقي، فأكد أبي أنه لن يدفع كل هذا المال.



قالت أمي بإمكاننا ارتداء الملابس نفسها كل يوم وغسلها بأنفسنا. لذلك لم نشتر إلا واقياً من الشمس ودلواً ومجرفة لماني ليلعب بهما على الشاطئ.

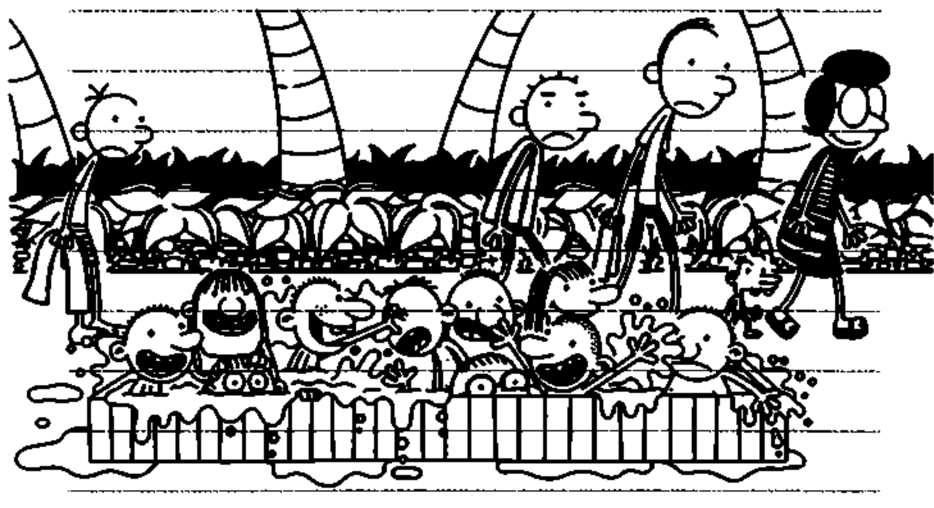
أكدت أمي على ضرورة استعمال واقي الشمس في مكان كهذا، لأننا قريبون من خط الاستواء. لكنها لم تكن بحاجة لإقناعي. فقد رأيت ما تفعله الشمس بالبشرة، ولا أريد أن تبدو بشرتي مجعدة مثل حبة زبيب عندما أكبر.

لهذا السبب أمضي أطول وقت ممكن داخل البيت. وهكذا عندما أتقدم في السن، سيتمنى أصدقائي لو أنهم حذوا حذوي.

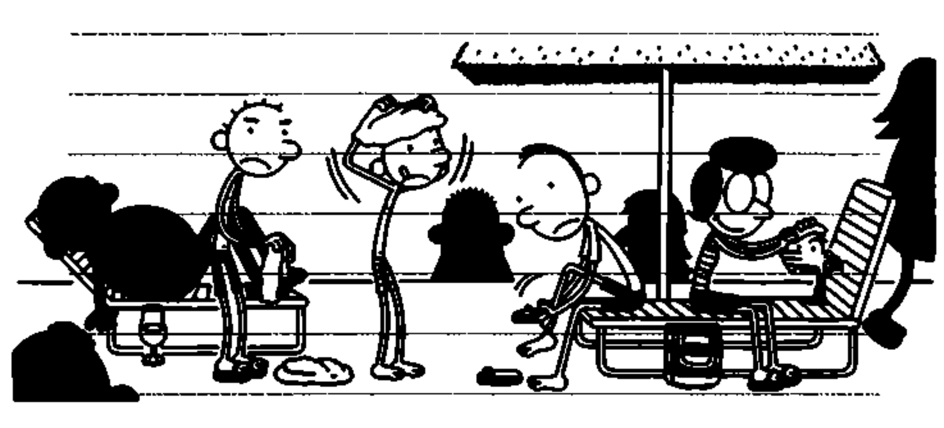


ظننت أنه بمجيئنا في عطلة العيد سنجد المكان خالياً. لكنني أعتقد أن كثيراً من الناس خطرت في بالهم الفكرة نفسها بالضبط.

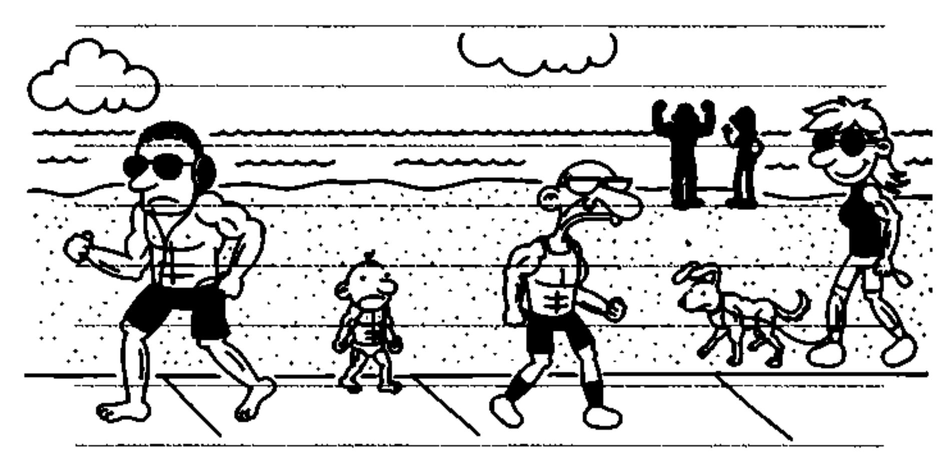
لم يكن المسبح المكانَ الوحيد المزدحم، بل انتشر الناس في كلّ مكان. فقد كنت أتوق حقاً للاسترخاء في حوض المياه الساخنة، إلى أن رأيته.



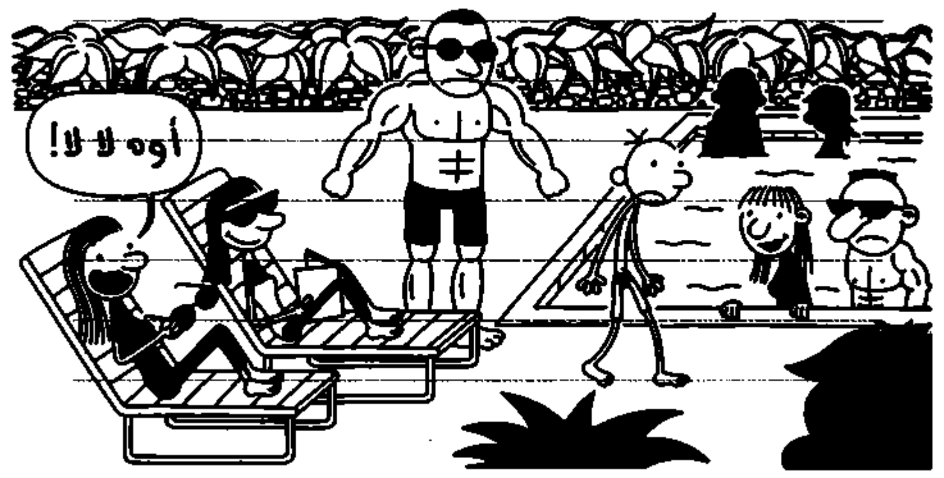
وجدنا عدداً من الكراسي الطويلة في الظلّ، فوضعنا أغراضنا بجوارها. وكان واضحاً أننا في وسط الشتاء لأنّ الجميع كانوا يفتقرون إلى اللياقة، مثلي تماماً.



كثيراً ما أفكر في ممارسة الرياضة للحصول على جسم مفتول العضلات. لكن في المستقبل، أنا واثق أن جميع الناس سيصبحون قادرين على تناول حبة دواء والتمتع باللياقة من دون الحاجة إلى ممارسة الرياضة.



هكذا سيصبح الجسم الرياضي طبيعياً، والأشخاص الذين لا يملكون جسماً رياضياً هم من سيلفتون الأنظار. لذا، إن التزمت بخطتي الرياضية الحالية، فسوف أكون جاهزاً.



كان المسبح مكتظاً جداً، لذلك قررت أن أغطي رأسي بمنشفة وآخذ قسطاً من النوم.

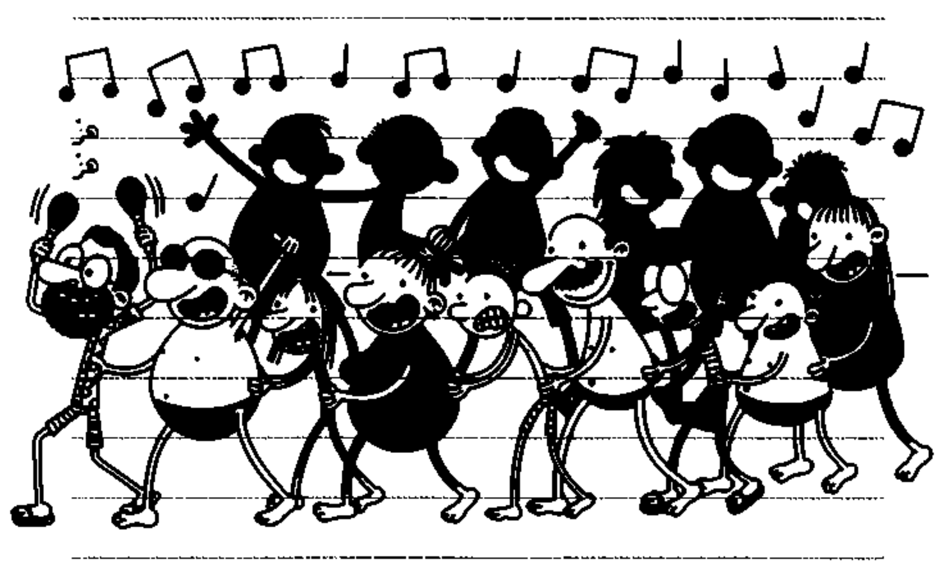
على الرغم من الحر، كان النسيم لطيفاً، وبدأت أغفو. لكن في وسط قيلولتي تماماً، ظهر شاب وأفسد اللحظة بأكملها.



كان هذا الشاب يطلق على نفسه «مدير المرح»، ويبدو أن وظيفته تنشيط الأجواء.

لسوء الحظ، كان الرجل بارعاً في عمله. وبشكل من الأشكال، جعلني أشاركه في أحد النشاطات.

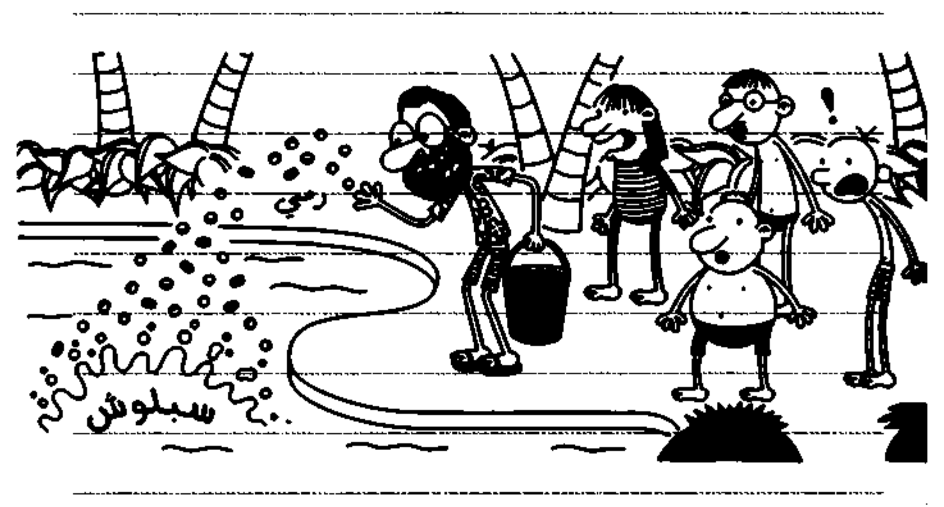
لكنني تمنيت لو لم أفعل، لأنه كان ينطوي على لمس أكثر مما أحب.



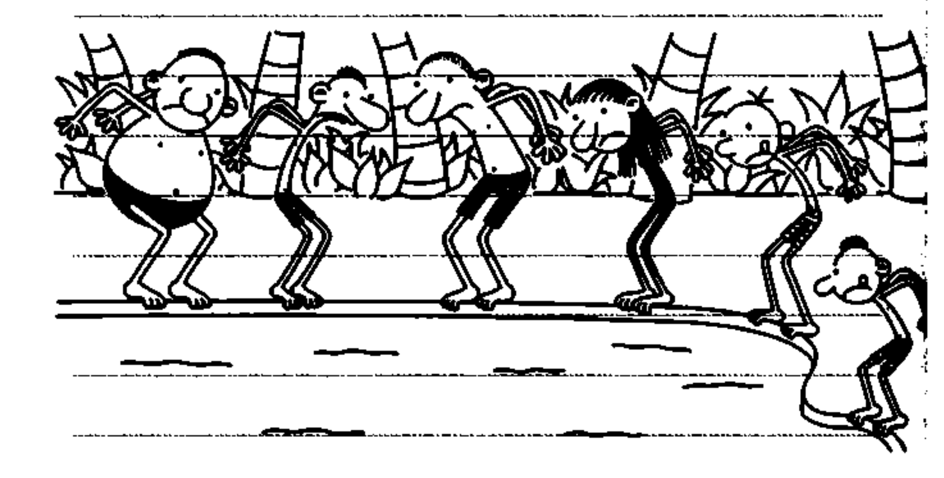
بعد انتهاء رقصة الكونغا، قال مدير المرح إن النشاط التالي هو «الغوص بحثاً عن الكنز» وأنه مخصص للأطفال. وبما أنني لم أكن مهتماً بالمشاركة في ألعاب طفولية سخيفة، فقد عدت للجلوس في مكاني. لكن عندما حمل دلواً ضخماً من القطع المعدنية، عاد واستحوذ على انتباهي.

طلب منا جميعاً نحن الأطفال الاصطفاف على حافة المسبح، ثم بدأ يرمي حفنات ضخمة من المال في الماء. ولم تكن مجرد قروش.

كان بينها عشرة سنتات وأرباع، وأنا واثق أنها كانت تضم بعض الدولارات الفضية أيضاً.

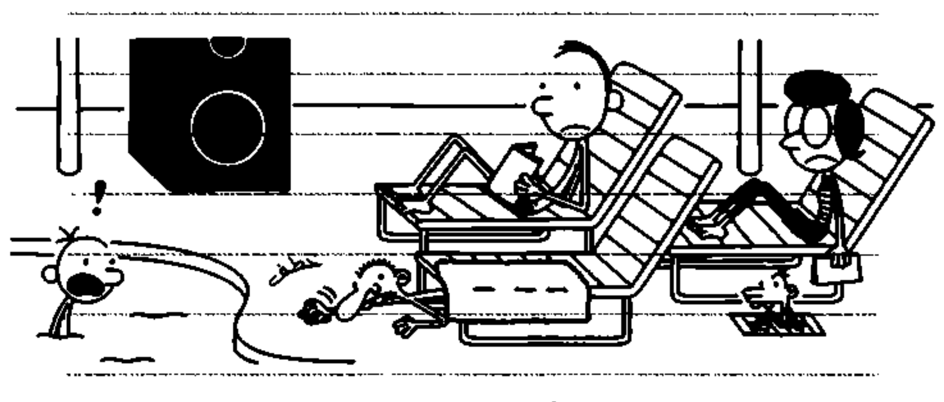


بعد أن فرغ الدلو، أصبح قعر البركة يحتوي على ما يزيد عن أربعمائة دولار حسب اعتقادي. فانتظر الجميع على حافة البركة سماع صفارة مدير المرح.

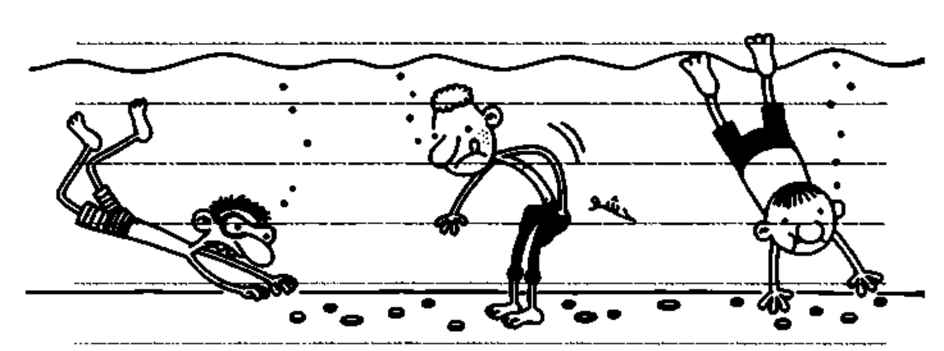


وحين فعل، بدأت مباراة شرسة.

تمكّنتُ من إخراج دولارين من القطع المعدنية في الغطسة الأولى، ووضعتها على حافة البركة بالقرب من كرسيي. لكن ولداً تسلل وسرقها منّي.



غير أنه لم يكن الغشاش الوحيد. فأحد الأولاد كان يرتدي سروالاً ملأ جيوبه بالقطع المعدنية.

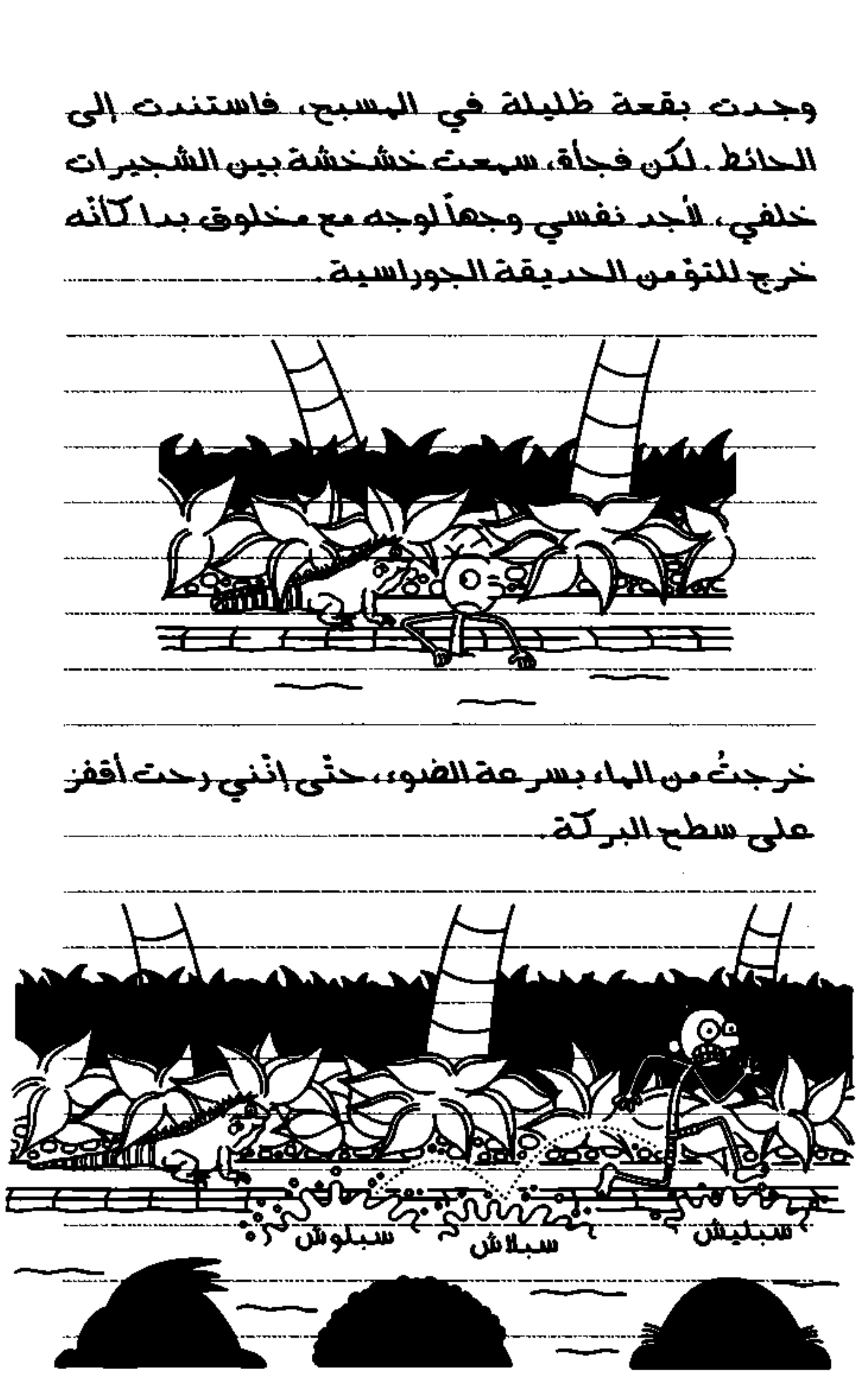


عندئذ راح الجميع يقذفونه، وبدأ الأولاد يخبئون قطع النقود أينما استطاعوا.

عندما انتهت اللعبة، أعتقد أنني خرجت بما مجموعه ثلاثة دولارات تقريباً. وبعدما أخلى الأولاد المسبح، فكرت أن الوقت مناسب للسباحة والاسترخاء قليلاً.

وجدت بقعة ظليلة في المسبح، فاستندت إلى الحائط. لكن فجأة، سمعت خشخشة بين الشجيرات خلفي، لأجد نفسي وجهاً لوجه مع مخلوق بدا كأنه خرج للتو من الحديقة الجوراسية.

خرجتُ من الماء بسرعة الضوء، حتى إنني رحت أقفز على سطح البركة.



أخبرتُ المنقذ بوجود ديناصور على حافة البركة، وقلت له إنّ عليه إخلاء المكان قبل أن يتأذى أحد.

لكن المنقذ لم يرفّ له جفن. قال لي إنّ السحلية العملاقة ليست سوى إغوانا، والمنتجع مليء بأمثالها. ثمّ أضاف أنّ الإغوانا تحبّ أحياناً النزول إلى المسبح.

في الحقيقة، هذا الكلام غيّر كلّ شيء. فبرأيي، ينبغي أن تعيش السحالي العملاقة في حديقة الحيوان، لا أن تختلط بنا نحن البشر.

اكتفيت من السباحة، لذلك سألت أمي ما إذا كان بإمكاننا تناول الغداء.

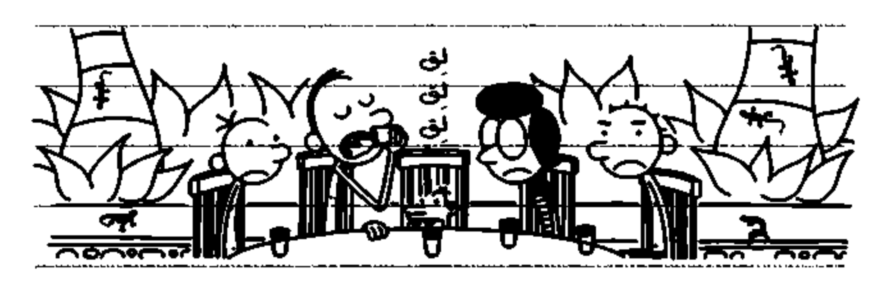
وجدَت أمي الفكرة جيدة، فبحثنا عن مكان في الجوار يضم شرفة.

لكن تبين لنا أن الشرفة كانت مشكلة. أولاً لم يكن هذا المكان يحتوي على الإغوانا فقط، بل كان فيه الوزغ، والعظاءات، والله أعلم بما تخبئه الشجيرات أيضاً.

ولم يكن ثمة سحالٍ فحسب، بل حلازين أيضاً، اضطررنا إلى دفعها عن الطاولة بأدواتنا.

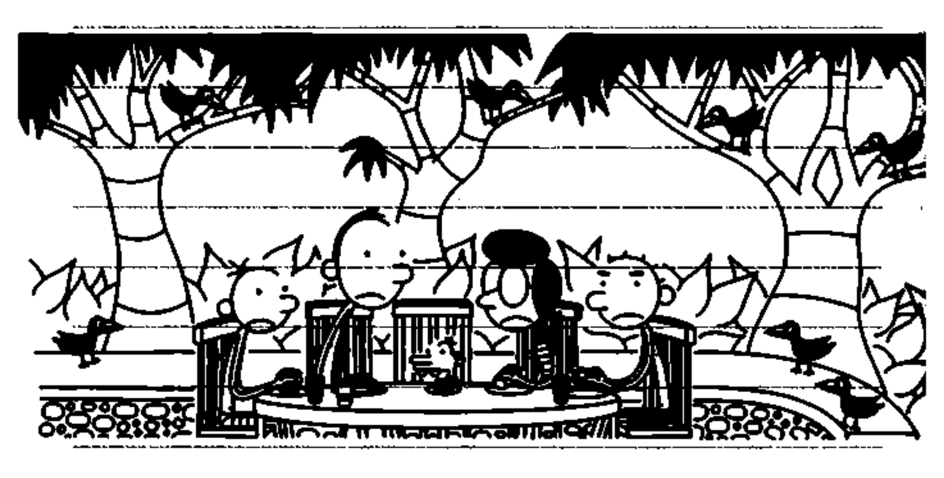
صبّ لنا النادل الماء من إبريق، لكن أمي طلبت منا عدم شربه. قالت إن معدتنا ليست معتادة على الجراثيم الموجودة في المياه هنا، وعلينا شرب المياه المعبأة في قنانٍ عوضاً عنها.

قال أبي إنه سيشرب منها لأنه أتى إلى هنا المكان سابقاً ومعدته معتادة على كل شيء.



أمّا أنا فلم أجازف، بل طلبت زجاجة مياه غازية وصببتها في كأس، كما طلبت البرغر والبطاطس المقلية.

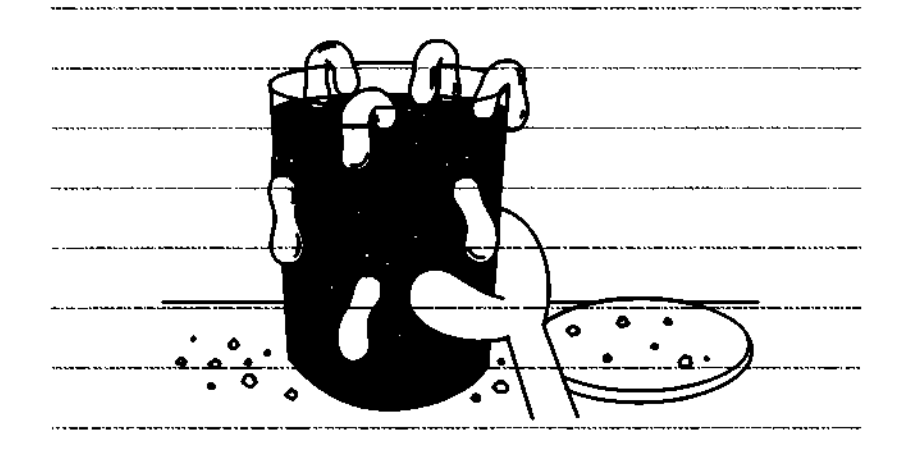
عندما وصل طعامنا، هبط عدد من الطيور وحطّ على الأشجار حول مائدتنا. في البداية، لم يزعجني ذلك، لأنّ وصول الطيور أخاف السحالي التي عادت إلى مخابئها.



فجأة، بدأ أحد الطيور يقفز على الأرض بجوارنا وبدا كأنه جريح.

غير أنها كانت مجرد خدعة كبيرة. فما إن التفتنا للنظر إليه، حتى هجمت الطيور الأخرى على طعامنا.

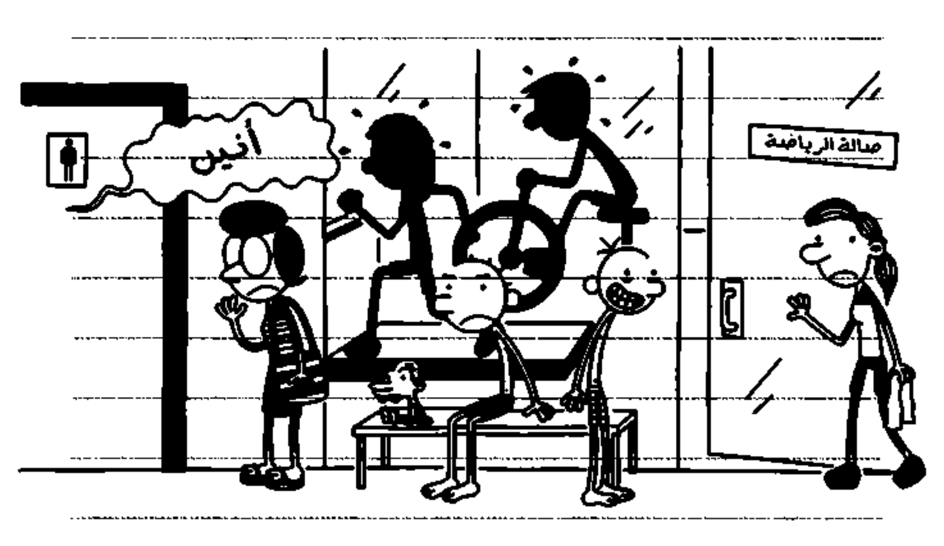
طردنا الطيور، لكنها كانت قد اختطفت نصف طعامنا، ولم يتبقَّ لنا سوى المشروبات. ولم يكن لنا نصيب فيها هي الأخرى، لأنَّ بعض الحلازين أتت لتتذوق شرابي، ولحسن الحظ رأيتها قبل أن أرتشف شيئاً منه.



من المفترض أن يكون هذا المكان أرض الأحلام، لكنه كان حتى الآن مجرد كابوس.

لم أرغب سوى في العودة إلى غرفتي والبقاء هناك، لكنَّ أمي قالت إنّنا بدأنا للتوّ باستكشاف المنتجع. فأعرب أبي عن رغبته في العودة إلى الغرفة هو أيضاً. قال إنه لا يشعر بالحماسة لذلك ويفضل الاستراحة قليلاً بعد تلك الرحلة.

توجّهنا عائدين إلى مبنانا، لكن أبي اضطرّ إلى التوقّف عند حمّام الردهة. ثمّ اضطرّ مجدداً لدخول الحمّام المجاور لصالة الألعاب الرياضية. لذلك، أظنّ أنّ أمّي كانت محقّة بشأن الماء.



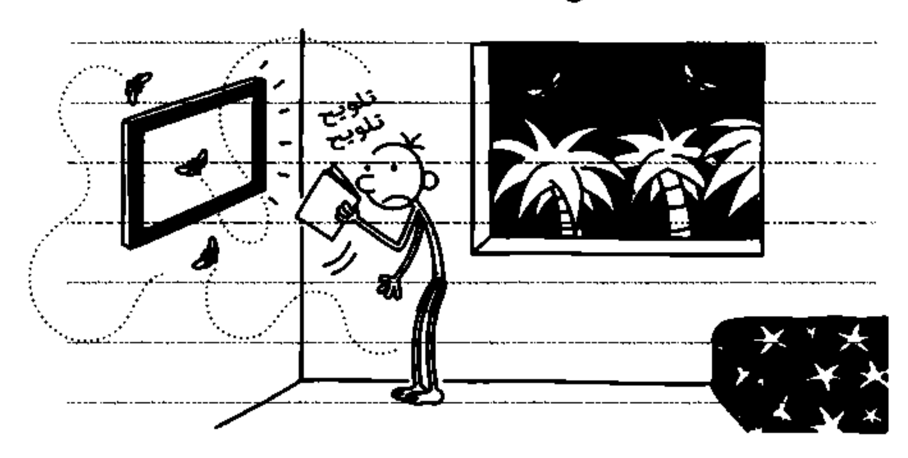
لم تكن بقيّة ذلك اليوم ممتعة لأحد منّا. فحين وصلنا إلى جناحنا، أغلق أبي على نفسه باب الحمّام، وأرسلتني أمّي لشراء دواء لمعدته.

لكنّ ملصقات الأدوية لم تكن بالعربية. لذلك أحضرت له شيئاً إمّا يشفي الإسهال أو يسبّبه.



ويبدو أن الدواء لم يفده، فاضطررنا إلى سماعه يئن ويتذمر طوال الليل.

شغلت فيلماً في غرفتي في محاولة للتغطية على صوته. لكن غرفتي كانت مفتوحة على الخارج، وما إن شغلت التلفزيون، حتى دخل سرب من الحشرات وحام حول الشاشة.



هكذا اضطررنا إلى إطفاء التلفزيون وجميع المصابيح في الجناح لكي تخرج الحشرات مجدداً. وانتهى بنا الأمر أنا ورودريك جالسَين في الظلام معظم الليل.

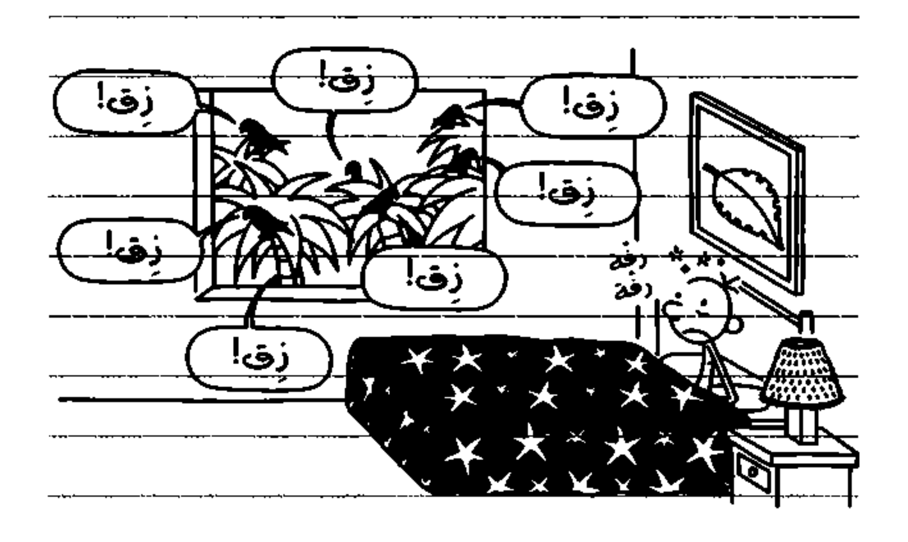
كنت أشعر بالتعب على أيّ حال، فحاولت أخذ قسط جيد من النوم. لكن ما إن تمددت في السرير، حتى ارتفعت الموسيقى من القسم الساخن من المنتجع. واحتفل أولئك الشباب طوال الليل.



الغريب أنني حتى تلك اللحظة نسيت أننا في عطلة العيد. ولم أعرف إلى أين تتجه هذه الرحلة، ولا كيف ستنتهي.

الأربعاء

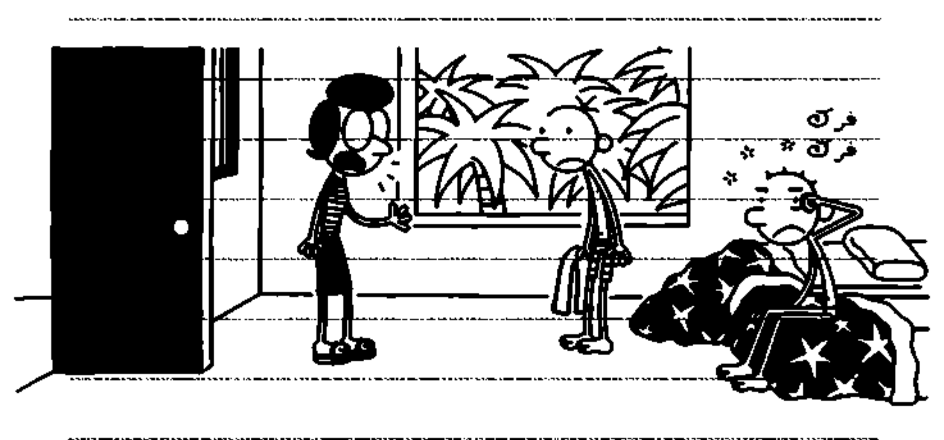
لا شك أنني كنت أستطيع النوم لأربع عشرة ساعة متواصلة، لكنني استيقظت مع بزوغ الفجر على صخب سرب من الطيور الاستوائية أمام نافذتي تماماً.



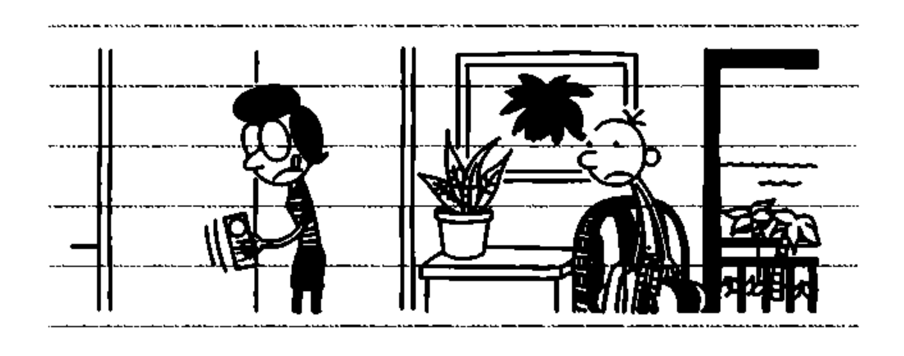
عندما نهضت من السرير، وجدت أمي مستيقظة أساساً. قالت إن أبي أمضى طوال الليل في الحمام، وعلينا الخروج لتركه ينام قليلاً.

كنت جاهزاً بالتأكيد لبداية جديدة، لذلك ارتديت ملابس السباحة وتوجهت إلى الباب. لكن أمي طلبت منا أنا ورودريك ترتيب سريرينا وغرفتنا.

ذكّرتُ أمي أننا في رحلة، وعلى خدمة الغرف أن تتولى ذلك عنا. فأجابت أننا لن نعيش مثل الحيوانات لمجرّد أننا في رحلة.

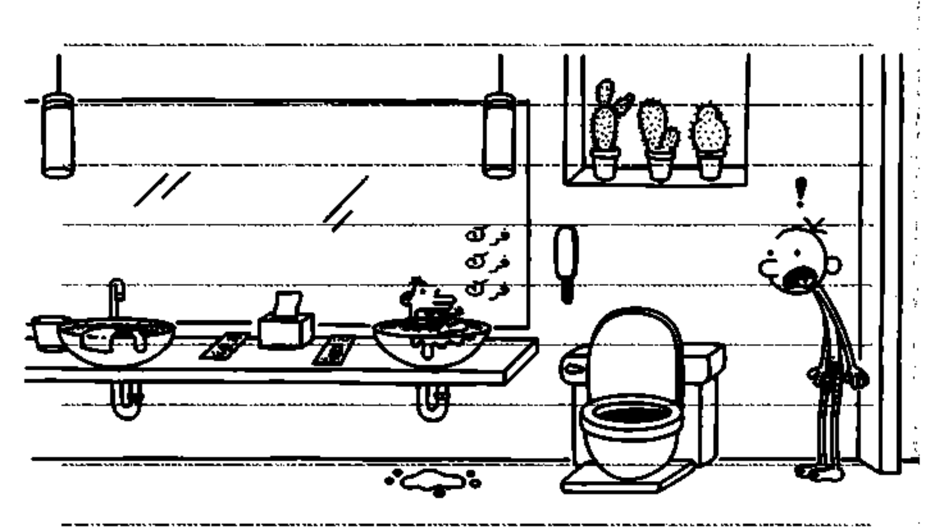


فقلت إنّ أجمل ما في الرحلات وجود من ينظّف بعدنا. لكنها أصرّت أننا هذا الأسبوع أيضاً سننظّف بأنفسنا. ثمّ علّقت إشارة «عدم الإزعاج» على الباب لكي لا يدخل موظفو خدمة الغرف.



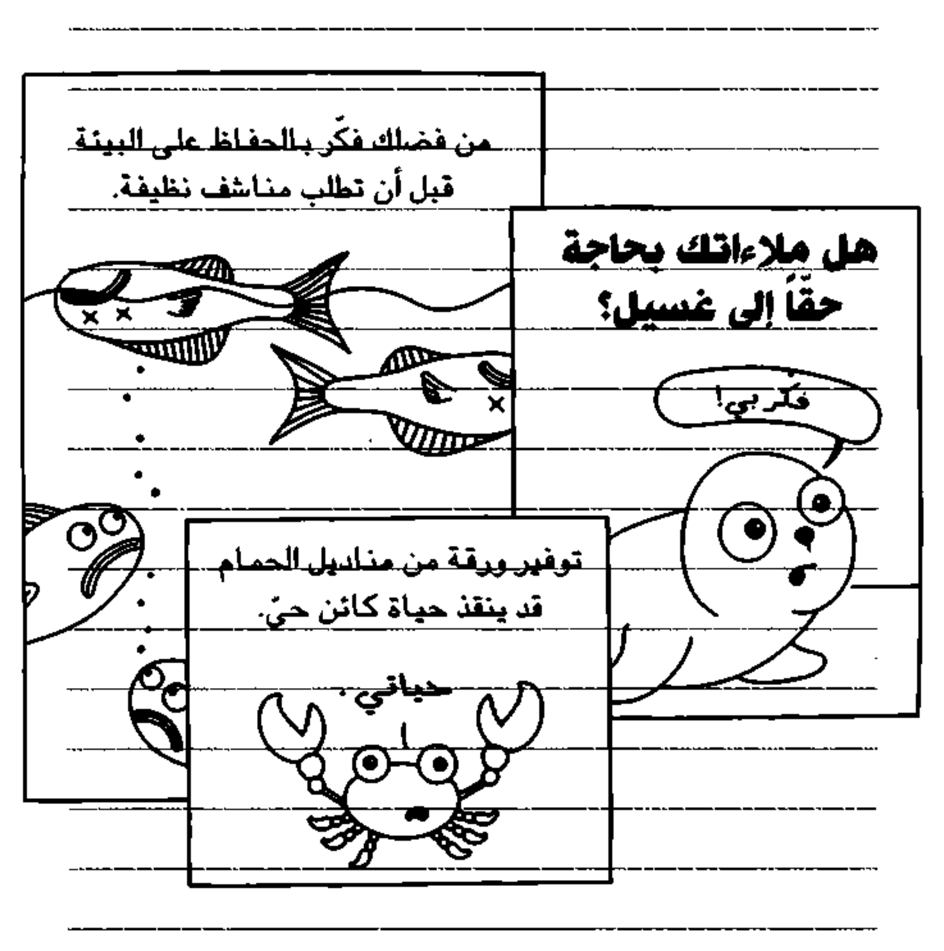
سألتُ أمّي كيف يفترض بنا غسل المناشف والملاءات، فقالت إنّنا سنغسلها في مغاسل الحمّام، كما نغسل ملابسنا.

إذاً، لم تكن أمّي تمزح حيال قيامنا بغسل الملابس. حتّى إنّني وجدت ماني في المغسلة يفرك ملابس أبي الداخلية، وأنا واثق أنّه كان يستعمل فرشاة أسنان رودريك.



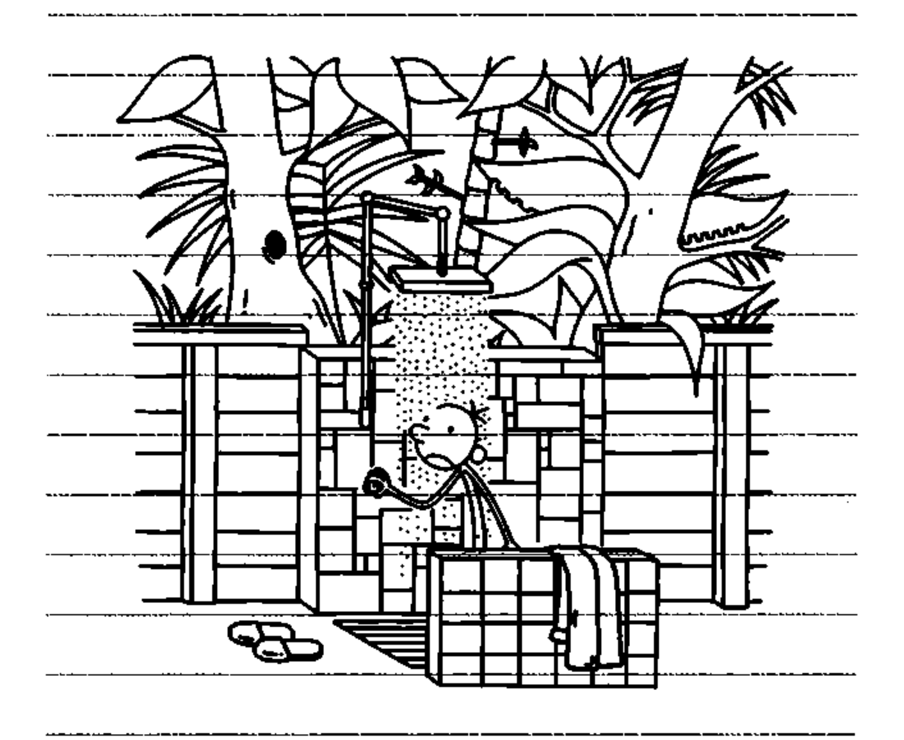
شخصياً، أعتقد أنّ أفضل ما في الإقامة في الفندق هو الحصول على مناشف وملاءات نظيفة كلّ يوم. لكنّ أمّي أشارت إلى أنّ الفنادق تستهلك أطناناً من مساحيق الغسيل، وإن أعدنا استخدام مناشفنا وملاءاتنا، فإنّنا نحافظ على البيئة.

عندئذٍ لاحظتُ وجود بطاقات في أرجاء الحمّام جعلتني أشعر بالذنب من طلب ملاءات جديدة.



طلبت منا أمي أن نتوجّه جميعاً إلى الشاطئ، لكنني أردت البقاء للاستحمام. في الحقيقة، ما أردته هو أن آخذ وقتي هناك. فأنا أعرف أنها ما دامت في الجناح، فلن تكفّ عن الإلحاح لكي لا أُكثر من صرف الماء الساخن.

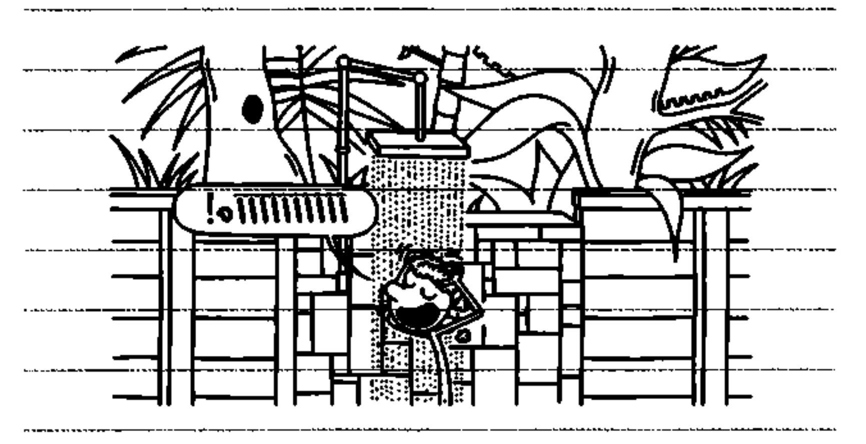
العجيب في حجرة الاستحمام أنها كانت في الهواء الطلق تماماً. فاستغرقتُ بعض الوقت لأعتاد على ذلك لأنني خشيت أن يطلّ أحد من خلف الجدار.



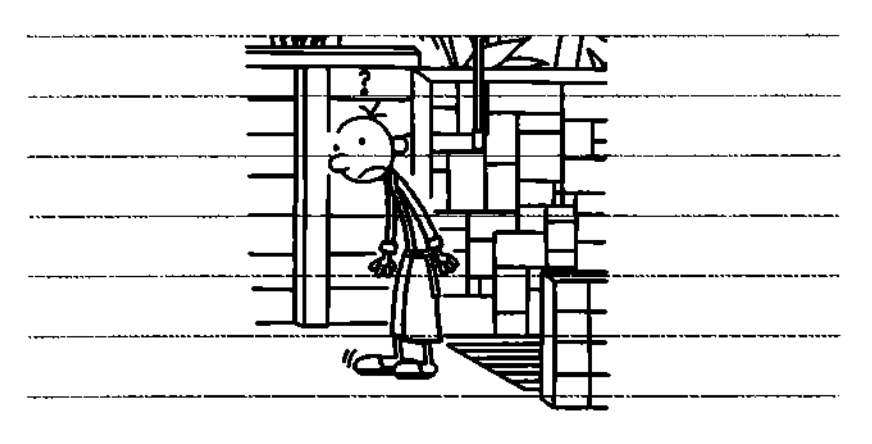
أعتقد أن بعض الناس لا ينزعجون من الاستحمام في الهواء الطلق، لكن صدقوني لست واحداً منهم.

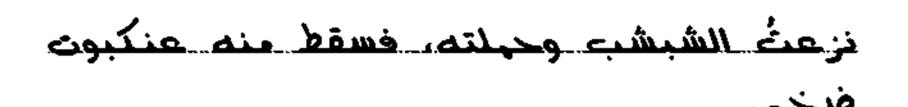
فحين يعتاد الإنسان على نمط حياة معين، يصعب عليه التخلي عنه.

لكن ما إن اعتدت على هذا الحمام في الهواء الطلق،
حتى أدمنت عليه. فقد كان يشتمل على إعدادات
مختلفة، مثل «النبض» و«التدليك». فجربتها
جميعاً، لكن «المطر» كان المفضل لدي على الأرجح.

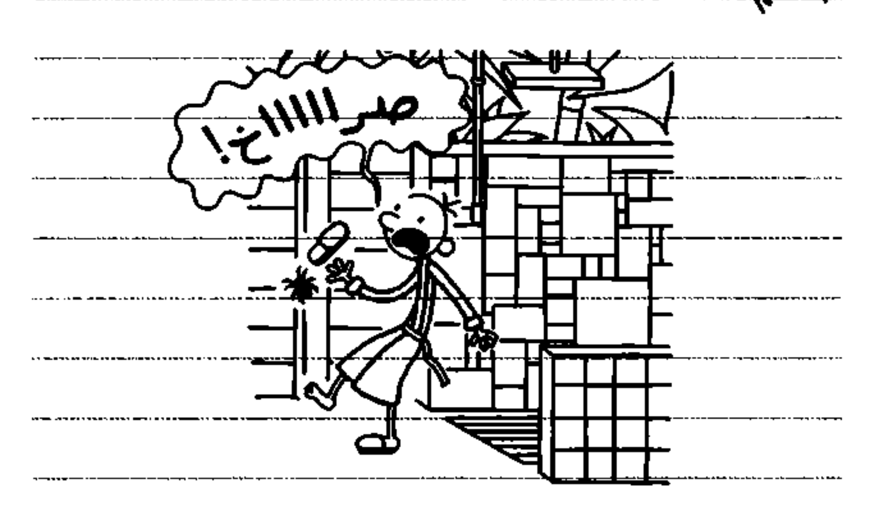


أظن أنني بقيت تحت الدش خمساً وأربعين دقيقة.
وحين انتهيت، خرجت وارتديت ثوب الاستحمام.
لكن عندما حاولت انتعال فردة الشبشب اليمنى،
شعرت بوجود شيء في الداخل.





نزعتُ الشبشب وحملته، فسقط منه عنكبوت ضخم



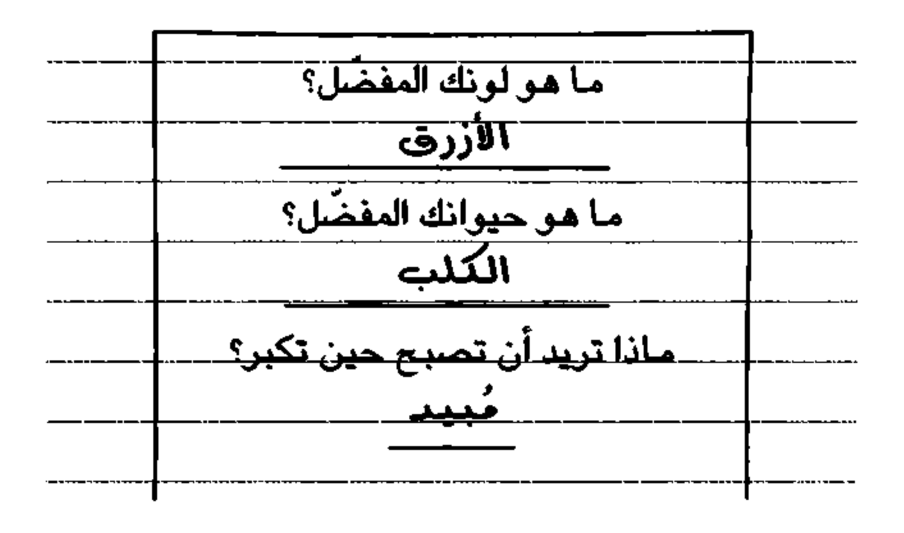
غير أنه لم يكن عنكبوتاً عادياً. بل كان بحجم يدي. وحين سقط على الأرض، تسلقت المغسلة لكي لا أكون على نفس المستوى معه.

في الواقع، أنا أخشى العناكب منذ أن كنت في السابعة من عمري. فقد دخلت مرآب منزلنا في أحد فصول الصيف، ووجدت في الزاوية شيئاً يشبه كرة القطن، فوكزتها بقبضة مكنسة.

غير أنها لم تكن كرة قطن، بل كيس بيوض يعج بآلاف العناكب الصغيرة.

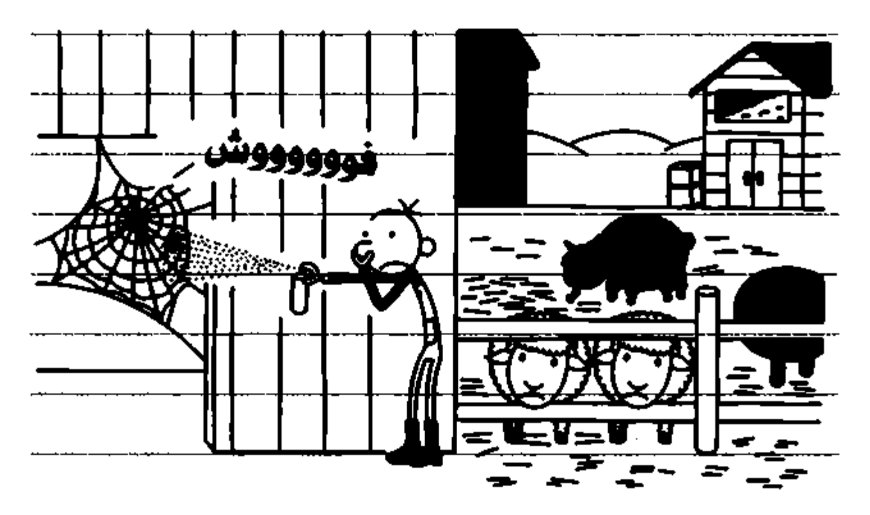
وحين بدأت المدرسة في الخريف، طلبت منا المدرسة الإجابة عن أسئلة حول ما نريد فعله عندما نكبر.

فكتب الجميع أشياء مثل «رائد فضاء» و«طبيب بيطري» وما إلى ذلك. أما أنا فلم أفعل.

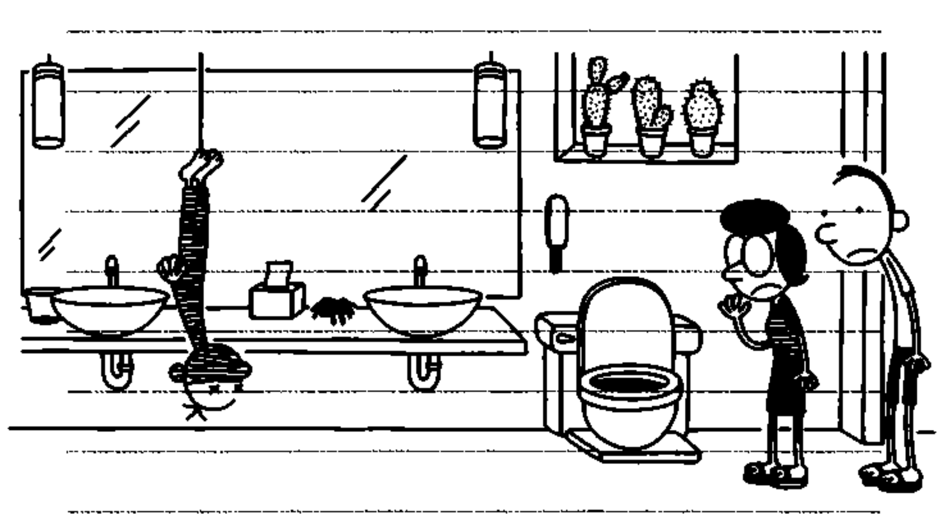

ما هو لونك المفضّل؟
الأزرق
ما هو حيوانك المفضّل؟
الكلب
ماذا تريد أن تصبح حين تكبر؟
مُبيد

والآن، كلما رأيت عنكبوتاً أعود إلى ذلك اليوم الذي كنت فيه في السابعة. حتى إنني لا أحب القراءة عن العناكب.

صدقوني، لو كنت شخصية في كتاب «شبكة شارلوت»، لكانت قصة قصيرة جداً.



تخيلت أنه مع حظي الذي أعرفه جيداً، لا بدّ أن يكون العنكبوت الضخم سامّاً. فقد قرأت أنّ بعض العناكب تلسع فريستها، ثمّ تلفّها لكي تتمكّن من أكلها حيّة، الأمر الذي لم يبدُ لي ممتعاً جدّاً.



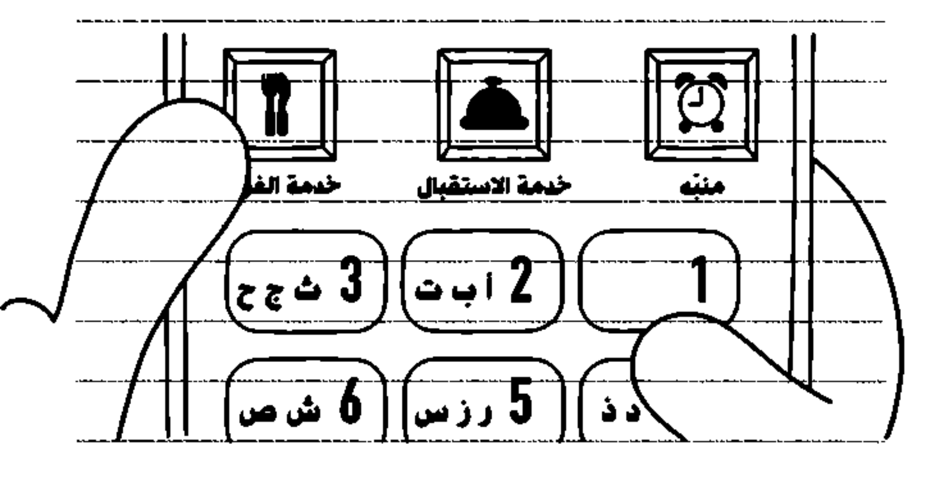
لسبب ما، لم يتحرّك العنكبوت من مكانه. إمّا أن يكون قد ظنّ أنه موّه نفسه على الأرضية الرخامية ولا أستطيع رؤيته، وإمّا أنّه يحاول التفكير في خطوته التالية، مثلي تماماً.

فكّرت في رمي الشبشب عليه، لكنّني خفت ألّا أصيبه وأثير غضبه. وحتّى لو أصبته بالفعل، فمن المرجّح ألّا يسبّب الشبشب أيّ أذى لهذا المخلوق.

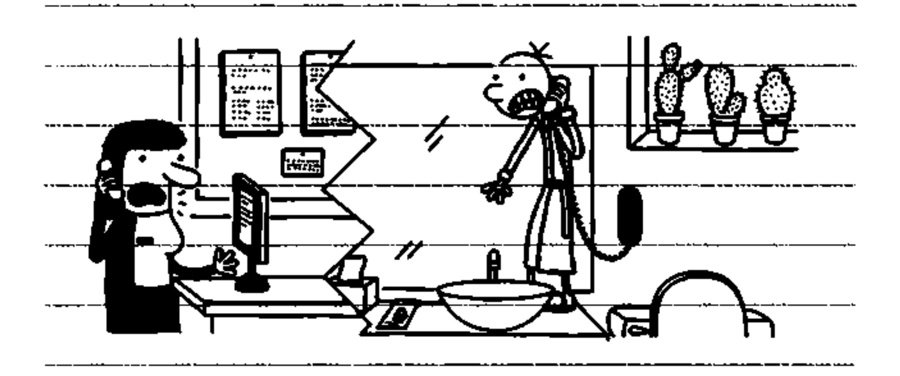
ناديت أبي لكي يأتي لنجدتي، لكني لم أسمع سوى أنين ضعيف من غرفته. عندئذ تذكرت الهاتف. فطلبتُ رقم الطوارئ لأحصل على رسالة مسجّلة مسبقاً.



كان في الهاتف أزرار عديدة أخرى، لكن أياً منها لا يناسب المأزق الذي كنت فيه. فضغطت على زرّ «خدمة الغرف»، لأنه كان الأنسب برأيي.



أجابت سيندي، فأخبرتها عن مشكلتي مع العنكبوت وطلبتُ إرسال شخص على وجه السرعة. لكن إما أنني كنت أتكلم بسرعة كبيرة، وإما أنها فهمت خطأ، لأنها راحت تسأل ماذا أريد للإفطار.

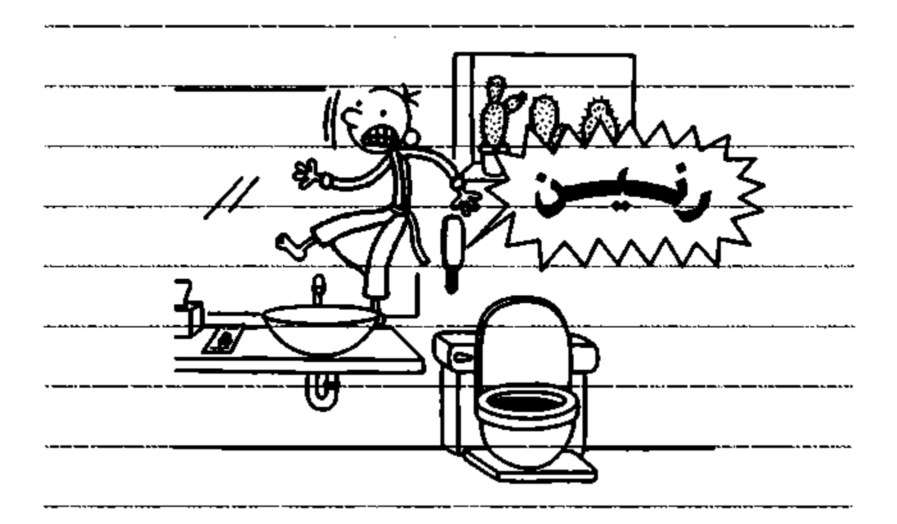


في نهاية المطاف، استسلمت وطلبت البيض المخفوق مع اللحم. فبصراحة، لم أعد أكترث كم سيستغرق وصول أحد ما دام سيأتي بسرعة.

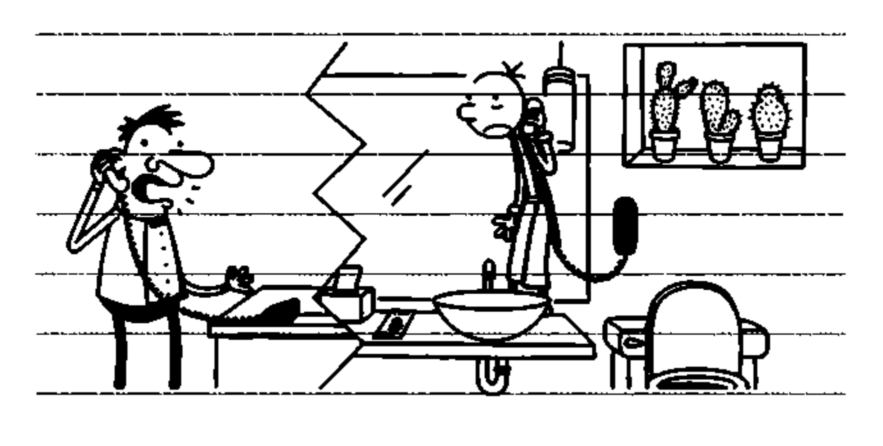
عندما أغلقتُ الهاتف، أُجفل العنكبوت وأخذ يجري على الأرض، إلى أن توقف أمام المغسلة تماماً.

أصبح ذلك الشيء أقرب الآن، حتى عجزت عن التحرك من مكاني.

وقفت جامداً في مكاني لربع ساعة تقريباً، وأنا بالكاد أتنفس. فجأة رنّ الهاتف، فأجفلني الصوت واختلّ توازني.



كان النادل من خدمة الغرف. قال إنه أتى إلى جناحنا لإيصال الطعام، لكنه وجد إشارة «عدم الإزعاج» على الباب، فعاد أدراجه إلى المطبخ.

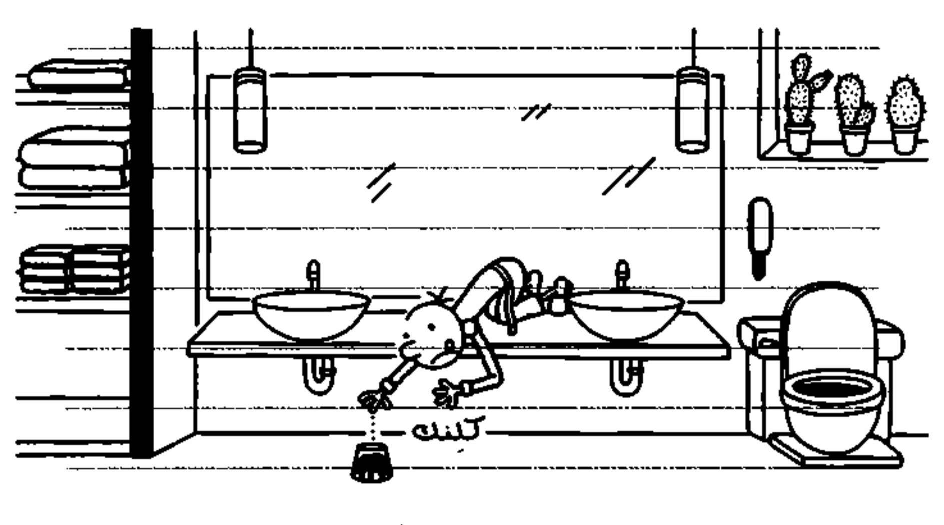


مكتبة

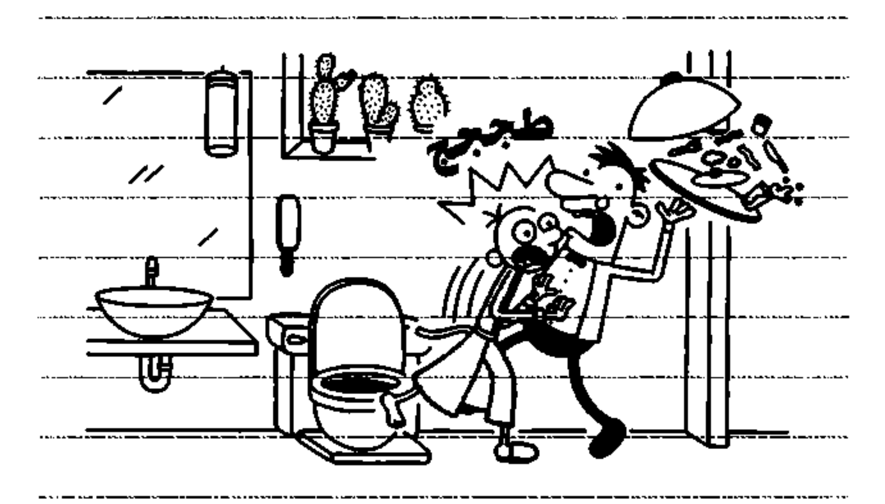
طلبت منه العودة إلى الغرفة، وأعطيته الإذن بخلع
الباب إن أراد.

عندما أغلقتُ الخط، بدأ العنكبوت يسير مجدداً. فخشيت أن يكتشف مكاني ويحاول مهاجمتي. بحثت عن شيء يمكنني استعماله لأدافع به عن نفسي، لكنني لم أجد سوى كوب على المغسلة.

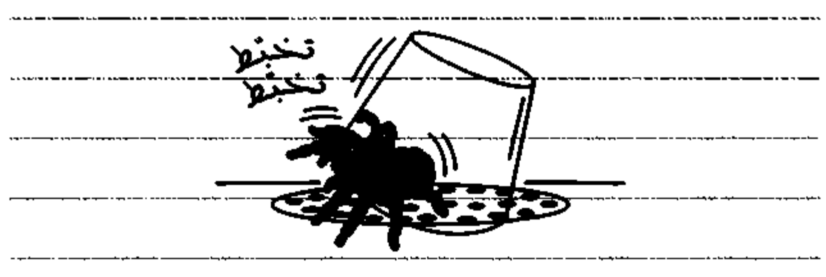
أدركت أنه في حال اقتراب العنكبوت لمسافة كافية، يمكنني أن أحتجزه بواسطته. وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأ يقترب إلى أن أصبح تحتي مباشرة. عندئذ، أسقطتُ الكوب فوقه.



أخذ العنكبوت يتخبط داخل الكوب، لكنه لم يستطع الخروج. فنزلت عن المغسلة ببطء شديد، وتراجعت إلى خارج الحمام، وعيناي عليه. لكن عندما استدرتُ، ارتطمت مباشرة بالنادل.



تسبب الضجيج بتحرّك العنكبوت مجدداً، واصطحب الكوب معه. في البداية، لم أخف، لأنه لا يزال محتجزاً بداخله. لكن عندما وصل إلى مصرف الماء، كانت الأرض أكثر انخفاضاً هناك، وهذا ما منحه مساحة كافية ليفلتَ من تحت الكوب.



عندئذٍ اكتشفت أن موظف خدمة الغرف يعاني من المشكلة نفسها التي أعاني منها.



عرفت أنه علي أن أتعامل بنفسي مع هذا المخلوق، لذلك حاولت احتجازه تحت غطاء طبق الطعام. لكن العنكبوت لم يكن يسير في خط مستقيم، وهذا ما جعل الأمر أصعب.

أخيراً استطعتُ تثبيته على الجدار. غير أنني لم أعرف ماذا أفعل بعد ذلك، لأنني إن رفعت الغطاء سيخرج ويهرب مجدداً.

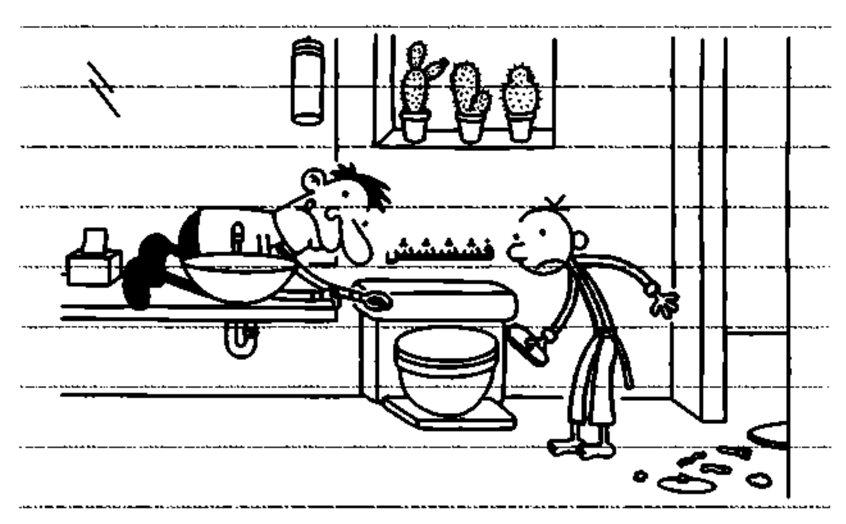
فجأة لاحظتُ أن إحدى قوائم العنكبوت بارزة من تحت الغطاء.



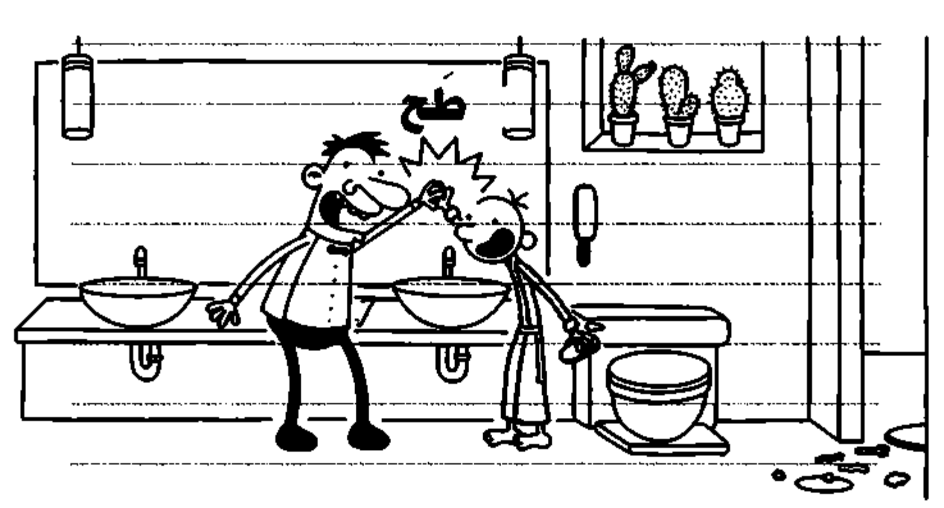
فحاولت تحريكه لكي أغطي العنكبوت بأكمله، لكني اعتقد أنني ضغطت بقوة، لأن قائمته سقطت.

وقع العنكبوت على الأرض، وجن جنونه تماماً فأخذتُ أجري على رؤوس أصابعي محاولاً النجاة بنفسي.

بعد ذلك، ارتكب العنكبوت خطأً فادحاً. إذ تسلّق حافة المرحاض، فدفعتُه إلى الداخل بشبشبي، ثم أغلقتُ الغطاء. وأنهى الشاب المهمة.

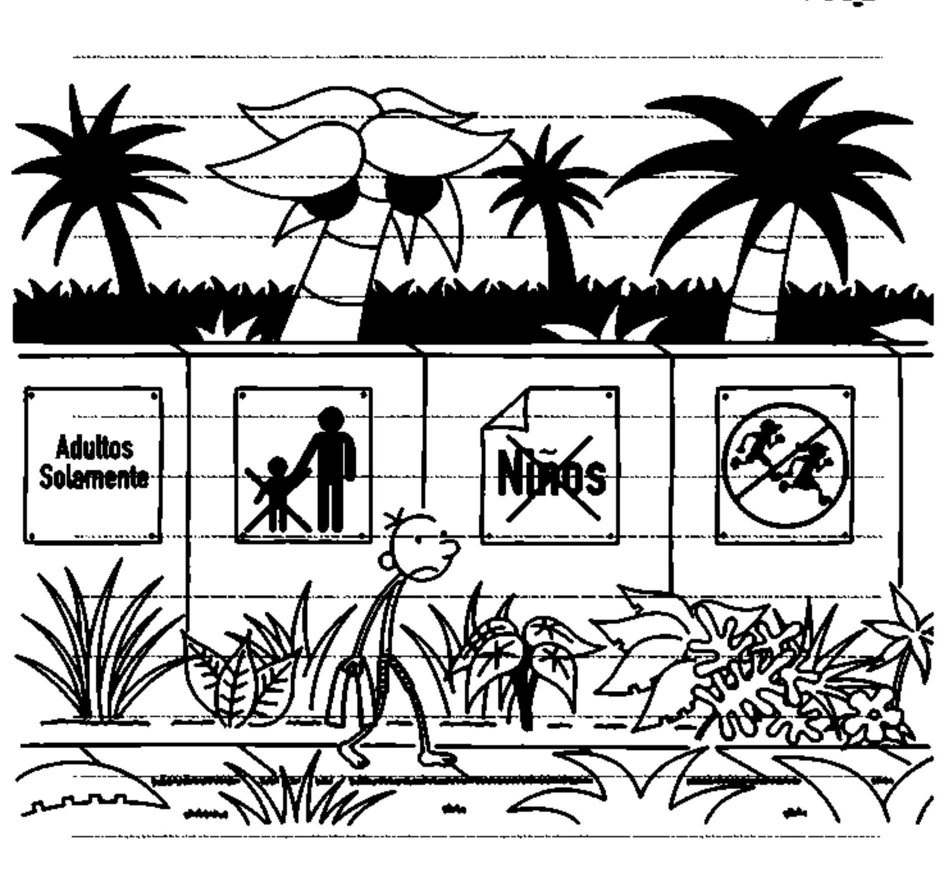


أقرّ أننا أنجزنا عملاً ممتازاً نحن الاثنان معاً كفريق. وإن فكّرتُ يوماً بتأسيس مشروع المبيد ذاك، فقد أبحثُ حتماً عن هذا الشاب.

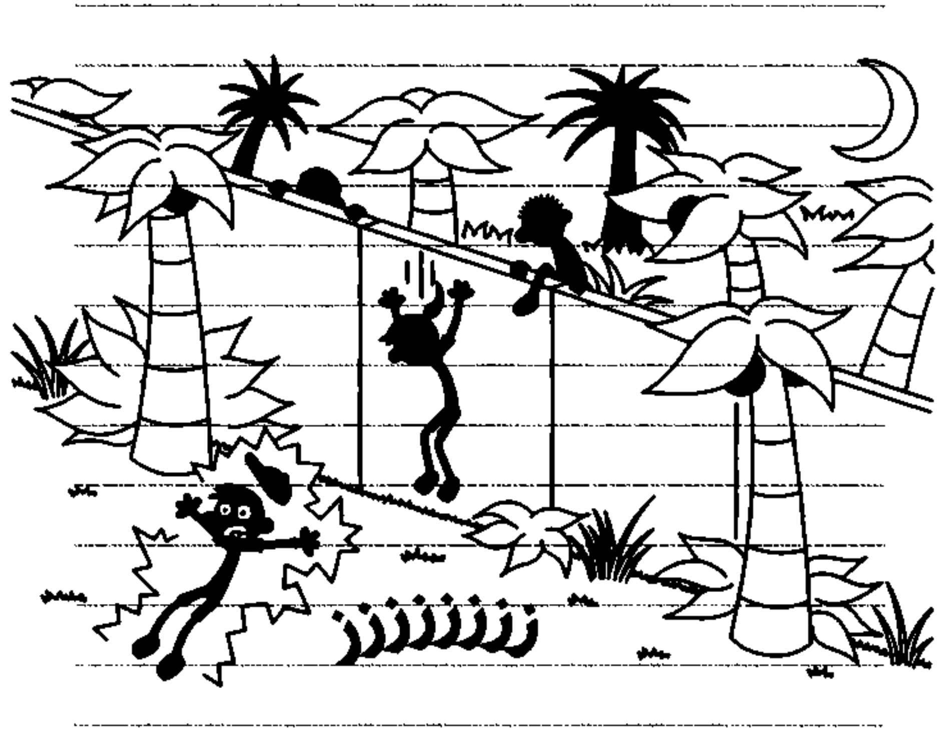


بعد مواجهتي مع العنكبوت، شعرت بلهفة كبيرة لمغادرة الغرفة. فحملت خارطة المنتجع لأجد طريقي إلى الشاطئ، لكنني تُهت وانتهى بي الأمر عند الجدار الفاصل بين القسمين.

أعتقد أنني أفهم سبب استبعاد الأولاد من ذلك الجزء. لكن إن سألتموني، يبدو لي ذلك مبالغاً فيه.



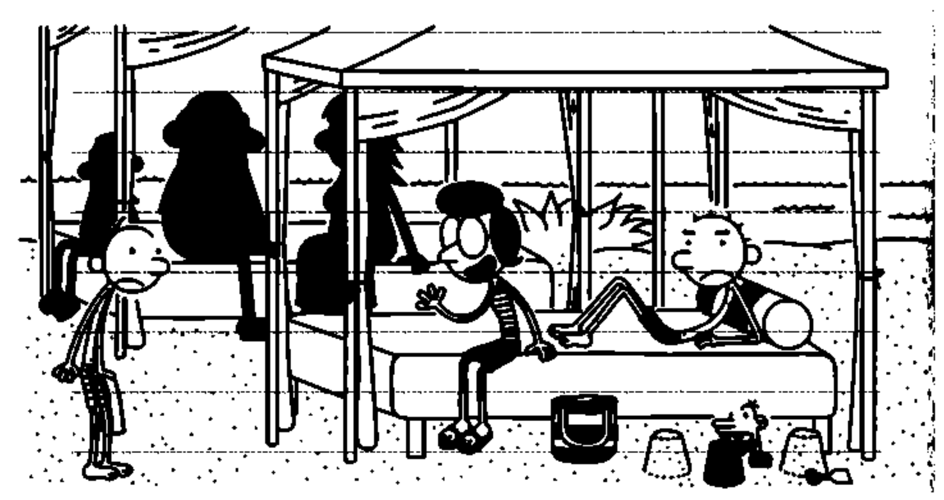
بدأت أتساءل ما إذا كانت مفاتيح الغرفة هي في الواقع أجهزة تعقب. فبتلك الطريقة، يمكنهم القبض على أي ولد يتسلل إلى القسم الآخر.



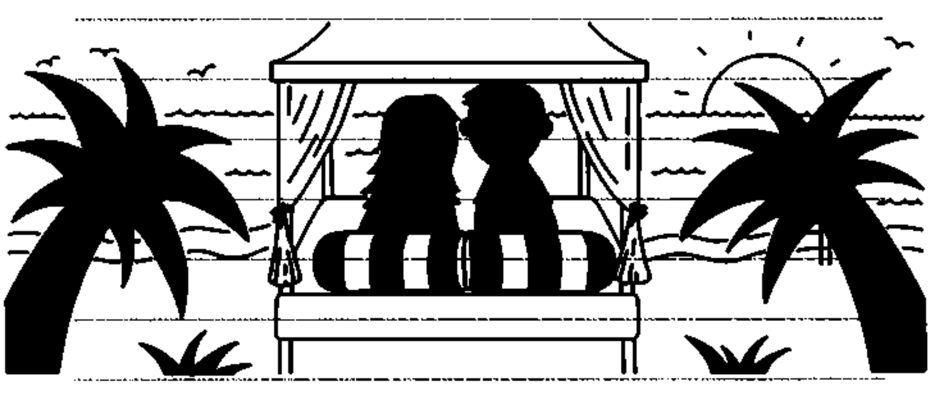
عندما وصلت إلى الشاطئ، وجدته مزدحماً بالعائلات. فخطر ببالي أن السبب الحقيقي لوجود الجدار هو حماية نزلاء القسم الآخر من رؤية ما يجري في جانبنا.

فلو عرفوا ما ينتظرهم، فمن المستحيل أن يقرروا إنجاب أولاد.

كانت أمي قد استأجرت إحدى تلك الخيم لأسرتنا.
ومع أنني لم أكن شديد الحماسة لمشاركة سرير مع
بقية أفراد أسرتي، إلا أنني أقنعت نفسي بالقبول
لكي أحتمي على الأقل من أشعة الشمس.



تذكّرتُ خيم الشاطئ من الفيلم الذي عرضوه علينا في الحافلة المكوكية. فقد أظهروا شخصين يُمضيان وقتاً رومانسياً وهما يشاهدان غروب الشمس.



في الحقيقة، قد يكون هذا هو الحال في الجانب الآخر من المنتجع، أما من جانبنا، فالقصة مختلفة تماماً.

قالت أمي لي ولرودريك إنها ستصطحب ماني إلى الحمام، وطلبت منا البقاء في الخيمة. أضافت أنها الخيمة الأخيرة، وإن تركناها سيستولي عليها شخص آخر.

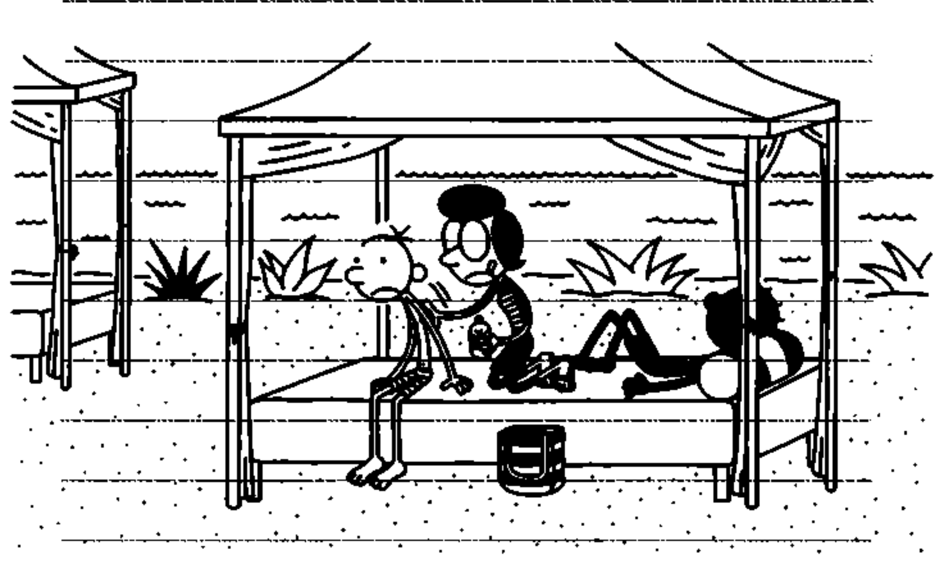
كان أفراد إحدى الأسر ينتظرون إيجاد مكان لهم قد بالغوا في ارتداء ملابس الشاطئ. عرفت الولد الأكبر سناً، وكان قد شارك في الغوص بحثاً عن الكنز في اليوم السابق. أعتقد أن أحداً لم يخبر أولئك الناس أنه لا يجدر بهم ارتداء ملابس شتوية في طقس كهذا.

بدا أولئك الأشخاص أنهم بحاجة حقاً إلى بعض الظلّ، وشعرتُ بالذنب بعض الشيء. فحاولت ألا أنظر إليهم.



أخيراً أتت أمي ومَاني، فانطلق ماني لجمع الأصداف.

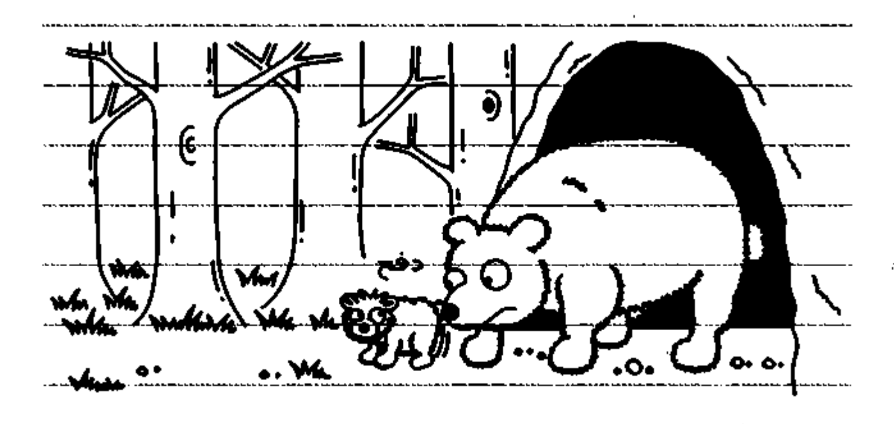
فتحت أمي المرهم الواقي من الشمس، وبدأت تضع منه لي ولرودريك. ففرحتُ لأنَّ أبي لم يكن هناك لأنه يغضب دائماً عندما تقوم أمي بالأشياء التي يفترض بنا نحن القيام بها برأيه.



لكن أعتقد أنَّ هذا كلّه جزء من خطّة أمي. فهي لا تريدنا أن نصبح مستقلّين، لأننا لن نعود بحاجة إليها لاحقاً. لكن أظن أنَّ هذا السلوك قد ينقلب ضدها.

فإن استمرت الأمور على هذا النحو، من المحتمل جداً أن نصل إلى الجامعة أنا ورودريك من دون أن نتعلم كيف نقص أظافر أقدامنا.

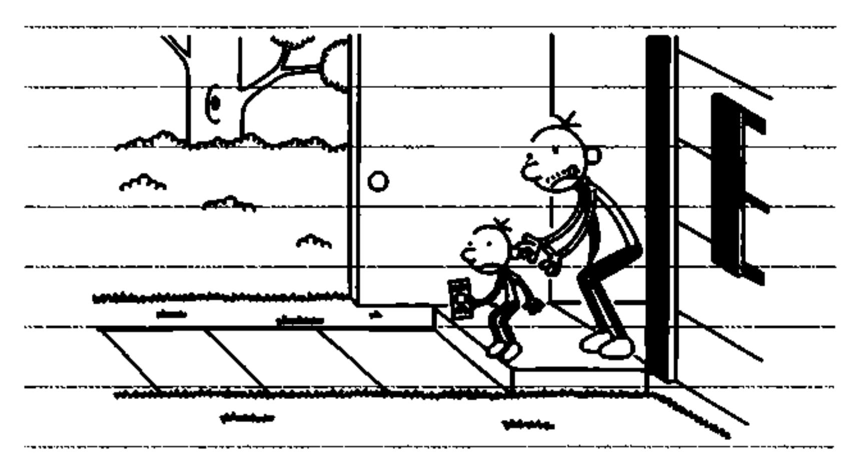
وهذا من الأمور التي يختلف بها الحيوانات عنا نحن البشر. فقد تعلمتُ في المدرسة أنه ما إن يبلغ صغير الدب عاماً ونصف عام من عمره، حتى ترسله أمه إلى الغابة لكي يعتني بنفسه.



أما بنو البشر فيعيشون مع أهلهم ثمانية عشر عاماً قبل أن يصبحوا جاهزين للخروج إلى العالم.

إن أصبحتُ أباً يوماً ما، سأكون مثل الدببة. أولاً، لن أمضي الكثير من الوقت في تعليم أولادي أموراً لا جدوى منها، مثل أحرف الأبجدية والألوان والأشكال.

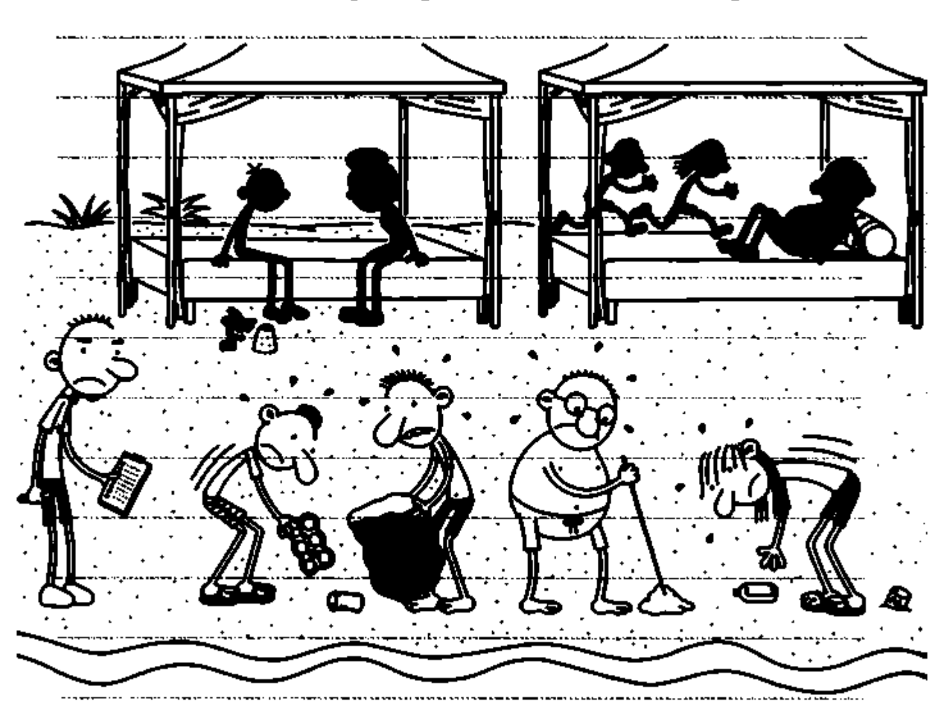
وما إن يصبح ولدي كبيراً بما فيه الكفاية لعبور الشارع بأمان وطلب الطعام من المطعم، فإنني سأطلق سراحه.



بعدما دهَنت أمي بشرة رودريك بواقي الشمس، طلبَت منه الذهاب إلى منطقة المراهقين ليحاول التواصل مع أولاد من سنّه.

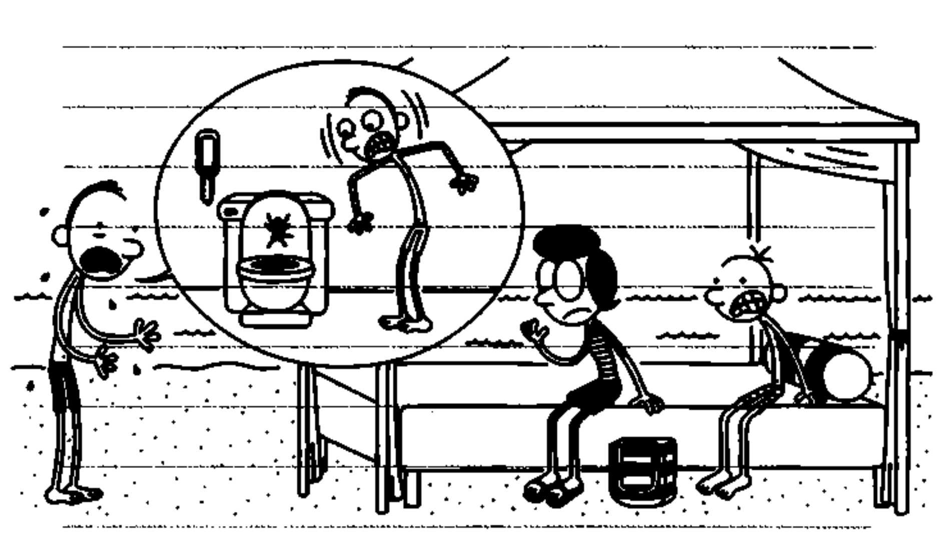
لم أعتقد أن رودريك مهتم بذلك، لكنه ذهب لإلقاء نظرة. فتحمست أمي وقالت إنه علي أن أحاول تمضية الوقت مع أولاد العمر المحير، الذين كانوا يقومون بصيد الأجسام الغريبة عن الشاطئ.

لكن كان من الواضح أن «صيد الأجسام الغريبة» ليس سوى الاسم المموه لعملية تنظيف الشاطئ، ولم أرغب في المشاركة إطلاقاً في شيء كهذا.



فرحتُ عندما ذهب رودريك لأن ذلك منحني مساحة أكبر في الخيمة. لكن بعد لحظة، وصل أبي وبدا شاحباً جداً.

ظننت أنه ما زال يعاني من مشاكل في معدته، لكن الأمر لم يكن كذلك. قال إنه عندما دخل لاستعمال الحمام في غرفتنا، وجد عنكبوتاً ضخماً تحت غطاء المرحاض. لذا أعتقد أننا لم نقضِ عليه تماماً.



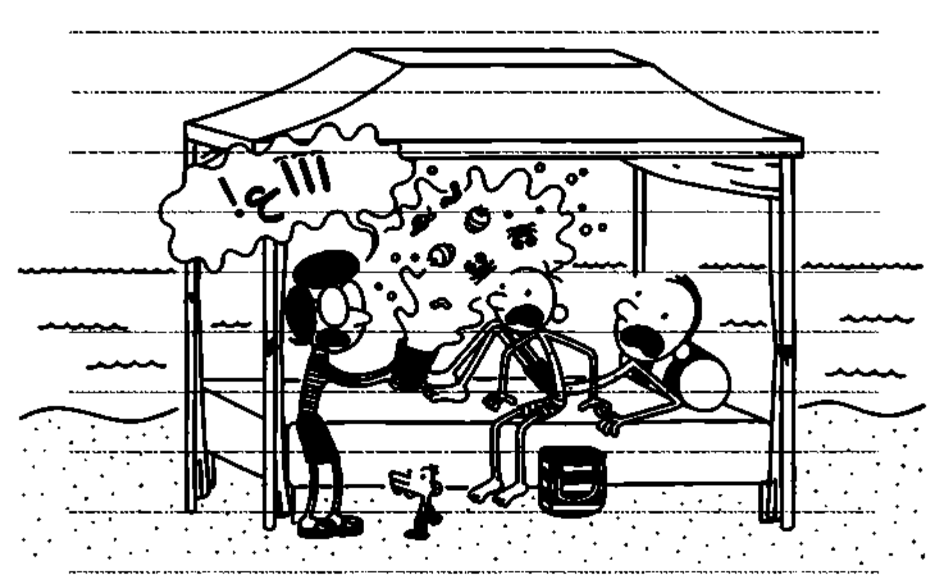
سألت أبي عما فعله، فقال إنه ضرب العنكبوت بثوب الاستحمام الذي كان مرمياً على الأرض. إذاً، بات من المستحيل أن أرتدي ذلك الشيء مجدداً.

سألته ما إذا قتل العنكبوت. فقال إنه غير واثق، لأن العنكبوت اختفى بعد الضربة.

بعد القصة التي سمعتُها من أبي، أصبح من المستحيل أن أستعمل حمامنا مجدداً. ولحسن الحظ، كان ثمة حجرة استحمام في الهواء الطلق بجوار المسبح.

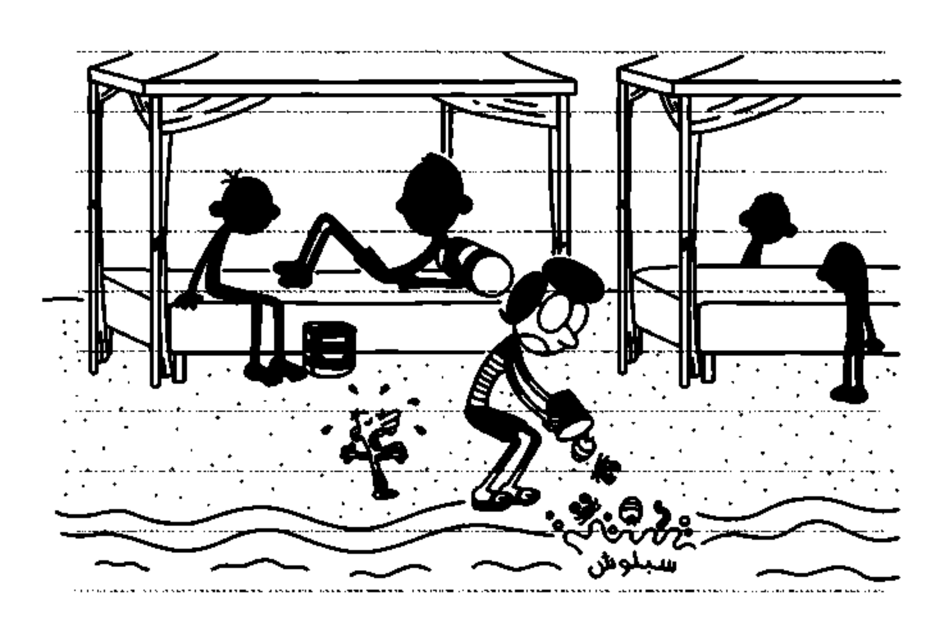
بدا أبي مصدوماً كثيراً بعد تلك الحادثة مع العنكبوت، فطلبَت منه أمي أن يتمدد ويأخذ بضعة أنفاس عميقة. عندئذٍ أتى ماني ومعه الدلو، وأراد أن يُريَ أمي ما جمعه.

أعتقد أن أمي كانت تتوقع وجود حفنة من الصدف في الدلو، لكنه كان في الواقع مليئاً حتى حافته بالسرطانات، والقواقع، وشتى أنواع الكائنات الحية.



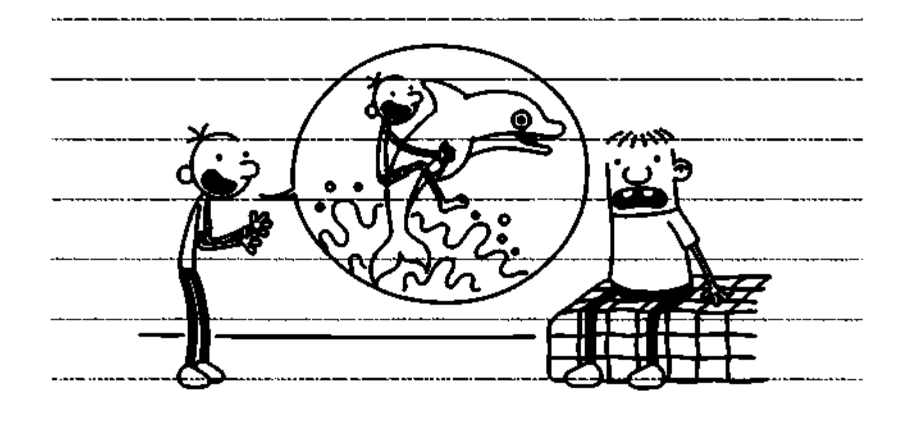
والآن أخذت تلك المخلوقات تزحف على فراشنا.

أعادت أمي المخلوقات إلى الدلو، وقالت لماني إنه لا يستطيع الاحتفاظ بهذه الأشياء كحيوانات أليفة، لكن لم يبدُ أنه فهم. ثم حملَت الدلو وأطلقَتها في الماء.

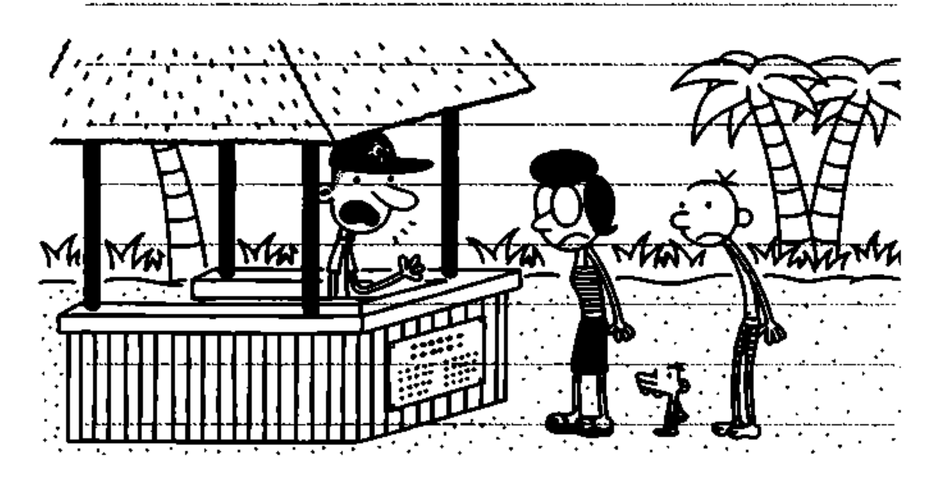


أرادت أمي أن تُلهي ماني، فاصطحبته إلى كوخ الأنشطة لإلقاء نظرة على ما لديهم للأولاد الصغار. وبما أنني لم أرغب بالاستلقاء في الخيمة طوال اليوم، قررتُ مرافقتهما.

كان النشاط الذي أردتُ حقاً تجربته هو السباحة مع الدلافين. والسبب الأساسي لرغبتي في ذلك هو أن يكون لدي شيء أتباهى به أمام راولي بعد عودتي.



غير أن الموظف عند كوخ الأنشطة قال إن السباحة مع الدلافين واسعة الشعبية وهي محجوزة بالكامل. وعندما سألته أمي ما إذا كنا نستطيع أن نحجز لليوم التالي، أجابها أنها محجوزة طوال الأسبوع.



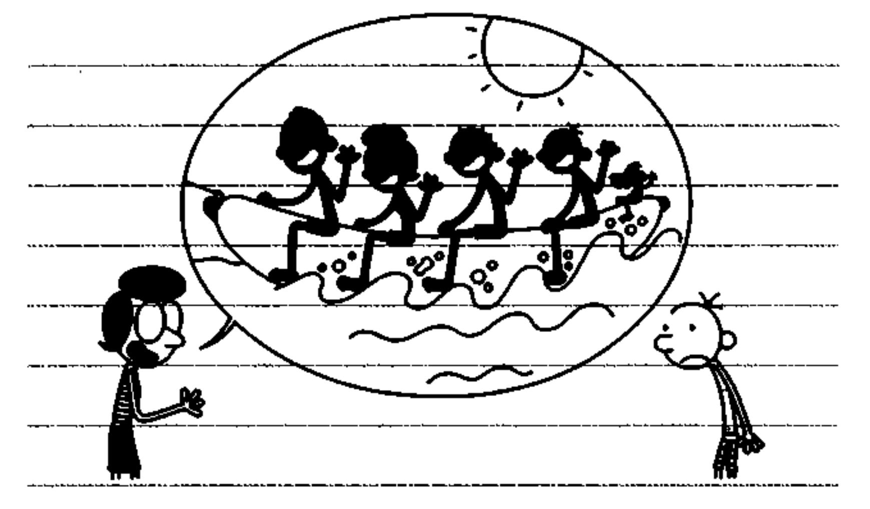
لم يكن هذا هو الأسوأ. فجميع الأمور الممتعة حقاً، مثل التزلّج على الماء والتزلّج الهوائي، لم تكن متاحة سوى في القسم الساخن. أمّا جميع الأنشطة المملّة، فكانت في القسم الساكن.

أنشطة القسم الساكن

السباحة مع الدلافين	التجذيف
مراقبة الطيور	المشي في الطبيعة
تطيير الطائرة الورقية	مشاهدة تفقيس السلاحف
الغوص	قارب الموز

لكن لم يبدُ على أمّي أيّ انزعاج، بل سجّلت في نشاطَين، قارب الموز ومشاهدة تفقيس السلاحف.

بدَت متحمسة للغاية لقارب الموز. وقالت إنّه بإمكاننا استعمال الصورة كبطاقة معايدة، وإرسالها إلى الجميع عندما نعود من الرحلة.

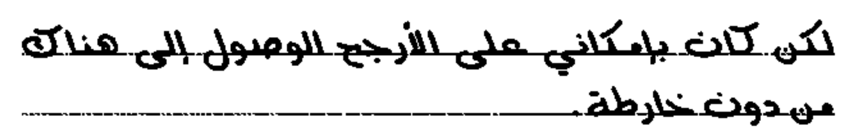


بدت لي الفكرة سخيفة للغاية، لكن لا أظن أن ثمة ما هو أسوأ من بطاقة المعايدة التي أرسلَتها أسرة راولي هذا العام.

هو هو هو

نتمنى لكم عيداً سعيداً!

طلبت مني أمي إحضار رودريك، فاستعملتُ الخارطة لأجد طريقي في منطقة المراهقين.

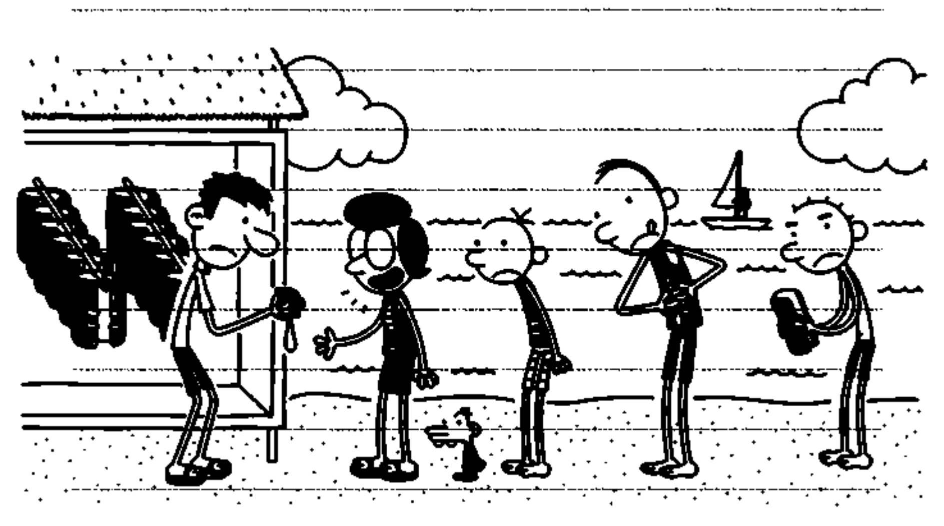


لكن كان بإمكاني على الأرجح الوصول إلى هناك من دون خارطة.

كان بعض المراهقين يلعبون الكرة الطائرة في المسبح، وكان رودريك بينهم. لكنني وجدتهم متوقفين عن اللعب لأنّ القرط المعلّق بشفة إحدى الفتيات علق في الشبك، وكان رودريك يساعدها على حلّه.

قلتُ لروديك إنّ علينا الذهاب، لكن لم يبدُ أنه في عجلة من أمره للرحيل. أقنعته أخيراً بالمجيء معي، لكنني اضطررت عملياً لجرّه بعيداً عن لعبة الكرة الطائرة.

انضممنا إلى بقية أفراد أسرتي عند الماء، وكانوا يرتدون سترات نجاة. ثمّ أعطت أمي الكاميرا للشاب الذي كان يساعدهم، وطلبت منه التقاط صورة لنا عند مرورنا من أمامه.

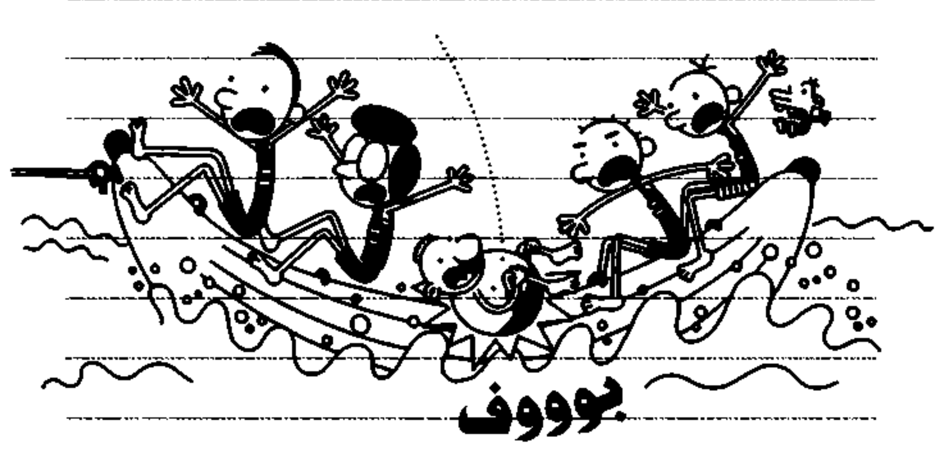


نزلنا في الماء وصعدنا على متن قارب الموز، الذي كان معلّقاً بقارب سريع بواسطة حبل. أخيراً رفعنا إبهامنا لقائد القارب وانطلقنا.

ما إن أصبحنا في المياه العميقة، حتى بدأ القارب يسرع. وكان البحر هائجاً، لذلك وجدنا صعوبة في الحفاظ على توازننا. ثم ارتطمت بنا موجة كبيرة، فطرنا نحن الصبيان الثلاثة في الهواء، واضطر قائد القارب إلى الالتفاف لكي نصعد مجدداً.

عندما انطلقنا ثانية، مررنا بجوار ترامبولين، فبدأ الأولاد يستعملون قاربنا كهدف لهم.

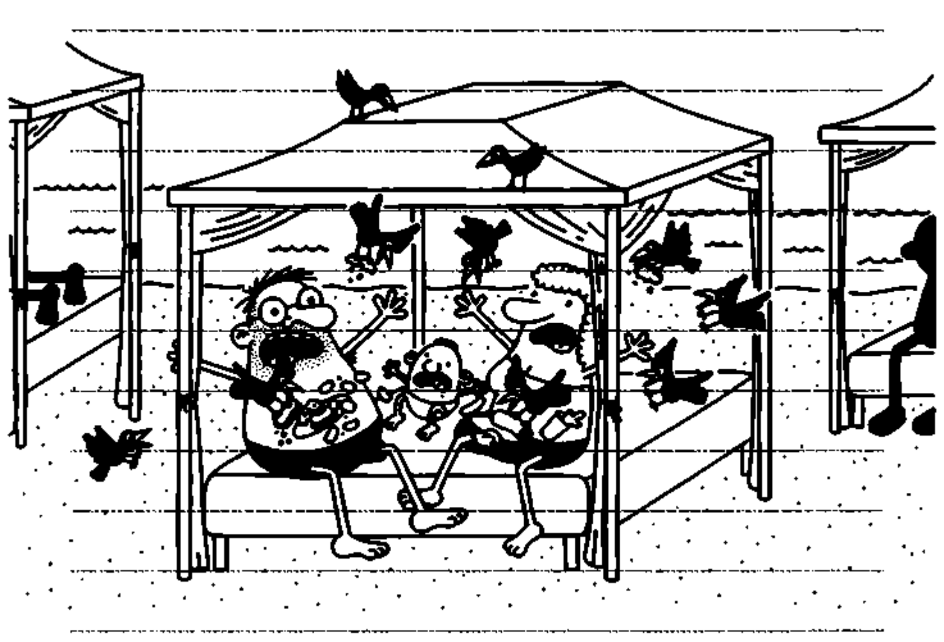
أخيراً سقط ولد أحمق في وسط قاربنا وثقبه.



بدأ قارب الموز يخسر الهواء بسرعة، الأمر الذي اضطر القائد للعودة بنا إلى الشاطئ. فالتقط الشاب الذي أعطته أمي الكاميرا صورة لنا، لكن أشك في أن نستعملها كبطاقة معايدة.



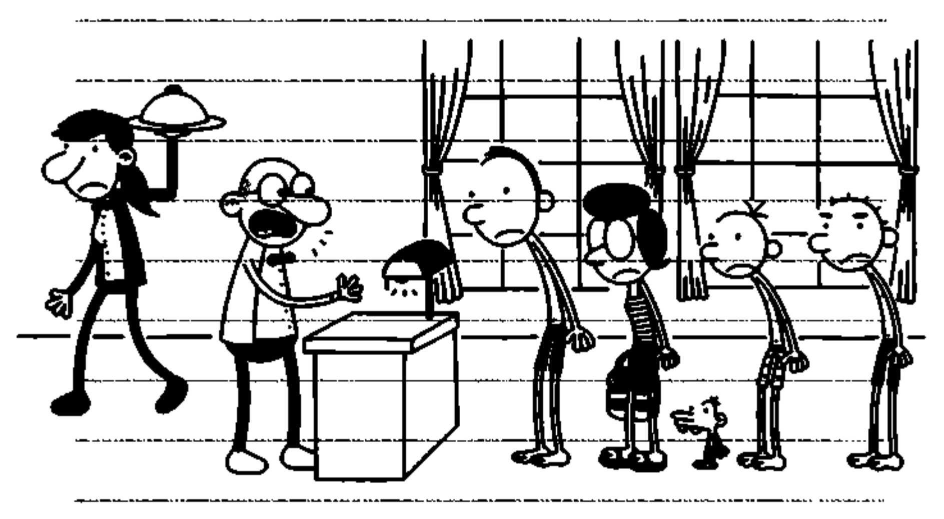
بعدما جفّت ملابسنا اقترحت أمي أن نحضر طعاماً نأكله. لكن الزوجين اللذين جلسا إلى جانبي في الطائرة أخذا خيمتنا، ولم يبدُ لي تناول الطعام في الخارج مجدداً فكرة حسنة أساساً.



أدركت أننا لم نتناول وجبة حقيقية منذ يومين، ولم أرغب في تناول الطعام في مكان قد تهاجمنا فيه الحيوانات وتستولي عليه.

اقترح أبي علينا الذهاب إلى نادي الغولف الذي يحتوي على المطعم الداخلي الوحيد في المنتجع. فاستحسن الجميع الفكرة، وانطلقنا فوراً.

لكن عندما وصلنا إلى النادي، قال المدير إنهم لا يستطيعون استقبالنا. فالنادي يعتمد قواعد معينة للباس تحتم على الرجال ارتداء القمصان وعلى النساء ارتداء الأثواب الطويلة.

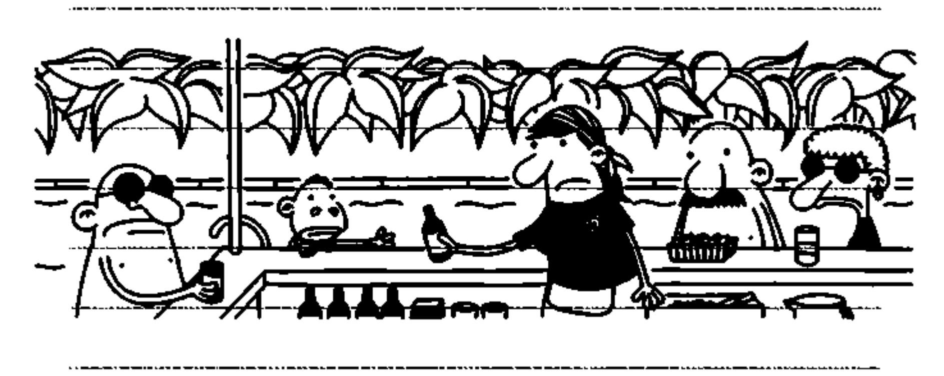


قال له أبي إننا لا نملك ملابس كهذه، فاقترح عليه المدير شراءها من المتجر. أخبرنا أبي أن ثمن القميص في المتجر يبلغ خمسين دولاراً، ومن المستحيل أن يشتري أربعة منها فقط لكي نتمكن من تناول الغداء.

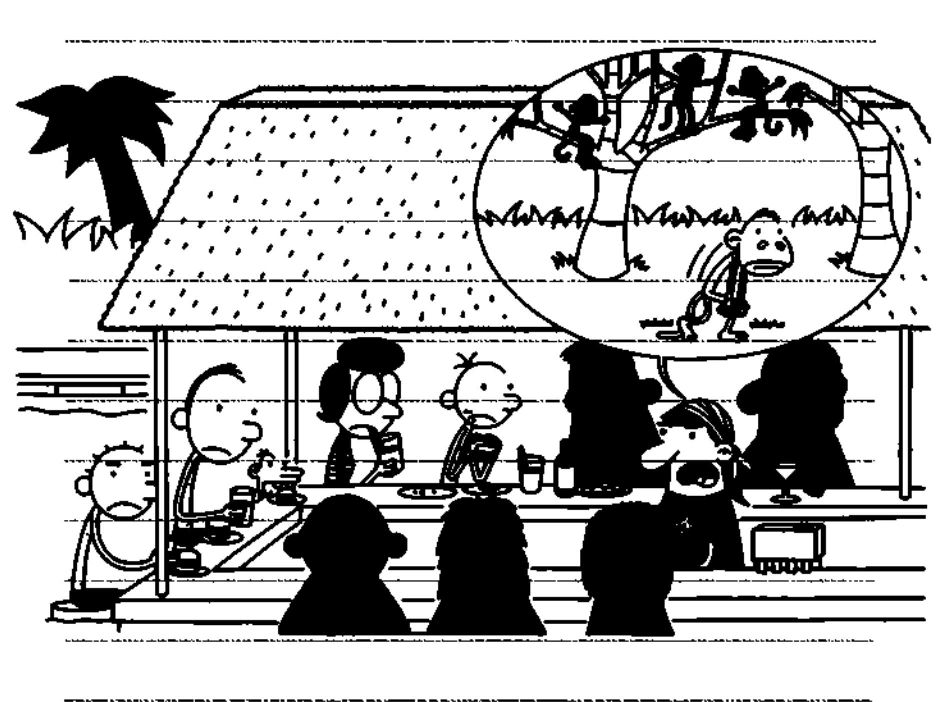
هكذا ذهبنا للبحث عن مكان آخر نأكل فيه. كان رودريك يرغب في تناول الهوت دوغ فقط في منطقة المراهقين، لكن أمي أرادت أن نأكل معاً كعائلة.

كنت واثقاً أنهم يقدمون البرغر والبطاطس المقلية في المطعم المجاور للمسبح، لذلك ذهبنا لنسأل. لكنني ندمت على فكرة تناول الطعام عند المسبح بعدما طلبناه. فهو أشبه بتناول وجبة في حوض استحمام مع مجموعة من الغرباء.

ولم يكونوا مجرد أناس عاديين، بل رأيت قرداً جالساً عند طرف الطاولة.



سأل أبي النادلة عن القرد، فأخبرتنا قصة حزينة جداً. قالت إنه كان يعيش في شجرة كبيرة في المنتجع مع عدد من القردة الأخرى، وكان زعيمهم تقريباً. ثم أتى قرد أصغر سناً وطرده.

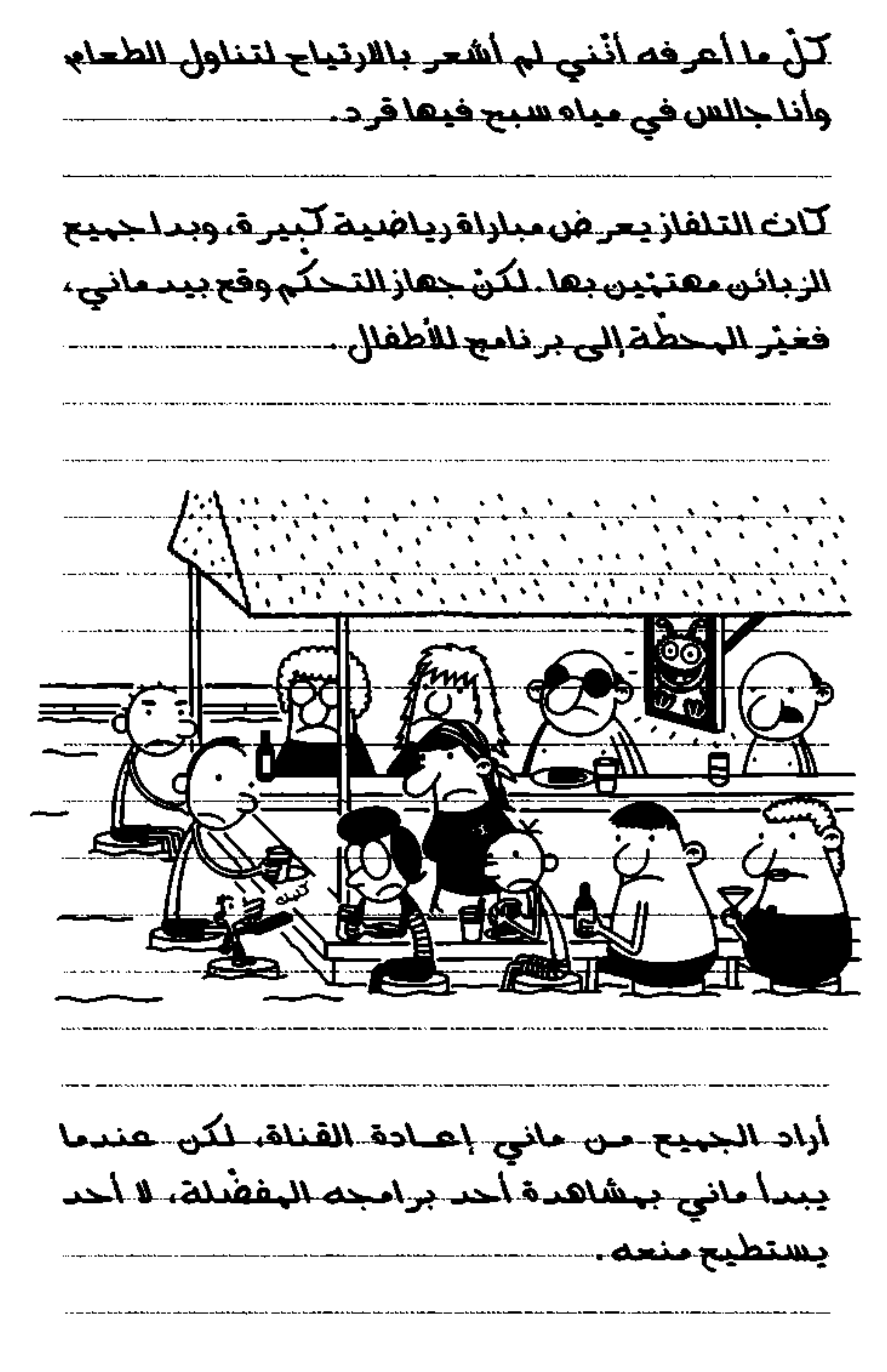


ولم يكن لدى القرد مكان يأوي إليه، فأتى في أحد الأيام إلى المطعم، وبدأ الزبائن يشترون له الشراب. ومنذ ذلك الحين وهو يعود يومياً.

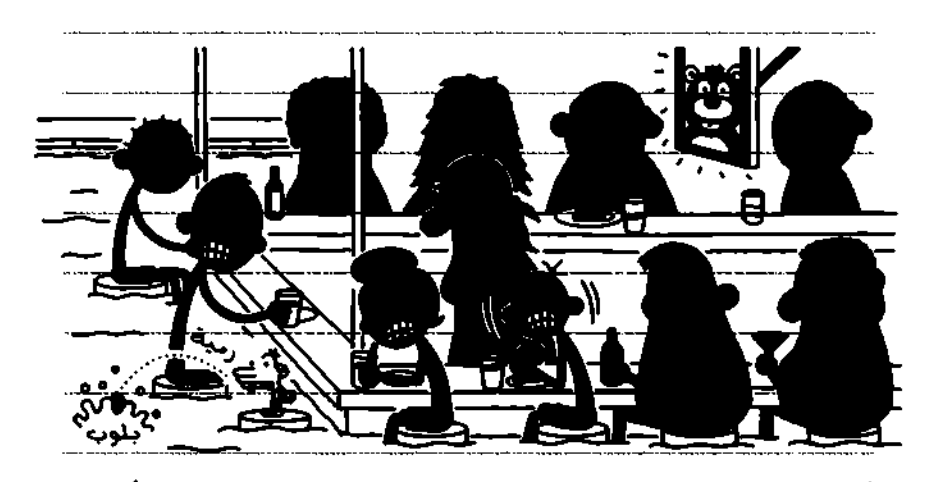
لم أعرف حقاً بماذا أفكر بعد سماع قصة كهذه.

كل ما أعرفه أنني لم أشعر بالارتياح لتناول الطعام وأنا جالس في مياه سبح فيها قرد.

كان التلفاز يعرض مباراة رياضية كبيرة، وبدا جميع الزبائن مهتمين بها. لكن جهاز التحكم وقع بيد ماني، فغيّر المحطة إلى برنامج للأطفال.



أراد الجميع من ماني إعادة القناة، لكن عندما يبدأ ماني بمشاهدة أحد برامجه المفضلة، لا أحد يستطيع منعه.

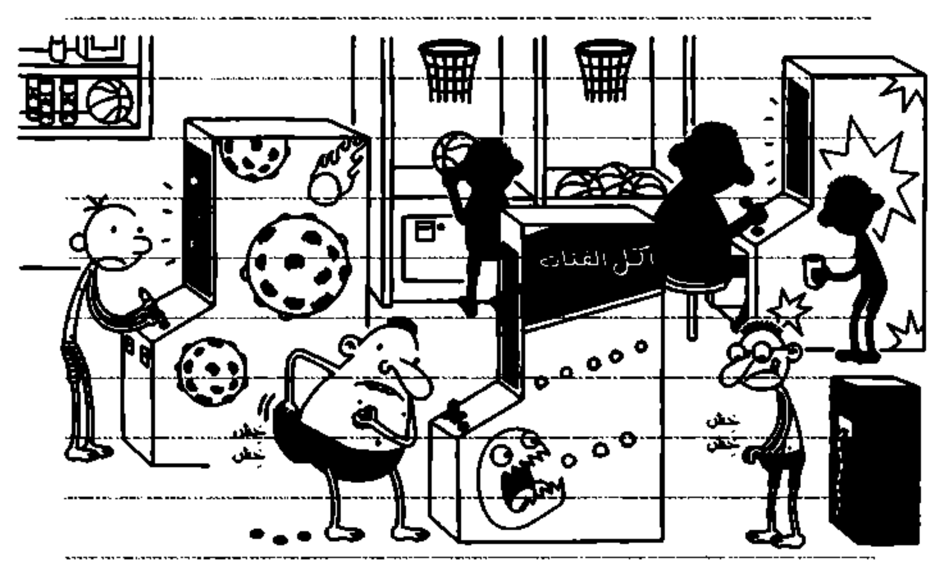


كان رواد المطعم مستعدين لافتعال إشكال، فحملت أمي ماني وخرجنا من هناك قبل أن أنهي طعامي.

عاد رودريك إلى منطقة المراهقين، واصطحب والداي ماني إلى الجناح لكي يأخذ قيلولته.

لم أرغب حقاً في العودة إلى الغرفة ومصادفة ذلك العنكبوت مجدداً، فقررت تمضية بقية اليوم في صالة الألعاب.

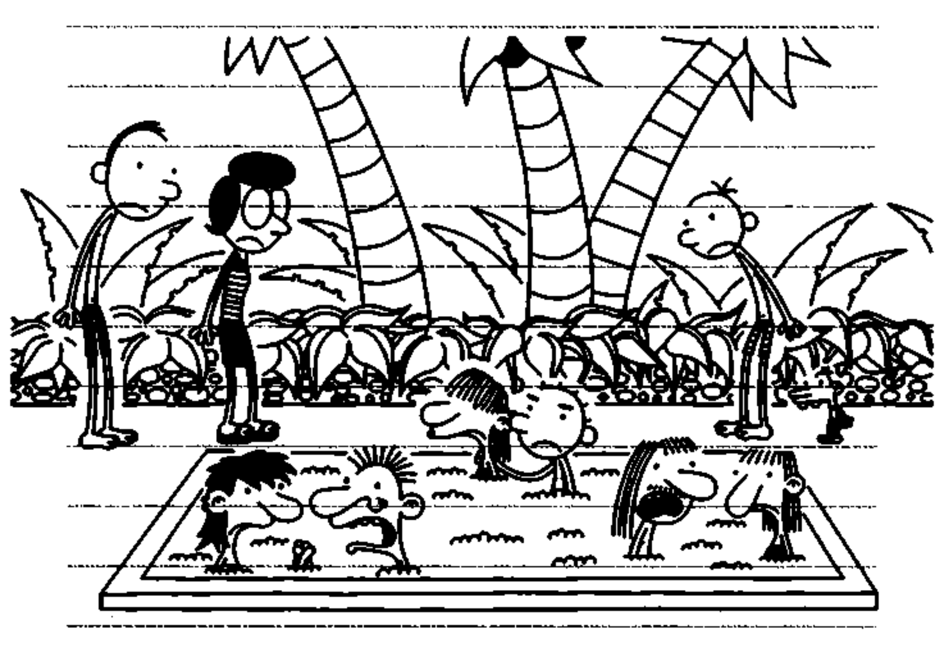
كان عليّ استعمال القطع النقدية التي جمعتها خلال الغوص بحثاً عن الكنز بحيث تكفيني لمدة ساعتين ونصف. لكن كان ثمة أولاد هناك يستطيعون اللعب لأيام متواصلة من دون إنفاق كل مالهم.



عندما بدأ الظلام يخيم، فكّرت في العودة إلى الغرفة. لكنني صادفت أمي وأبي وماني في منتصف الطريق بين صالة الألعاب ومبنانا.

قالت أمي إننا ذاهبون جميعاً إلى سهرة نار على الشاطئ، وبعد ذلك سنشاهد تفقيس السلاحف. لكن علينا أولاً إيجاد رودريك.

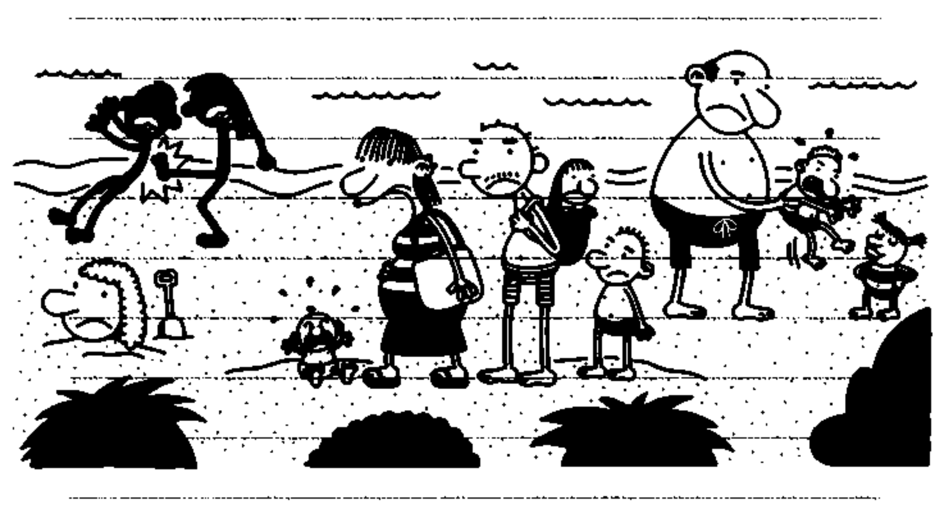
ذهبنا هذه المرة جميعاً إلى منطقة المراهقين للبحث عنه. لكن كان الظلام قد بدأ يخيم في ذلك الوقت، ولم يكن من السهل رؤيته. وحين وجدناه أخيراً، لا أظن أنه كان سعيداً جداً برؤيتنا.



في طريقنا إلى الشاطئ قالت أمي لرودريك إن هذه الرحلة عائلية، ولا وقت فيها «للمراهقة والرومانسية».

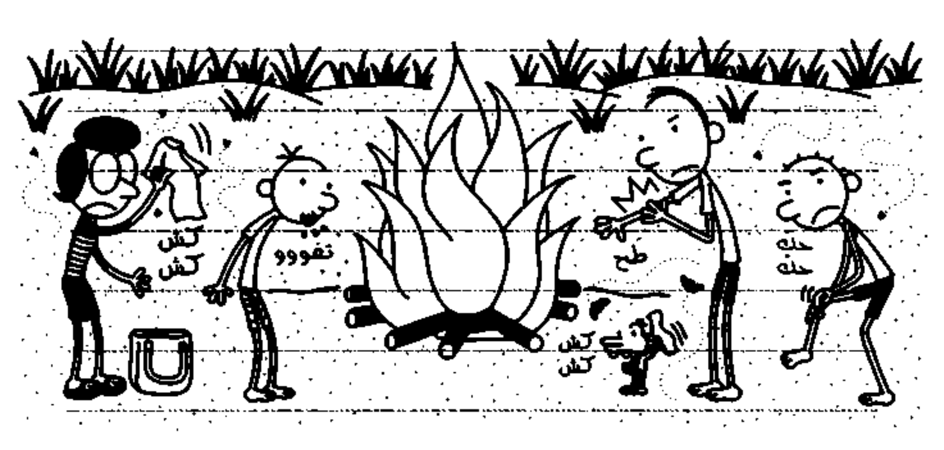
أجابها رودريك إن علاقته بالفتاة جدية، وهما يخططان لتمضية أطول وقت معاً.

فاجأني ذلك إلى حد ما، لأنني ظننت أن رودريك سيتخلى تماماً عن فكرة الرومانسية بأكملها بعد تمضية بضعة أيام في المنتجع. لكن من يدري، ربما يعود يوماً إلى هنا المكان مع أسرته.

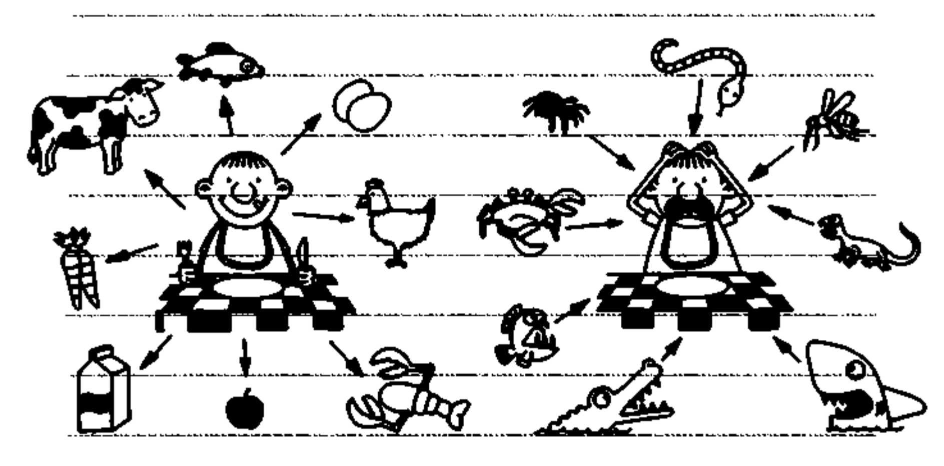


وصلنا إلى الشاطئ ووجدنا عدة أسر مجتمعة حول النار. لكنني لم أجد التجربة ممتعة بسبب الحشرات. في البداية، أتى البعوض وحام حول أعيننا وأفواهنا.

ثمّ أعقبته براغيث الرمال، التي لدغت أقدامنا. وبعدها أتى الناموس وكان بحجم العصفور.



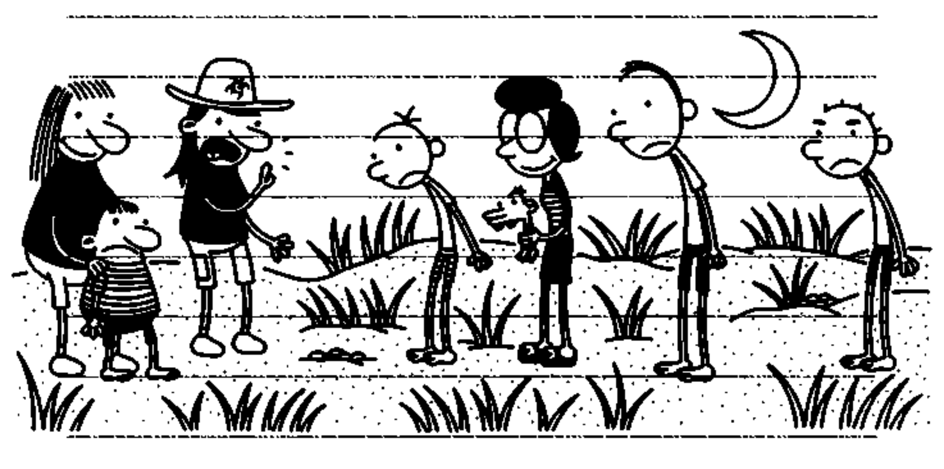
أيًا يكن من سمّى هذا المكان «أرض الأحلام»، فلا بدّ أنّه في غاية الظُرف. ففي عالمنا، يتربّع البشر على قمّة السلسلة الغذائية. أمّا في جزيرة المرجان، فكلّ شيء يلتهم الناس.



كنتُ جاهزاً حتماً للعودة إلى غرفتي، لأنني هناك على الأقل أتعامل مع حشرة واحدة. لكن فجأة أتت الدليلة وطلبت من كلّ من سجّل اسمه لمشاهدة تفقيس السلاحف أن يتبعها إلى الكثبان الرملية.

شرحت لنا ما نحن على وشك مشاهدته. وقالت إنّ السلحفاة الأمّ تصنع حفرة في الرمال وتضع فيها البيوض. وبعد بضعة أشهر، تفقس البيوض، ثمّ تتوجّه السلاحف الصغيرة إلى المحيط.

قادتنا بعد ذلك إلى كومة صغيرة من البيوض البيضاء المدفونة في الرمال، وقالت إنّ ثمّة كثيراً من أكوام البيض المشابهة لها. لكنّ المشكلة، على حدّ قولها، أننا لا نعرف بالضبط متى تفقس.



كان الظلام دامساً، وخشيت أن أدوس خطأ على إحدى البيوض. فتراجعت قليلاً إلى الخلف لأبتعد عن طريقها، وعندئذ تحطم شيء تحت قدمي.



لحسن الحظ، كانت مجرد صدفة، لكن مع ذلك أصيبت معدتي بالتشنج.

مع أنني لست من هواة الزواحف عموماً، لكنني قررت استثناء السلاحف.

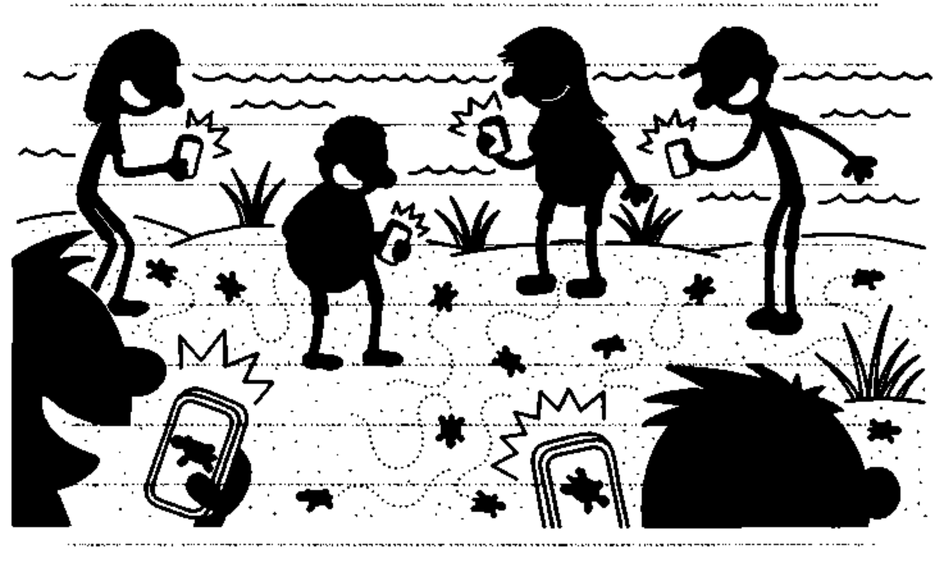
فلنواجه الأمر: السبب الوحيد الذي جعلنا نخرج لمشاهدة السلاحف الصغيرة وهي تفقس هو أنها ظريفة.

وصدقوني، لو أننا نشاهد تفقيس الأفاعي، لكان الوضع مختلفاً تماماً.

في اللحظة التي قررتُ فيها أن أطلب من أمي الرجوع عن هذه الفكرة والعودة إلى الغرفة، بدأت البيوض تفقس واحدة تلو الأخرى.

عندئذٍ تحمّس الجميع، لكنّ الدليلة طلبت منّا التزام الهدوء وإفساح الطريق. وشرحت لنا أنّ السلاحف الصغيرة تجد طريقها إلى المحيط حين ترى ضوء القمر منعكساً على سطح الماء.

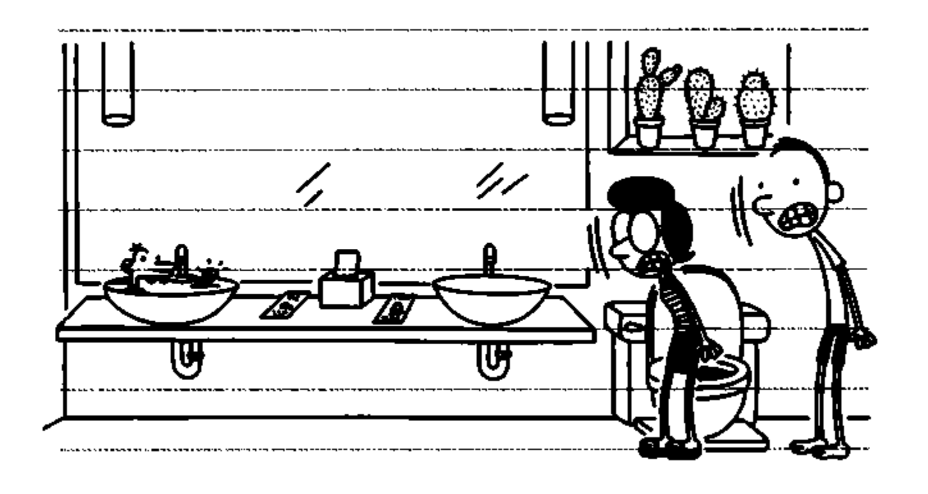
لكنّ الجميع تجاهلوها وشغّلوا هواتفهم، وبسبب أضواء الكاميرات تبعثرت السلاحف الصغيرة في كلّ اتجاه.



تحمّست أمّي كثيراً وقالت إننا نشاهد «معجزة الحياة». ثمّ سألت عن رودريك، لكنّ أحداً لم يره. قال أبي إنّ آخر مرّة رأى فيها رودريك كان بين الأعشاب الطويلة على الكثبان.

وهناك وجدناه.

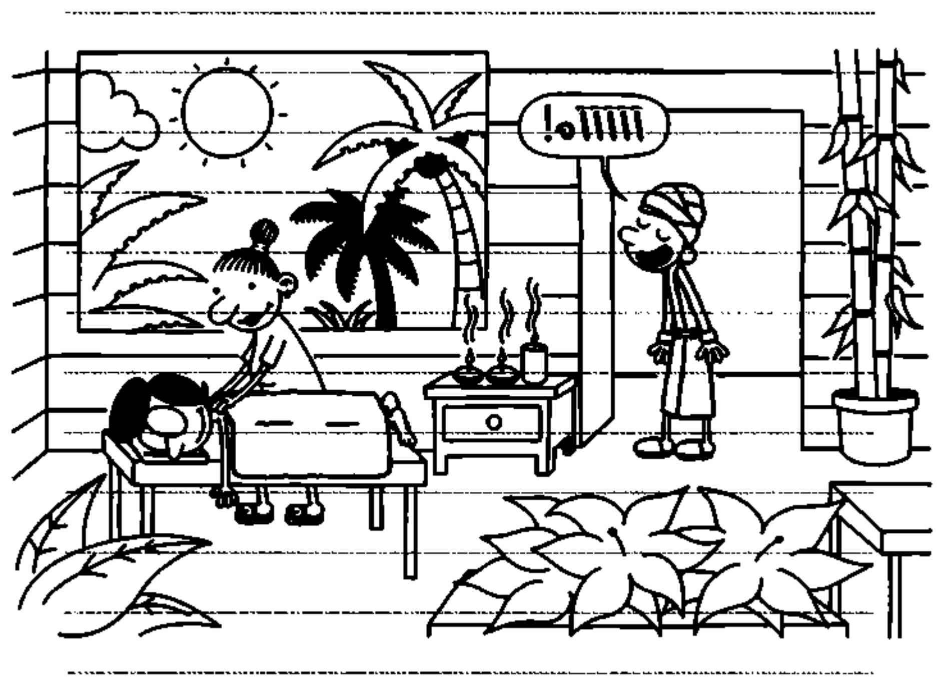
كان ينبغي أن تنتهي الليلة عند هذا الحد، لكن لا. فعندما عدنا إلى الغرفة، اكتشفنا أن ماني دس في جيبه إحدى السلاحف الصغيرة من دون أن يراه أحد، فاضطر أبي إلى العودة إلى الشاطئ لتركها هناك.



الخميس

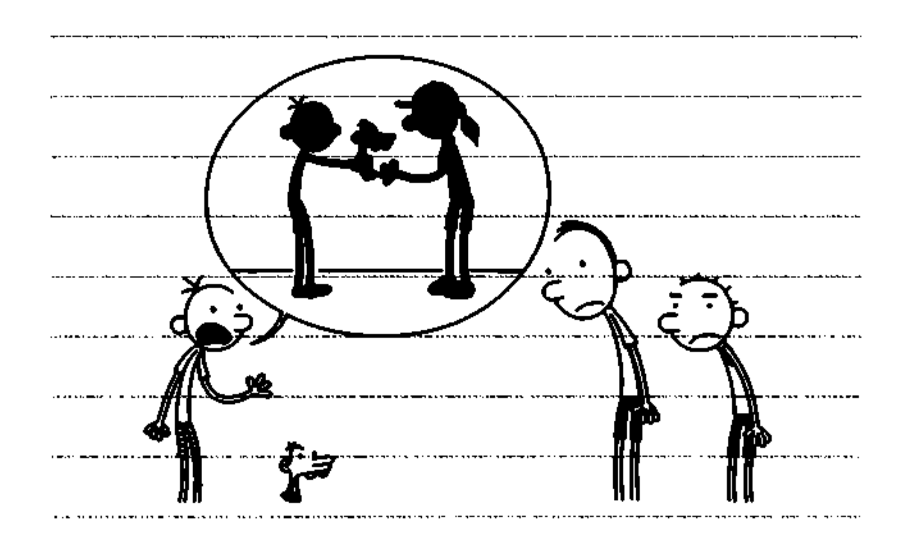
أعتقد أن أمي لم تكن مسرورة بالمنحى الذي تتخذه رحلتنا العائلية حتى الآن. إذ قالت بعد الفطور إنها ذاهبة لتمضية النهار في المنتجع الصحي.

بدت لي تلك الفكرة عظيمة، وقلت لأمي إنني سأرافقها. فلطالما رغبتُ في تدليك جسدي، لذلك وجدتها فرصة كبيرة بالنسبة إلي.



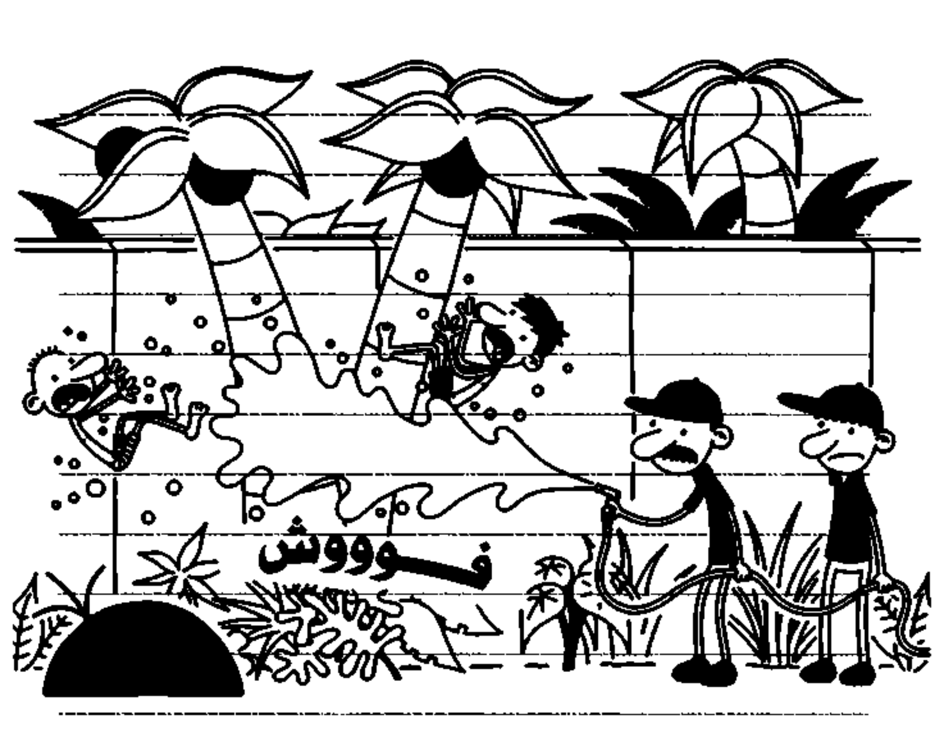
لكن أمي قالت إنها تحتاج هذا الوقت لنفسها، وطلبت منا الاهتمام بأنفسنا. هذا يعني أنه علينا مراقبة ماني.

ما إن ذهبت أمي حتى بدأنا نفكّر في ما سنفعله. كان الاهتمام بماني صعباً علينا، فاقترحتُ أن نتركه في كوخ الأطفال وندع مهمة رعايته للعاملين هناك.



أحبّ أبي الفكرة، لأنه كان يرغب في ممارسة الرياضة في الصالة الرياضية. فكلّفنا أنا ورودريك بإيصال ماني إلى كوخ الأطفال، ثم رحل.

قادنا الطريق إلى الجدار الفاصل بين قسمنا والقسم الساخن. وأعتقد أن بعض الأطفال أرادوا إلقاء نظرة على ما يجري هناك، لكنّ الجنائني منعهم من ذلك.

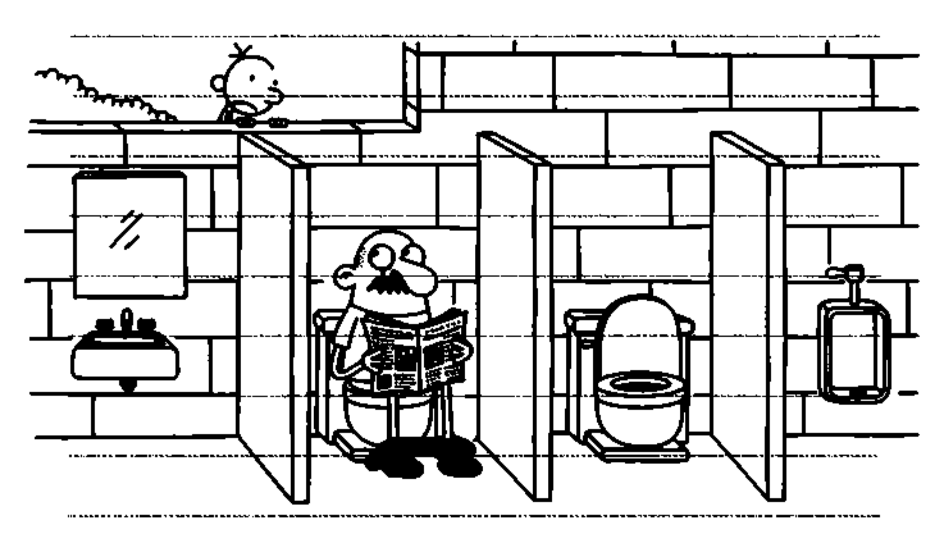


سألتُ روديك ما الذي يظن أنه يوجد برأيه في القسم الآخر، فقال إنه لا يعرف أساساً. أضاف أن بعض أصدقائه في منطقة المراهقين أخبروه أن كل الأمور الجنونية تحدث هناك...

كما أخبرني عن وجود ثقب في الجدار يطلُّ على الجانب الآخر. لكنني عرفت أن روديك يحاول خداعي وحسب، لأنه سبق أن استعمل هذه الأساليب معي من قبل.

ففي أحد فصول الصيف عندما كنّا في مسبح البلدة، قال لي إنني إن أطللتُ من فوق أحد الجدران، يمكنني رؤية غرفة كبائن السيدات.

وقد صدّقته في الواقع، وما زلت أحاول أن أمحو تلك الصورة من ذهني.



اصطحبنا ماني إلى كوخ الأطفال، ووجدنا الأولاد في الداخل يصنعون الدمى. فقلنا للمسؤول إننا نرغب في تركه أخينا الصغير طوال اليوم وسنعود لأخذه لاحقاً.

قالت المستشارة إنهم يستقبلون الأطفال بشرط واحد: أن يكون معتاداً على استعمال المقعدة. فأجبتها أنّ ماني معتاد عليها.

لكن يبدو أن ماني لم يكن راغباً في صنع الدمى، واستطاع التملص من ذلك.



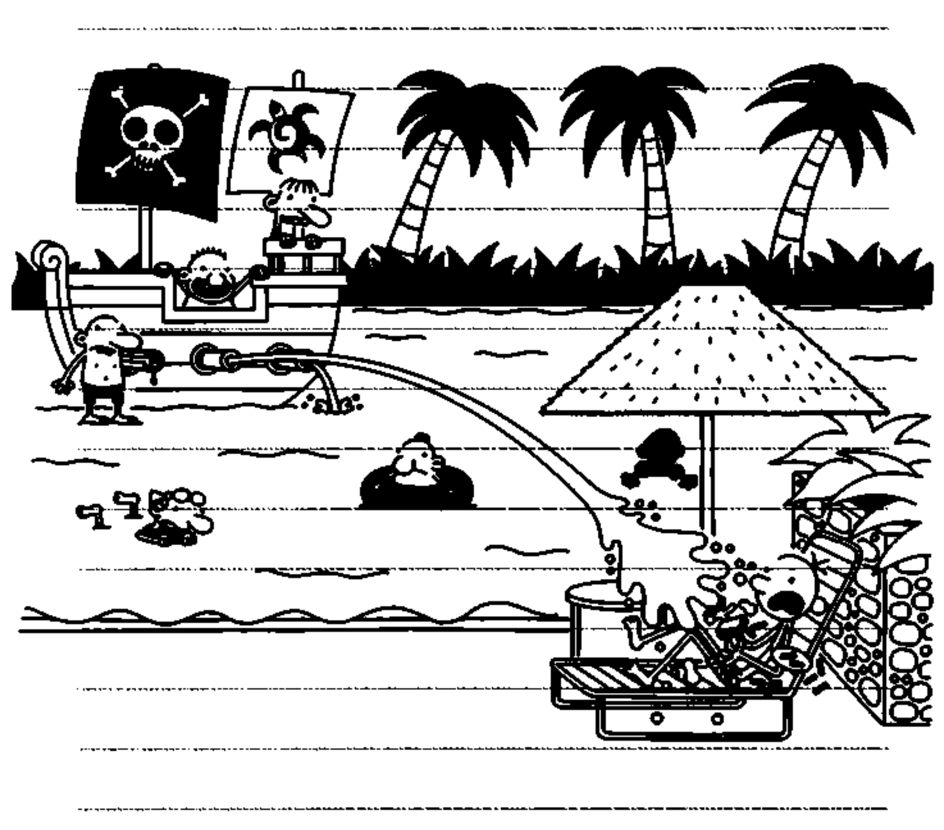
طلب مني رودريك أن أعتني بماني بنفسي لأنه يريد إلقاء نظرة على الأنشطة في منطقة المراهقين. لكنني عرفت أنه ذاهب للقاء تلك الفتاة.

هكذا بقيت بمفردي مع ماني. لم أرغب في اصطحابه إلى الشاطئ، لأنه سيبدأ في جمع الحيوانات الأليفة مرة أخرى.

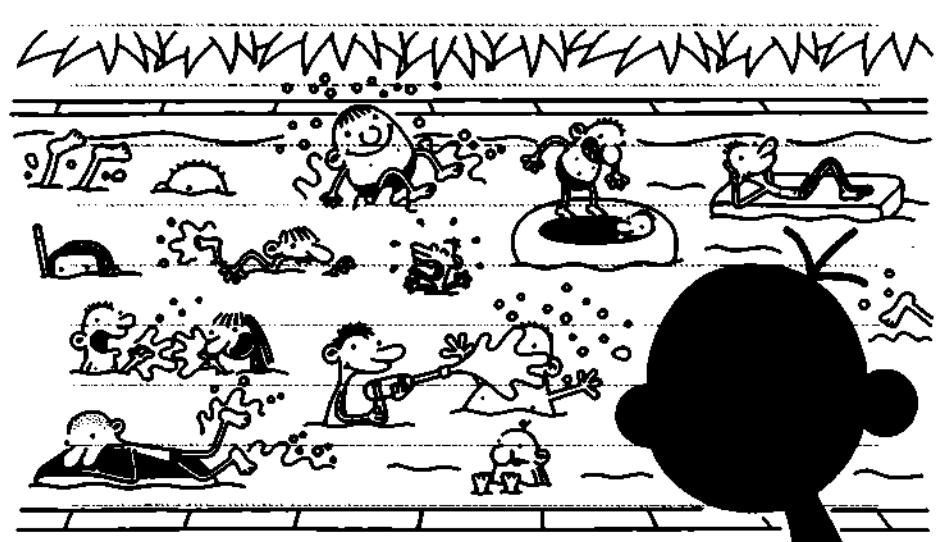
فاصطحبته إلى ملعب القراصنة، وهو مسبح للأطفال الصغار.

كانت تلك الفكرة ممتازة، لأنني أستطيع الاسترخاء على مقعد طويل ومراقبة ماني وهو يلعب. حتى إنني طلبت شطيرة جبن وبعض البطاطس المقلية من النادل الذي مرّ في الجوار.

لكنني لم أستمتع بوجبتي. فقد اكتشف بعض الأولاد الذين يلعبون على متن سفينة القراصنة الصغيرة أنهم، إن أغلقوا أحد المدافع، فإنّ الآخر يطلق الماء لمسافة أبعد بمرّتين.



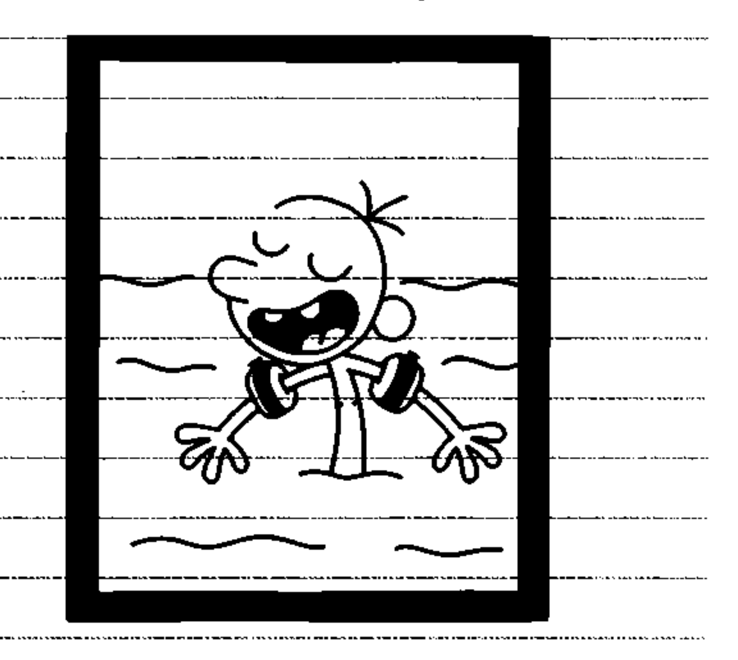
هكذا اضطررت للانتقال إلى كرسي طويل آخر على مسافة أبعد. لكن ما إن جلست، حتى أدركت أنني أضعت مائي. ثم وجدته أخيراً في وسط المسبح بمفرده.



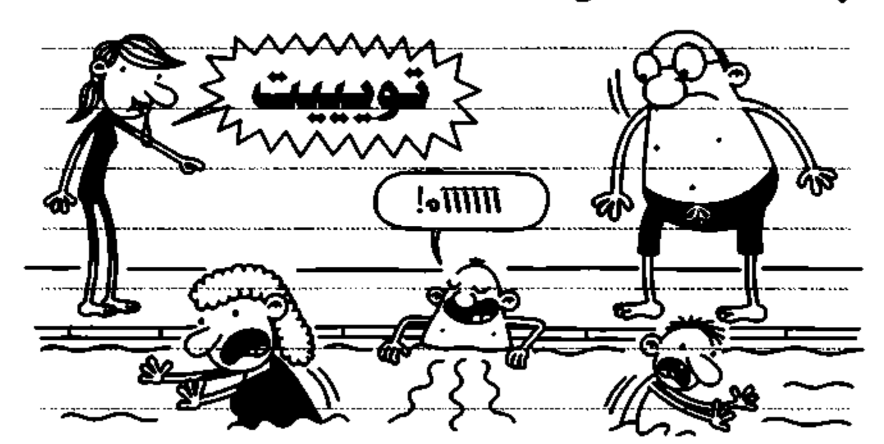
أدركتُ أنه عليَّ النزول إلى الماء لإحضاره، لكنني لم أرغب في ذلك حقاً. فمع عدد الأطفال الذين يسبحون في البركة، عرفت تماماً ماذا يوجد في تلك المياه.

عندما كنت صغيراً، كنت أفعل مثلهم في بركة الأطفال. لا بل في الواقع، لديَّ صورة معلّقة في غرفة الجلوس وأنا أستعمل البركة كمرحاض.

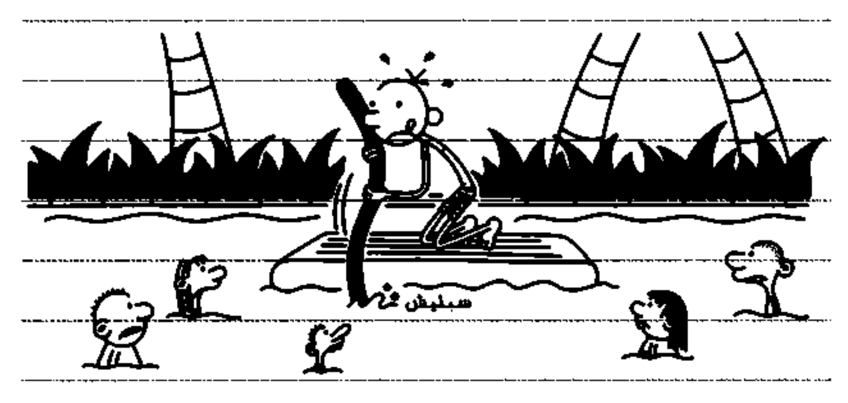
تقول أمي إنها صورتها المفضلة لي لأنني أبدو فيها سعيداً جداً، لكنني لم أخبرها يوماً عن السبب.



في إحدى المرات، وضعوا مادة كيميائية في البركة يتحول لونها إلى الأخضر إذا لوث أحدهم الماء. وكانت تلك الفكرة فعّالة.

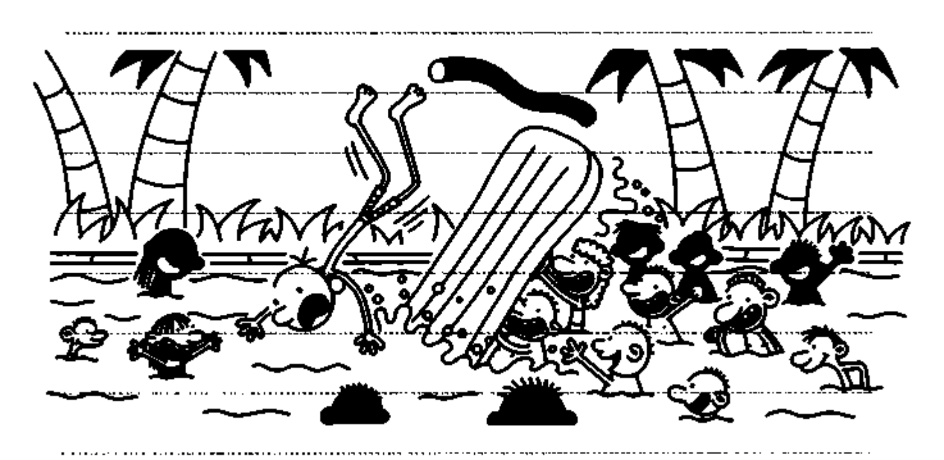


كان عليّ إيجاد طريقة لإحضار ماني من دون أن ألمس المياه. فعثرت على طوف وعصا إسفنجية للوصول إليه.

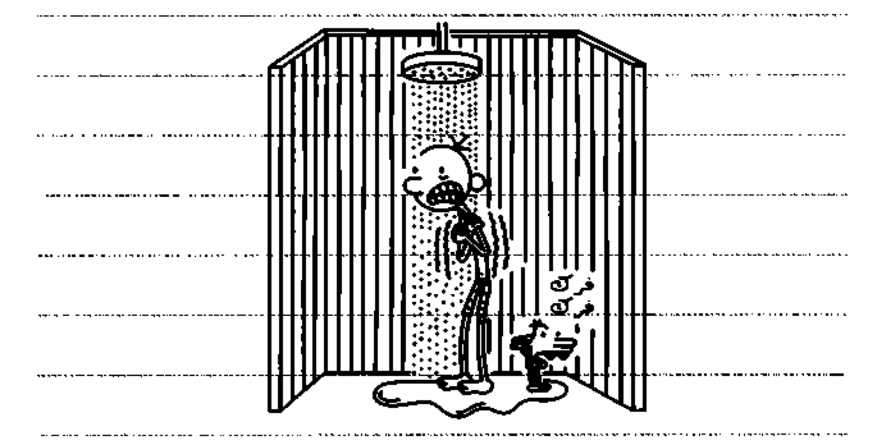


لكن ما لبثت أن اجتزت نصف المسافة، حتى هاجم الأولاد طوفي وحاولوا تسلّقه. فأخذتُ أُبعدُهم بالعصا، لكنهم كانوا كثراً.

أخيراً اجتمعوا عليّ وأسقطوني.



أخرجت مائي من البركة، ثمّ أمضيت ثلث ساعة وأنا أفرك جسمي تحت الدش.



لكن بعد خمس ثوانٍ من خروجي، تبلّلت مجدداً. فقد اكتشف الأولاد أنهم إن أغلقوا مدفعين، يمكنهم إطلاق المياه على أهداف بعيدة المدى.

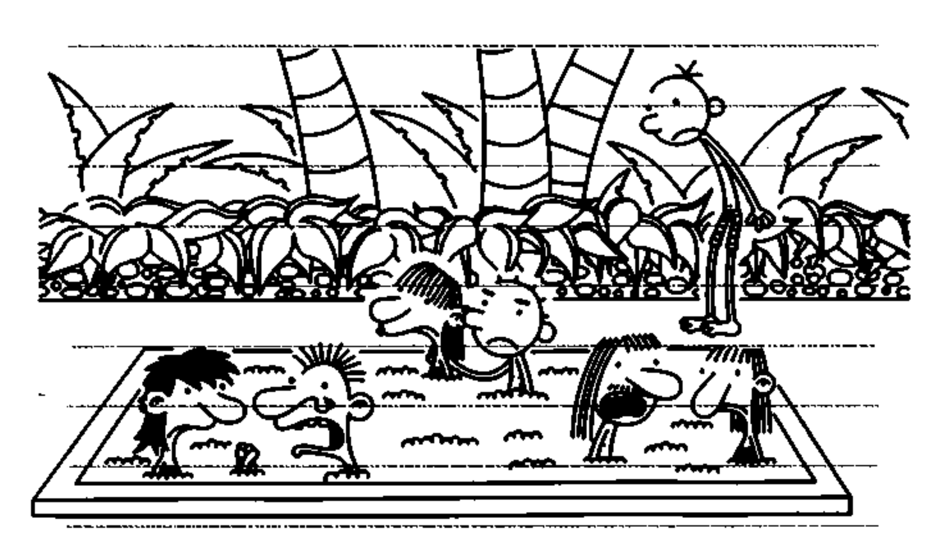
بينما كنت أجفف نفسي للمرة الثانية، ظهرت أمي. بدت شخصاً مختلفاً تماماً بعد الصباح الذي أمضته في المنتجع الصحي.

قالت إنه أثناء التدليك، خطرت ببالها فكرة رائعة لكيفية تمضية وقتنا كأسرة. فحجزت رحلة بحرية خاصة لنا جميعاً. وقالت إن القارب سينتظرنا عند الرصيف بعد نصف ساعة.



كانت المدة قصيرة، لذلك تفرقنا للبحث عن أبي ورودريك. قلت لأمي إن أبي في الصالة الرياضية، فذهبَت إلى هناك لإحضاره.

أمّا رودريك، فوجدتُه حيث توقّعتُ بالضبط. وصدّقوني، إنّه مدين لي بالكثير لأنني لم أرسل أمي لإحضاره أولاً.



انضممنا إلى أمي وأبي على الرصيف. غير أن أبي لم يكن راضياً عن تلك الفكرة لأن أجر ذلك القارب مرتفع على ما يبدو. غير أنه كان يستحق برأي أمي لأن هذه الرحلة البحرية ستتوج إجازتنا.

عندما سمعتُ كلمة «رحلة بحرية»، خطر ببالي يخت أو على الأقلّ مركب شراعي.

إلا أن القارب الذي استأجرته أمي لم يبدُ مميزاً على الإطلاق.



كان للقارب قبطانه الخاص به، وأعتقد أن هذه ميزة هامة. عندما صعدنا على متنه، أعطانا جميعاً سترات نجاة. وبعد أن ارتديناها، انطلقنا إلى عرض البحر.

أول ما لاحظته أن القارب مزوّد بقعر زجاجي، وهو أمر لم أجده مريحاً على الإطلاق.

لم يبدُ هذا القارب في حالة جيدة أساساً، لذلك شعرت بالقلق من أن يتحطم ونغرق كلنا في قعر المحيط.

فبتقديري، لا شك أن 50 بالمئة من السفن المحطمة هي ذات قعر زجاجي مثل هذا القارب تماماً.

عندما أصبحنا في عرض البحر، سأل القبطان أبي إلى أين تريد الذهاب. وقال إن ثمة بعض الجزر الخاصة التي يمكننا استكشافها، فاقترحت أبي الذهاب إلى إحداها.

لكن تبين أن الجزر «الخاصة» لم تكن خاصة حقاً، لذلك لم نكلف أنفسنا عناء النزول.

أخبرنا القبطان عن وجود شعب مرجانية قريبة، لا تكون مزدحمة عادة، ويمكننا ممارسة الغطس هناك.

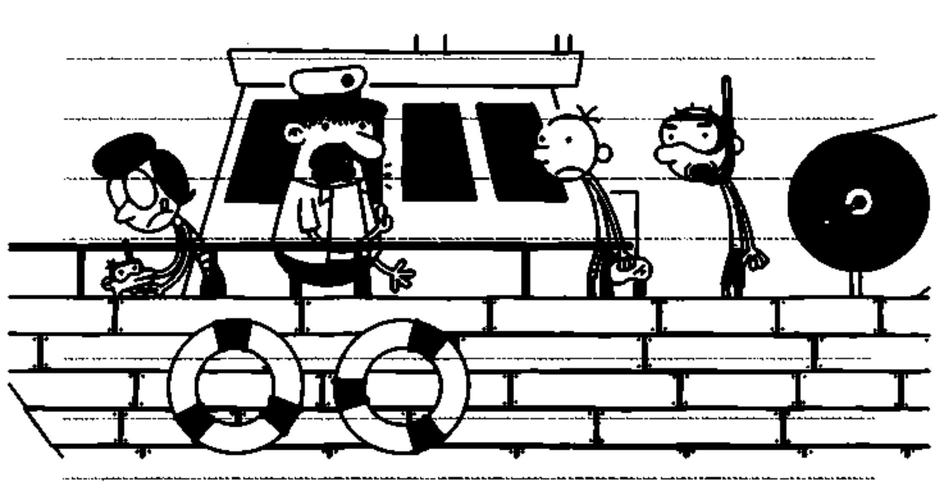
هذا يعني أنه علينا السباحة في المحيط مع كل ما يسبح فيه، لذا لم تعجبني الفكرة. غير أن بقية أفراد أسرتي لم يكترثوا للأمر.

عندما وصلنا إلى الشعب المرجانية، ألقى القبطان المرساة وأعطى كلاً منا أنبوبة تنفس وقناعاً وزعانف.

فسألته ما إذا كان لديه حربون أو غير ذلك من الأسلحة التي يمكننا استخدامها للدفاع عن أنفسنا إن هاجمتنا أسماك القرش.

أجاب إن أسماك القرش لا تقترب من الشعب المرجانية. فقلت له إنني واثق أنها ستبدل رأيها إن رأت أسرة تسبح في المكان بلا دفاع.

عندئذ، شرح لنا القبطان أن الشعب المرجانية مسننة، ولهذا السبب لا تقترب منها أسماك القرش، ولا يجدر بنا لمسها نحن كذلك.



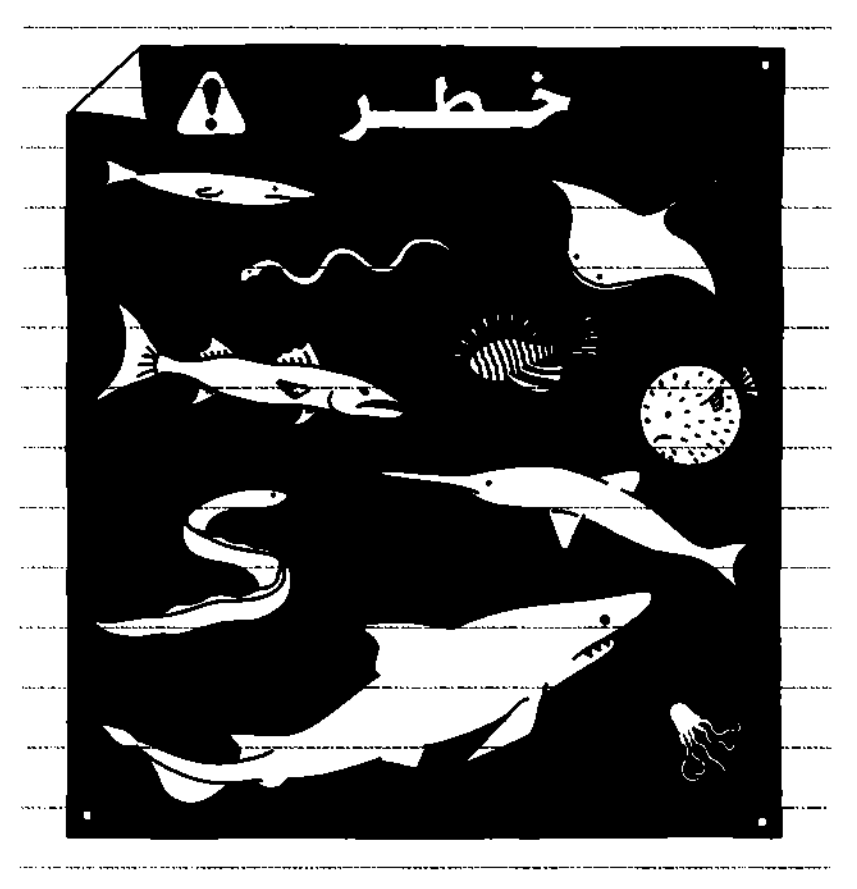
كان هنا أول علم أحمر، قبل أن تزداد الأمور سوءاً.

قال إنه من المحتمل جداً أن نرى بعض أسماك الراي اللاسعة تحت الماء. وأضاف أنه لا بأس من لمس زعانفها، لكن يجدر بنا إبعاد أصابعنا عن أفواهها لأنها قد تظنها طعاماً وتقضمها.

ثم أخبرنا أن أذيال هذه الأسماك سامة، وعلينا على الأرجح الانتباه منها أيضاً.



غير أن كلام القبطان لم ينته عند هذا الحد. إذ حدثنا عن مجموعة من المخلوقات الأخرى التي يجدر بنا الاحتراس منها. ثم عرض علينا رسوماً لها لنعرف أشكالها.



كانت الصورة تحتوي على مخلوقات مخيفة، لكن لم تكن الأسماك الكبيرة هي التي أخافتني، بل أصغرها، ألا وهو قنديل البحر المربع.

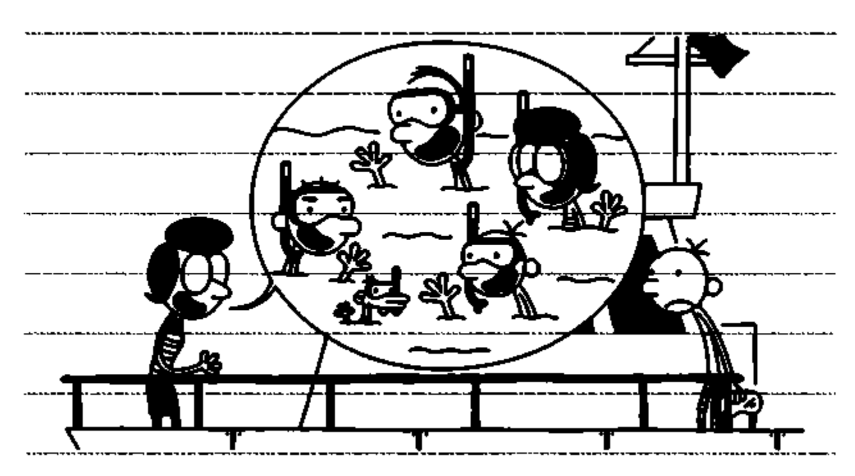
كنت قد شاهدت برنامجاً بعنوان «أخطر المخلوقات في العالم»، وكان قنديل البحر المربع على رأس القائمة. ذلك أن لدغته قد تتسبب بتوقف القلب وموت الضحية.



قلت لأمي إن الأمر لا يستحق المجازفة بحياتنا لمجرد رؤية سمكة ذهبية في المحيط. وأعتقد أنها أدركت مدى شعوري بالقلق، لكنها لن تسمح لي بالإفلات بسهولة.

أجابت أنه ما عليّ سوى النزول إلى الماء لالتقاط صورة عائلية واحدة ومن بعدها يمكنني العودة إلى القارب.

كانت أمي لا تزال راغبة بتلك الصورة من أجل بطاقة المعايدة، ومن الواضح أنها لن تقبل «لا» جواباً.

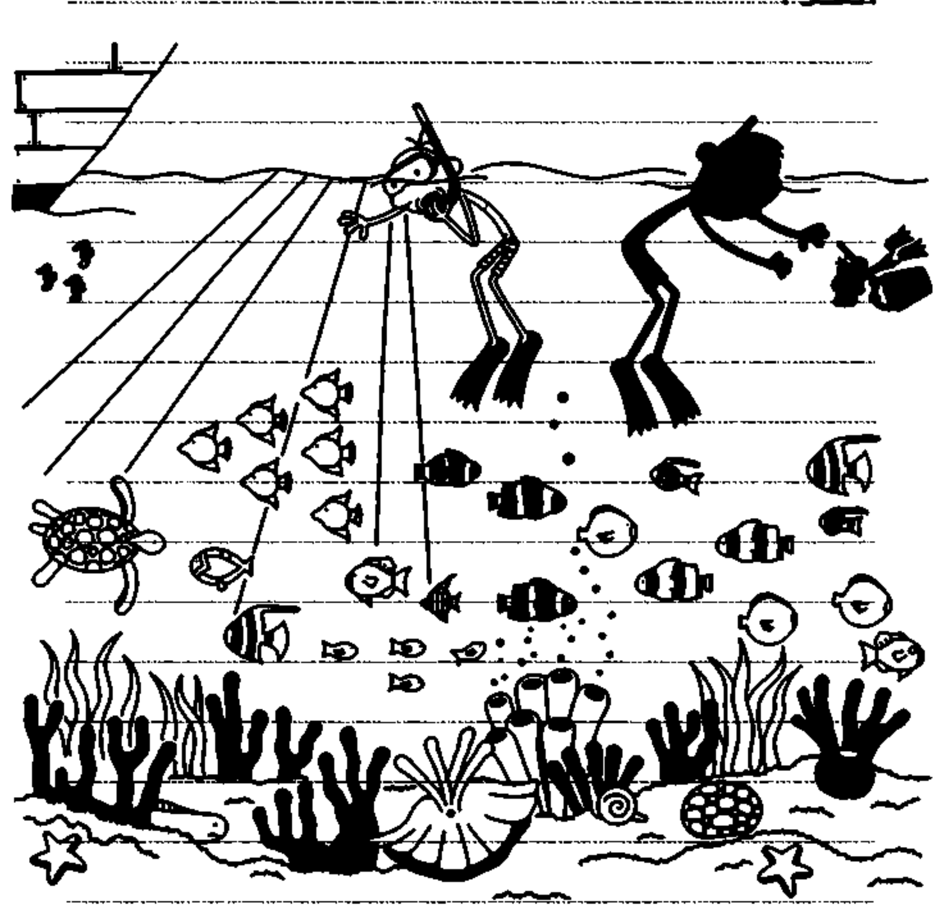


قلت لها إنني لن أمكث في الماء سوى لالتقاط صورة واحدة. وإن ظهر أحدنا مغمض العينين فيها، يكون ذلك من سوء حظه. فوافقت ونزلنا إلى الماء واحداً تلو الآخر. وكنت آخر من غادر القارب.

سبلوش

لم يعرف القبطان كيف يستخدم كاميرا والدتي، واستغرقت منه الصور دهراً.

أما أنا، فلم أشعر حقاً بالارتياح وأنا أجهل ما يسبح تحتي، لذلك ألقيت نظرة تحت الماء. غير أنني فرحت بذلك، لأن المشهد كان ساحراً. وأدركت على الفور لماذا يحب الناس ممارسة الغطس إلى هذا الحد.



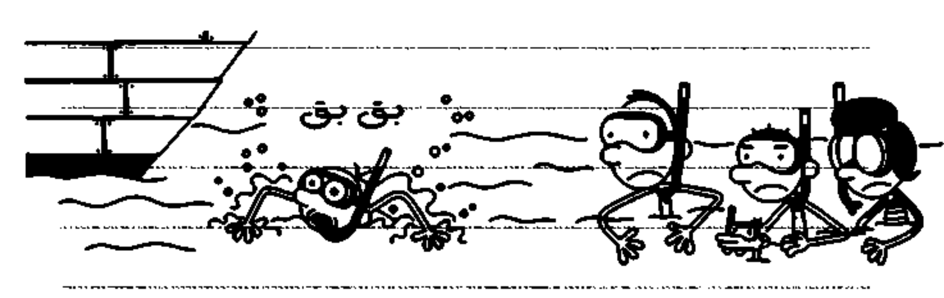
أحاط بي سرب كبير من الأسماك الزرقاء والخضراء وراحت تدور وتغيّر اتجاهها مرّتين في الثانية.

وجدت الأمر رائعاً في البداية، ثمّ أدركت أنّ الحيوانات تلجأ إلى هذا السلوك عندما تحاول أن تتجنّب حيواناً مفترساً.

لم أرَ أيّ سمكة قرش تحت الماء، فبدأت أتأمّل سطح البحر بحثاً عن زعانف.

أخيراً، عرف القبطان كيف يستخدم الكاميرا، وأصبح جاهزاً لالتقاط الصورة، لكنّني كنت أسبح أساساً باتّجاه القارب.

في تلك اللحظة، ظهر فرس بحر أمام قناعي تماماً وفاجأني. فغاصت أنبوبة التنفس تحت السطح، وابتلعت جرعة هائلة من الماء. وأنا آكيد بنسبة 95 بالمئة أنني ابتلعت فرس البحر معها.

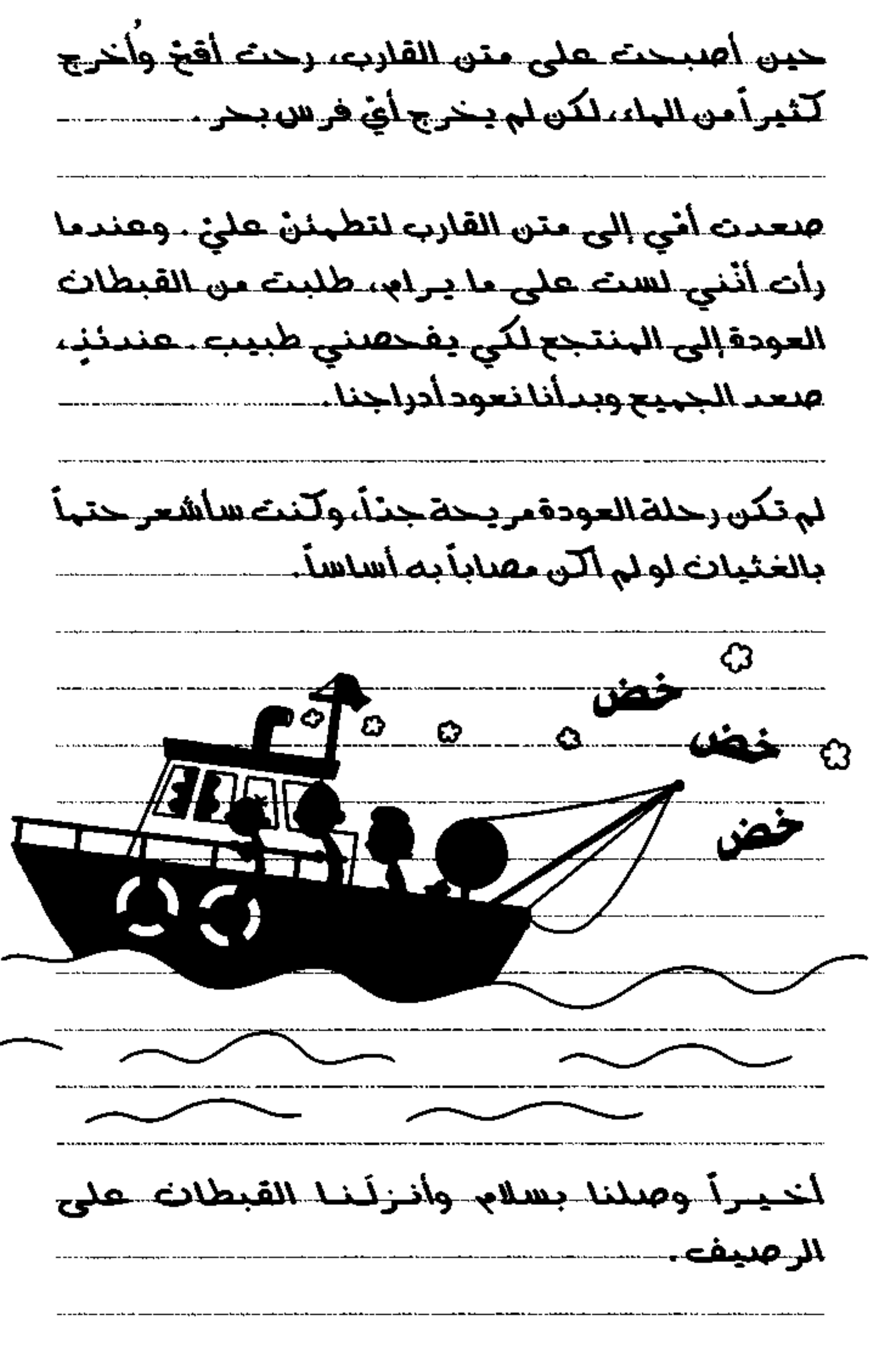


عندئذ، أصابني الذعر تماماً. وأعتقد أنني كنت سأغرق لو لم يسحبني القبطان إلى القارب.

حين أصبحت على متن القارب، رحت أقئ وأخرج كثيراً من الماء، لكن لم يخرج أي فرس بحر.

صعدت أمي إلى متن القارب لتطمئن علي. وعندما رأت أنني لست على ما يرام، طلبت من القبطان العودة إلى المنتجع لكي يفحصني طبيب. عندئذ، صعد الجميع وبدأنا نعود أدراجنا.

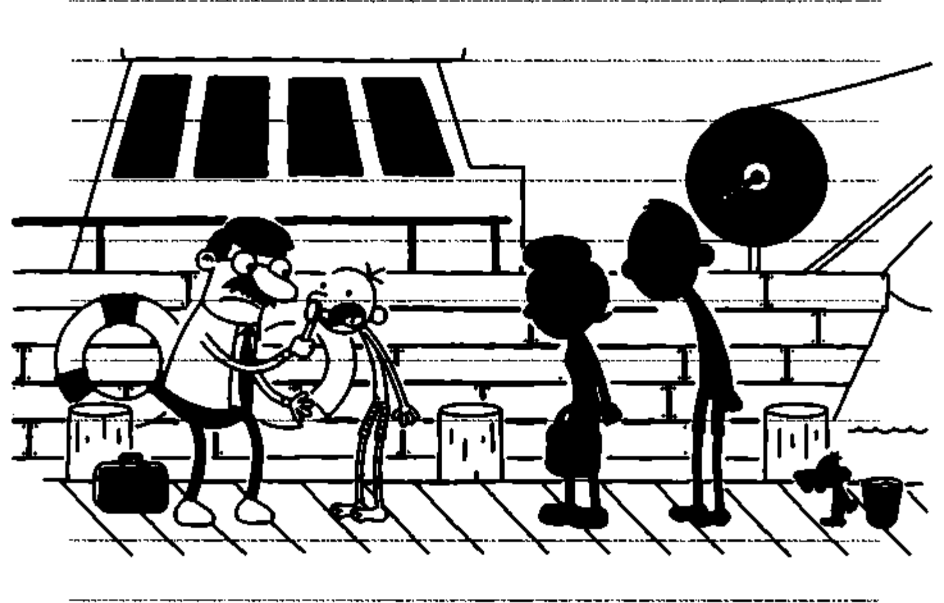
لم تكن رحلة العودة مريحة جداً، وكنت سأشعر حتماً بالغثيان لو لم أكن مصاباً به أساساً.



أخيراً وصلنا بسلام وأنزلنا القبطان على الرصيف.

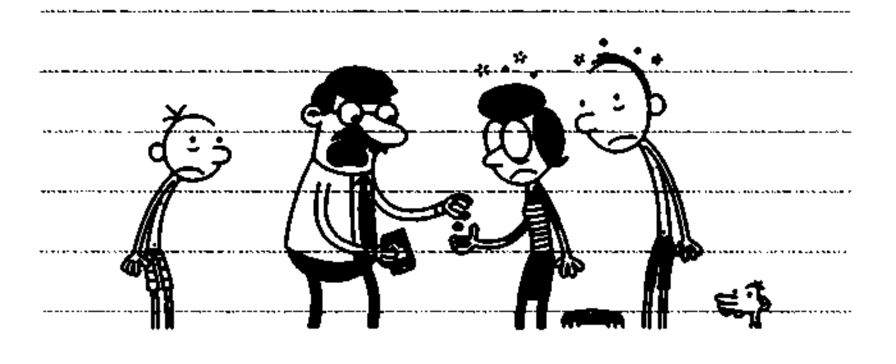
كنا قد اتصلنا مسبقاً بطبيب المنتجع الذي كان بانتظارنا. وحين أخبرته بما حدث، ظننت أنه سيرسلني حتماً إلى أقرب مستشفى لتصوير معدتي بالأشعة.

لكن عندما فحصني، قال إنني أبدو على ما يرام. ثم أضاف أنه من غير المحتمل أن أكون قد ابتلعت فرس البحر وأنني سأتحسن عما قريب.

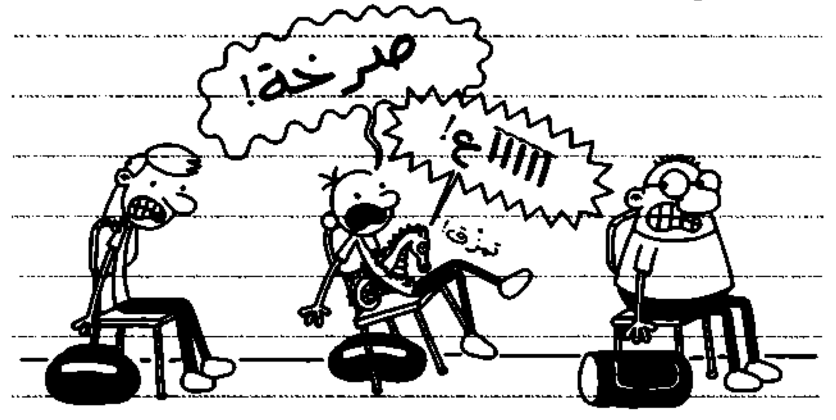


في الحقيقة، لم تعجبني قلة اهتمام هذا الرجل بالمسألة برمتها. ففي الحقيقة، بدا لي أكثر اهتماماً بأمي وأبي منه بي أنا.

ألقى الطبيب نظرة عليهما وقال إنهما مصابان على ما يبدو بدوار البحر. ثم أعطى كلاً منهما قرص دواء وأضاف أنهما سيشعران بالتحسن بعد قليل من الراحة.



خلاصة الأمر، إن أصابني أي شيء في المستقبل، أتمنى أن يعرف هذا الطبيب أنه كان بمقدوره فعل شيء، لكنه أهمل ذلك.

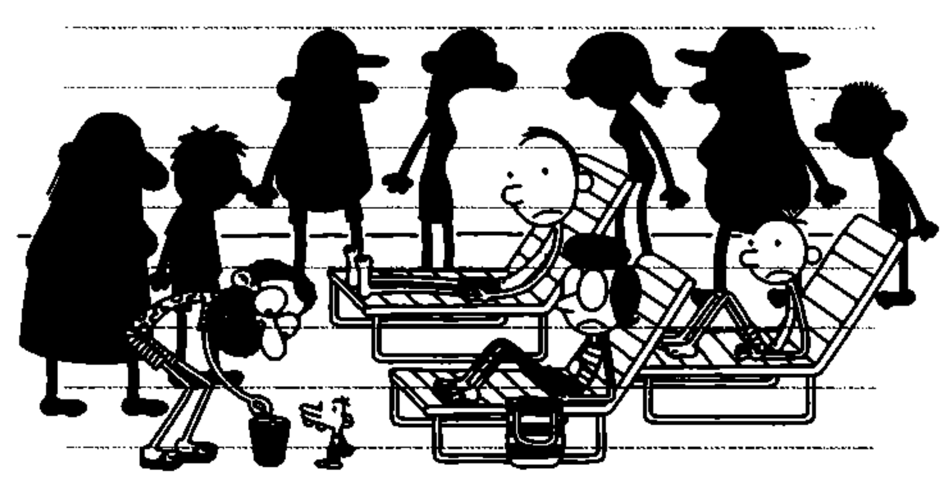


عثر والداي على عدد من المقاعد الطويلة الخالية بجانب المسبح، فجلسنا لأخذ قسط من الراحة.

فجأة أتى مدير المرح مع طابور الكونغا، وحاول إجبارنا على المشاركة.

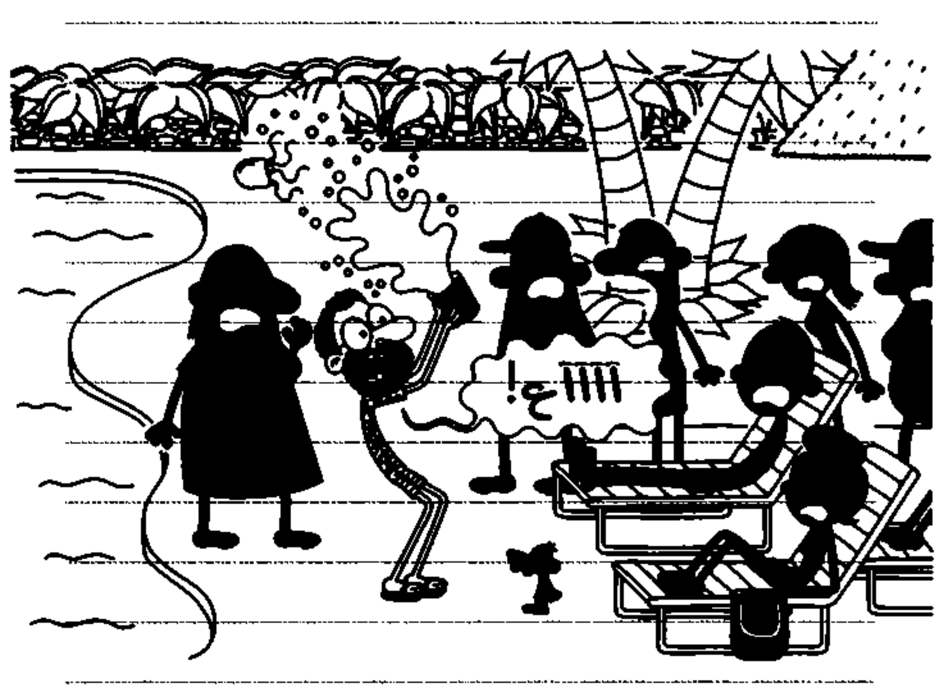
هز هز

لكننا رفضنا رفضاً باتاً، فواصل الدورات في منطقتنا. فجأة توقف جامداً عندما لاحظ شيئاً في دلو ماني.

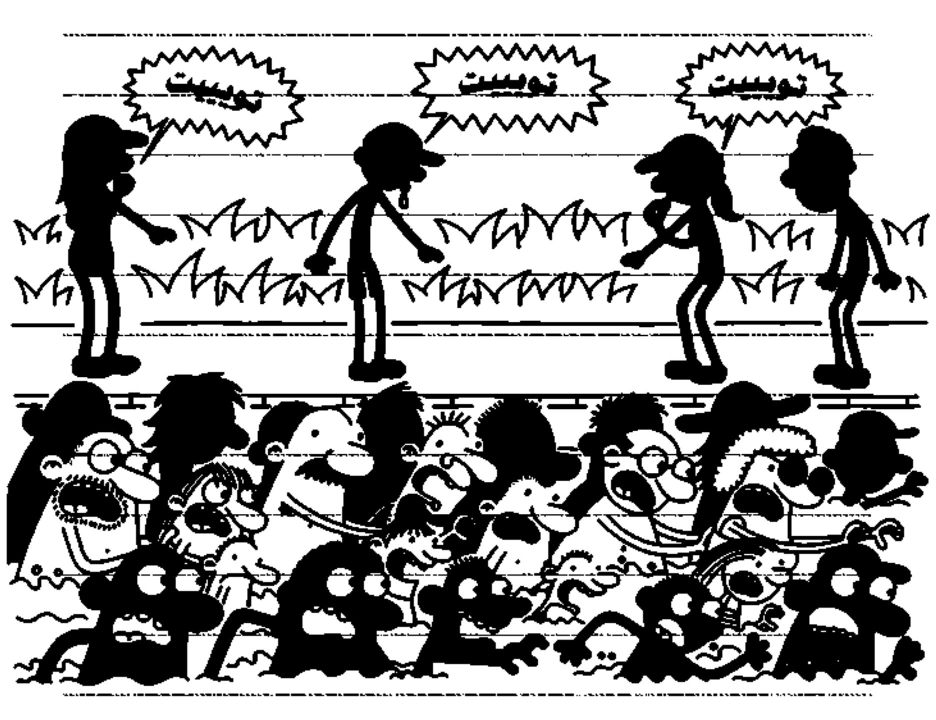


بدا لي كأنه كيس بلاستيكي شفاف يطفو في الماء. لكن مدير المرح رفع الدلو لإلقاء نظرة عن كثب.

هنا تبين أنه لم يكن كيساً بلاستيكياً على الإطلاق، بل قنديل بحر. ولم يكن أي قنديل بحر أيضاً، بل قنديل بحر مربع.



اندفع مدير المرح إلى أقرب منقذ، فبدأ هذا الأخير يصفر. عندئذ، بدأ جميع المنقذين يصفرون. وأنا واثق أنه لم يسبق لكم أن رأيتم هذا العدد من الناس يغادرون مسبحاً بتلك السرعة.



قرر أفراد أسرتي مغادرة المكان هم أيضاً.

وفي طريقنا إلى الغرفة، لاحظنا أن رودريك لم يكن معنا. فظنت أمي أنه تسلل على الأرجح لتمضية الوقت مع تلك الفتاة. لكن عندما ذهبنا إلى منطقة المراهقين، لم نجده هناك.

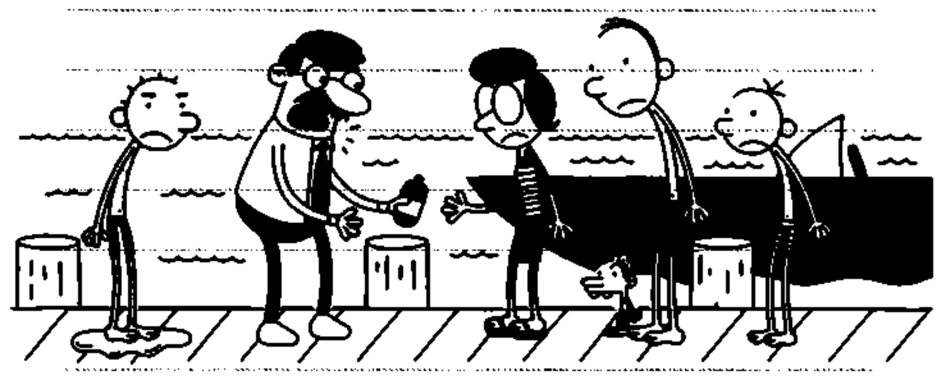
عندها فقط أدركنا أن أحداً لم ير رودريك منذ مدة. في الحقيقة، لا أذكر أنني رأيته على متن القارب في رحلة العودة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أبي وأمي.

هذا يعني أنه مازال هناك.

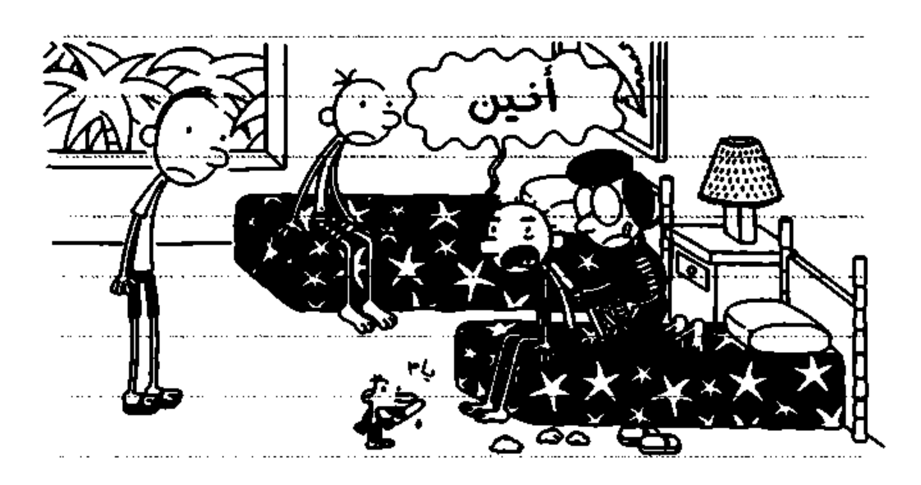
أخذنا نركض بأقصى سرعتنا إلى الرصيف. فوجدنا قاربنا هناك يستعد لرحلة أخرى، لكن أني تكلمت مع الرجل الذي يشغّل قارب الموز وأخبرته بما جرى. فصعدنا على متن القارب السريع الذي اصطحبَنا إلى الشعب المرجانية.

وهناك وجدنا رودريك تماماً حيث تركناه. كان على قيد الحياة، لكنه أحمر اللون مثل الكركند.

عندما عدنا إلى المنتجع، قال الطبيب إن رودريك مصاب بضربة شمس ويحتاج إلى شرب كثير من الماء وأخذ قسط من الراحة. ثم أعطى أمي مرهم الألوة لتخفيف ألم حروق الشمس.

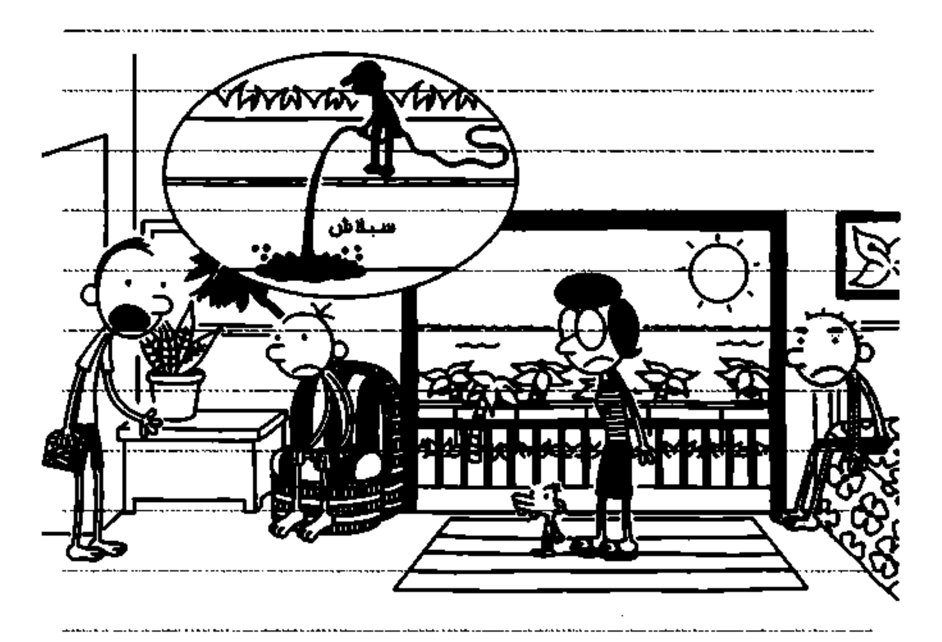


لكن الألوة لم تساعد رودريك كثيراً. فأرسلت أمي أبي إلى المتجر ليجد له شيئاً أفضل، وأمضينا بقية الليل ونحن نتناوب على تبريد ظهر رودريك بالمثلجات.



الجمعة

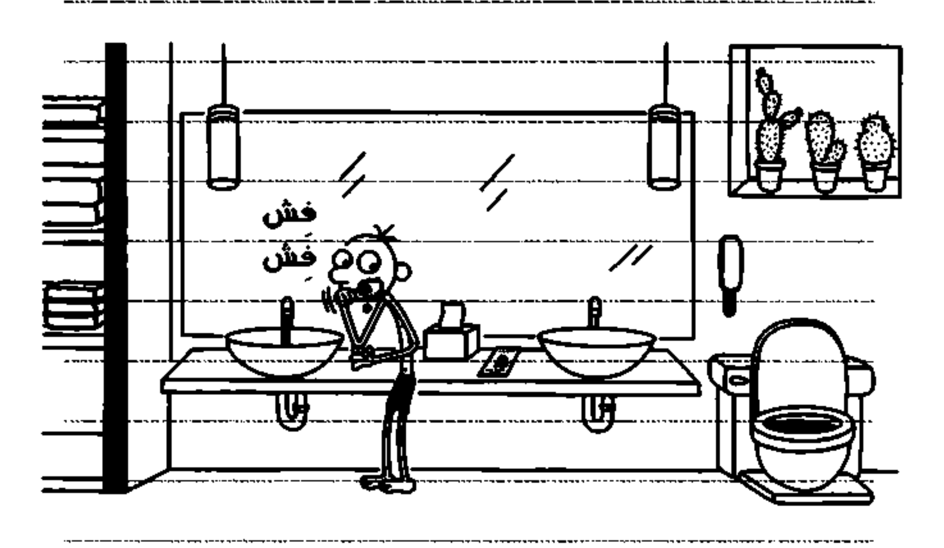
في الصباح التالي، خرج أبي لشراء علبة مثلجات أخرى، وعاد ببعض الأخبار. قال إنهم أفرغوا المسبح بأكمله للعثور على قنديل البحر، وقد بدأوا للتو بملئه مجدداً. لكنه سيحتاج إلى ثلاثة أيام قبل أن يصبح جاهزاً للاستعمال.



فكّرت أنه من الحكمة أن نبقى مختبئين في الجناح لبقية الرحلة، لأن النزلاء سيبحثون بلا شك عن الأسرة التي أفسدت عطلة الجميع. غير أن أمي رفضت تمضية بقية وقتنا في الداخل.

طلبَت من أبي اصطحاب ماني إلى ملعب القراصنة، وقالت لي أن أذهب لأرى ما هي الأنشطة المتاحة في منطقة العمر المحيّر.

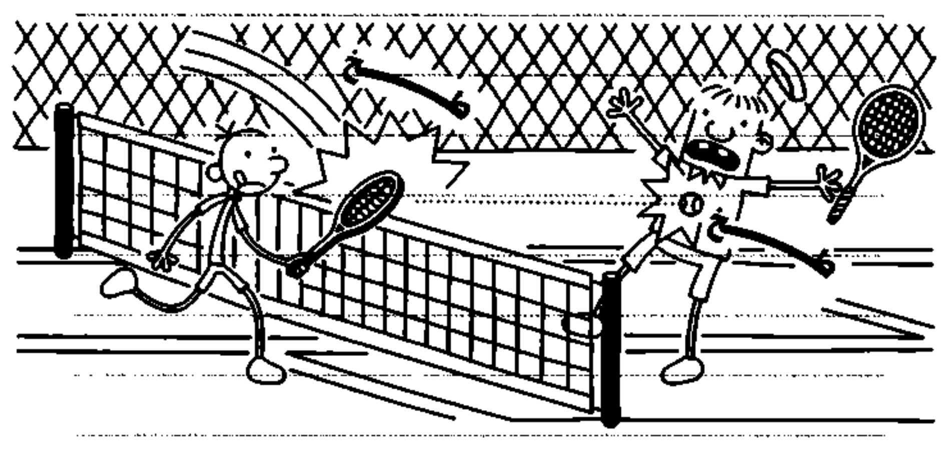
لم أكن أرغب حقاً في العودة إلى هناك، لكنني أعتقد أن ذلك أفضل من المجازفة بلقاء آخر مع العنكبوت.



نزلت إلى هناك آملاً أن يكون النشاط عبارة عن منافسة في ألعاب الفيديو أو شيء من هذا القبيل، لكن المشرف كان يجهّز الجميع للعب التنس.

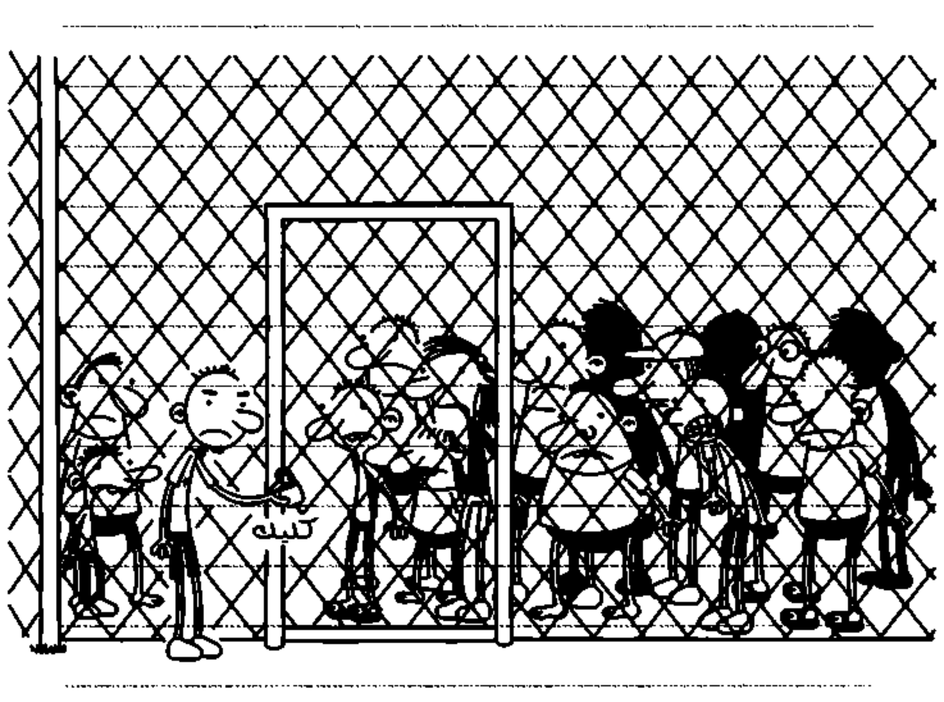
فكّرت في البداية أن أعود أدراجي، لأنني لم أكن أريد أن أتصبب عرقاً.

ثم تذكّرت أن راولي يلعب التنس في نادي البلدة، وسيكون من الممتع أن أتعلم لكي نلعب معاً جولة أو جولتين في الصيف.



اصطحبنا المشرف الذي ينظّم اللعبة، ويدعى رودريغو، إلى ملعب التنس.

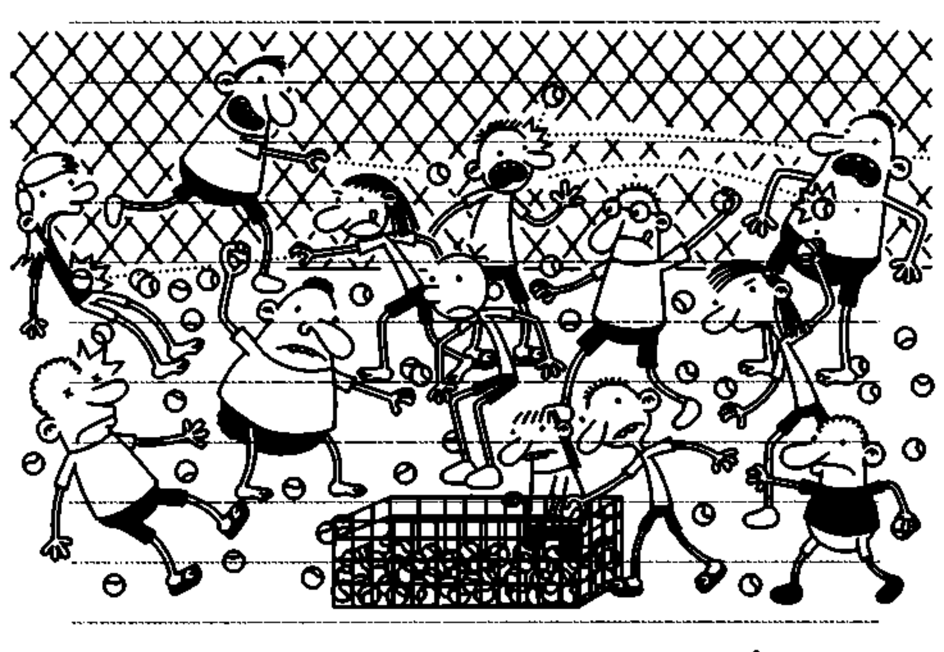
ظننت أن رودريغو سيمكث معنا ويعلمنا كيفية اللعب، لكن ما إن دخلنا جميعاً عبر بوابة الملعب، حتى أقفل علينا.



عندها أدركت أن هذه «الأنشطة» ليست سوى طريقة لإراحة الأهل من أولادهم لبضع ساعات.

كان ملعب التنس عبارة عن قفص ضخم، وكنا أشبه بالمساجين لمدة ساعة ونصف. حتى إننا لم نستطع أن نلعب التنس، لأن رودريغو لم يعطنا مضارب.

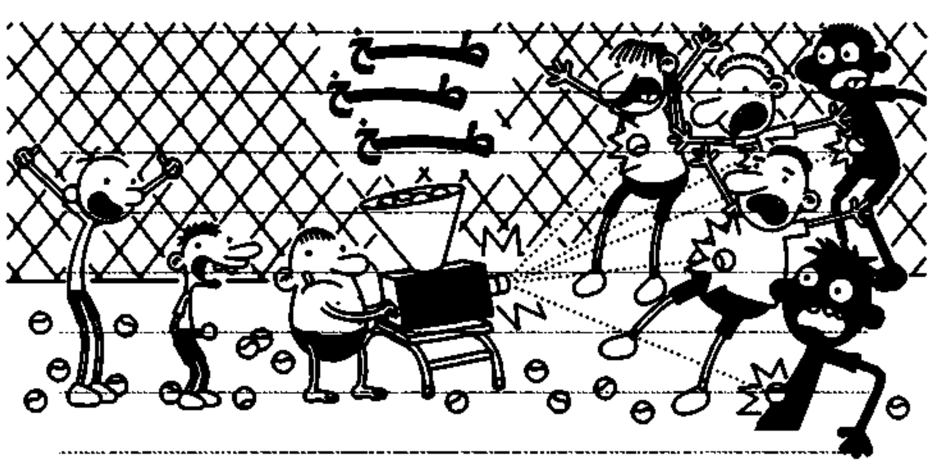
غير أنه تركنا مع عدد كبير من الطابات. فالسلة الموضوعة في وسط الملعب كانت تحتوي بتقديري على ثلاثمائة طابة على الأرجح. في البداية، بدأ الأولاد يلقونها ببعضهم البعض، لكن ما لبث أن تحوّل اللعب إلى حرب شرسة.



تراجعتُ نحو السياج مع بعض الأولاد الذين لم يرغبوا في تلقي ضربة على وجوههم بطابة تنس. لكنّ ذلك حوّلنا إلى أهداف.

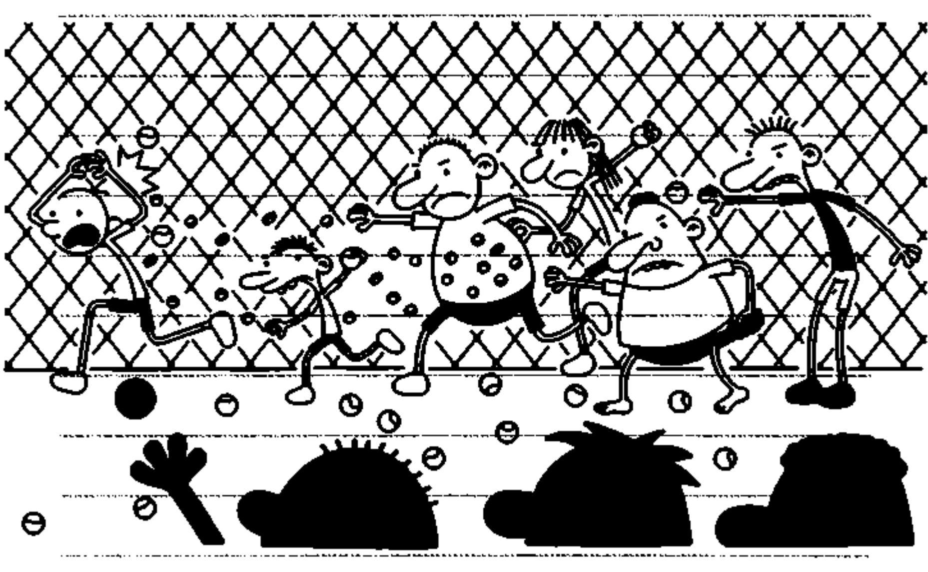
فبدأنا نردّ الهجوم. اكتشف أحدنا كيف يشغّل آلة الطابات، فاستعملناها للدفاع عن أنفسنا.

أنا لا أربح إطلاقاً في هذا النوع من الألعاب، وأقر أنني استمتعت كثيراً.



لكن كل شيء توقف فجأة. فقد تعرّف إلي أحد الأولاد الذين كانوا في طابور الكونغا في اليوم الفائت، وأخبر الجميع أنهم اضطروا إلى إفراغ المسبح بسبب أسرتي.

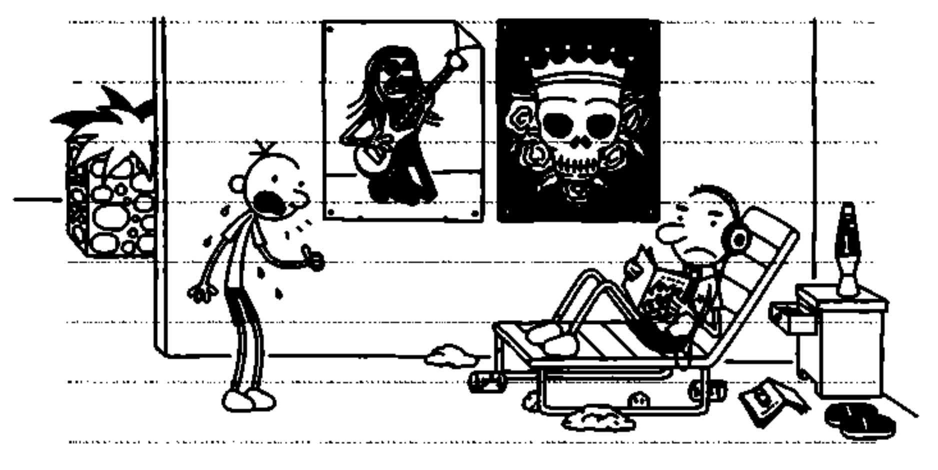
شرحت للجميع أنّ المسألة كانت مجرّد حادثة كبيرة، وأنّ أخي الصغير أراد الاحتفاظ بقنديل البحر ظنّاً منه أنّه حيوان أليف. لكن أعتقد أنّ أولئك الأولاد كانوا مستائين جدّاً من حالة المسبح، وأرادوا تفريغ غضبهم بشخص ما.



كان عليّ الخروج من هناك، لكنّ البوّابة مقفلة. ولم يكن أمامي سوى تسلّق السياج للإفلات منهم.

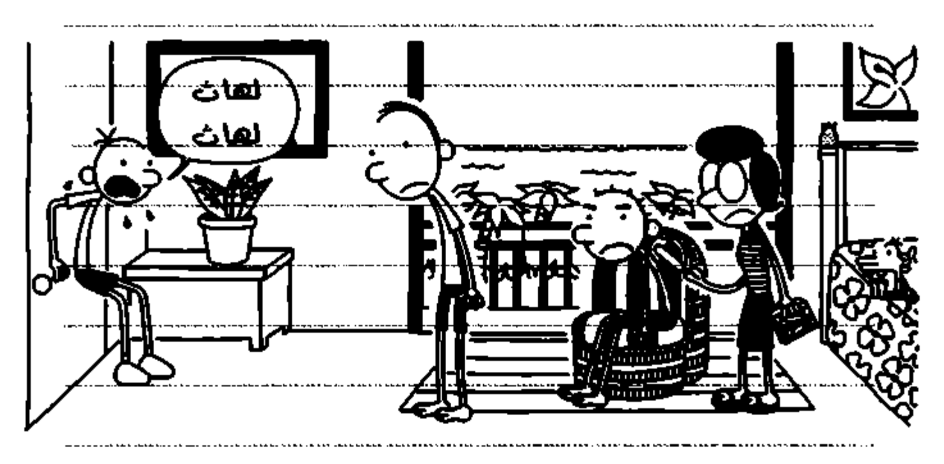
في صفّ التربية المدنية في المدرسة، أعجز حتّى عن تسلّق الجدار الصخري الموجود في صالة الرياضة. لكن الآن وقد باتت حياتي على المحكّ، تسلّقت ذلك السياج مثل الرجل العنكبوت.

بعد فراري منهم، توجّهت إلى مبنى المشرف لأطلب المساعدة. لكن رودريغو كان عديم الفائدة تماماً.



لم أعد أشعر أنني بأمان في الخارج بعد الآن، لذلك عدت فوراً إلى جناحنا.

وجدت كل أفراد الأسرة هناك عندما وصلت.



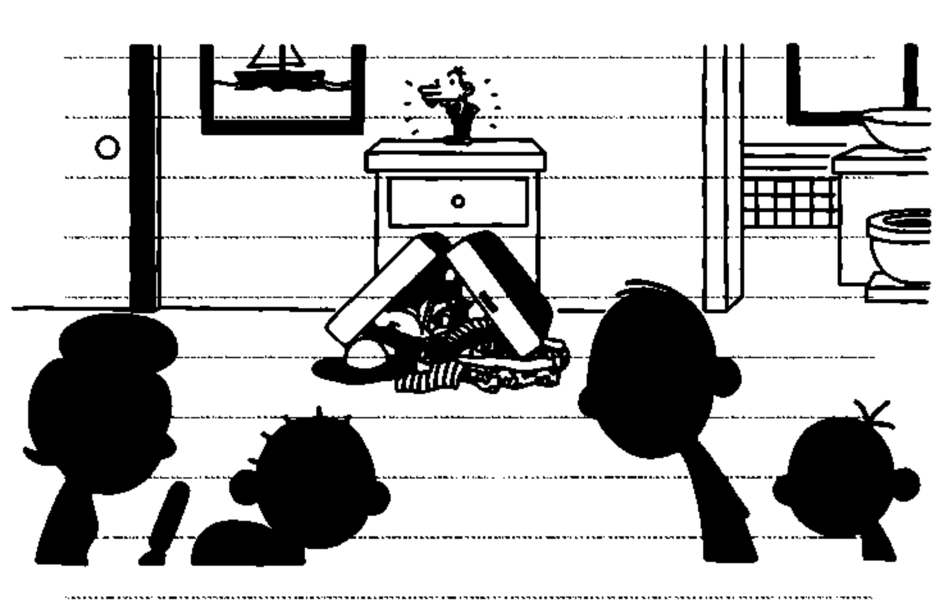
كنا في وضع حرج نوعاً ما. لم أرغب في مغادرة الغرفة، ولم يكن روديك قادراً على الخروج في الشمس في أي حال.

قالت أمي إنه يجدر بنا ربما إلغاء الرحلة والعودة إلى البيت قبل يوم من انتهائها. فأجاب أبي أنه دفع كثيراً من المال، ورفض مغادرة المنتجع قبل تناول وجبة واحدة محترمة على الأقل.

لم يرغب أحد منا في تناول الطعام في الهواء الطلق بسبب تلك الطيور المزعجة. ولم يكن بإمكاننا أن نقصد نادي الغولف لأننا لا نملك ملابس مناسبة.

في تلك اللحظة، سمعنا صوت تحطّم في الجانب الآخر من الغرفة.

كانت الحقيبة الكبيرة التي تعود إلى أشخاص آخرين مفتوحة على الأرض والملابس متناثرة حولها.



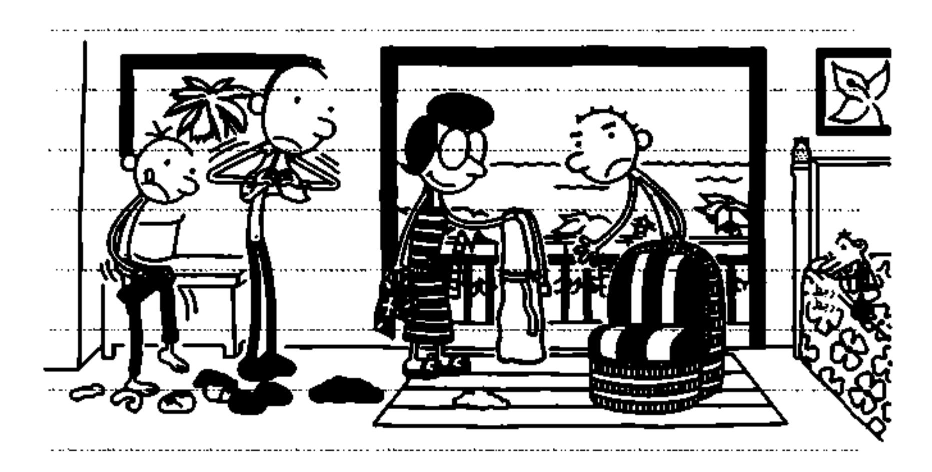
أياً يكن أصحاب تلك الحقيبة، فلا بدّ أنهم أسرة مثلنا، لأنّ الملابس كانت مختلفة المقاسات.

غير أنها لم تكن مجرّد ملابس للشاطئ، بل كان بينها أشياء تصلح لارتدائها في المناسبات أو في مطعم راقٍ.

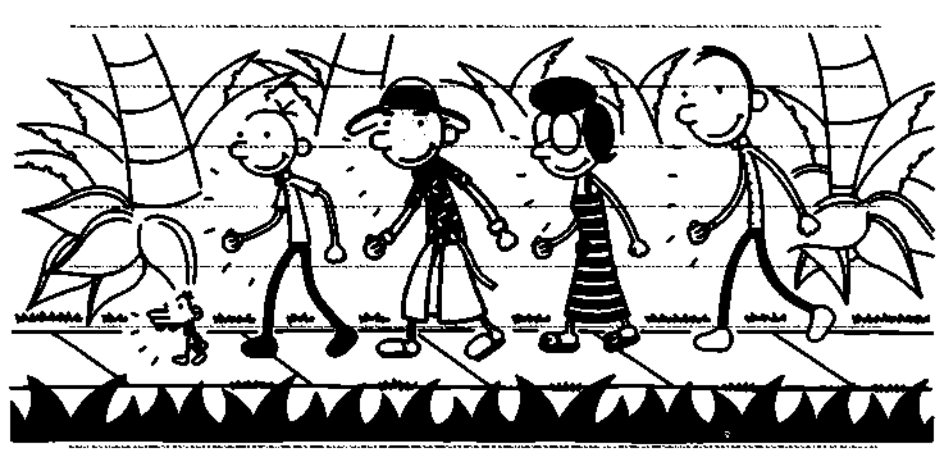
نظرتُ إلى أبي وعرفت أنه يفكّر في الشيء نفسه: هذه الملابس هي بطاقة دخولنا إلى نادي الغولف.

قالت أمي إنها لا تشعر بالارتياح لفكرة ارتداء ملابس أشخاص آخرين. فأكّد لها أبي أننا بعد استعمالها سنعيدها إلى الحقيبة وسنحرص على رجوع الحقيبة إلى أصحابها.

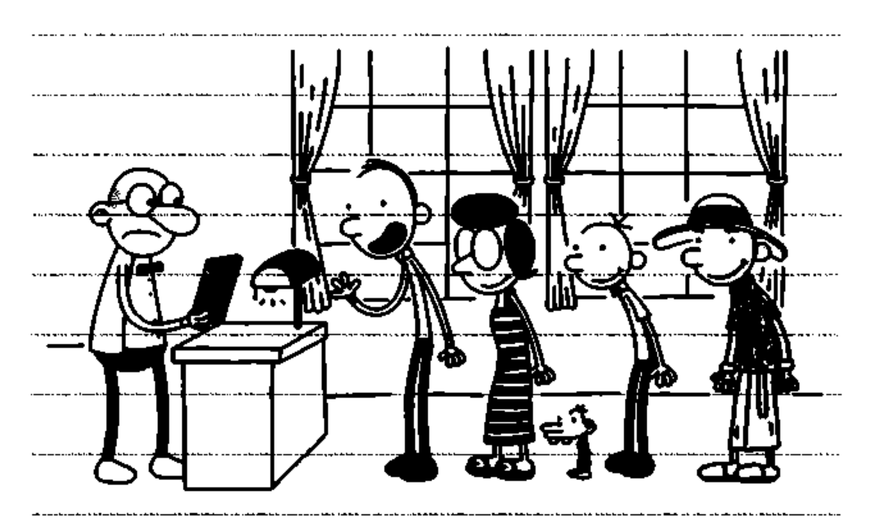
أعتقد أن هذه الفكرة جعلت أمي أكثر ارتياحاً، فبدأنا على الفور نجرّب الملابس. كان رودريك الوحيد بيننا الذي لم يجد ما يناسبه. فقالت أمي إن بشرته يجب أن تبقى محمية من الشمس على أي حال، لذلك أعطته ثوب استحمام وقميصاً يرتديه فوقه.



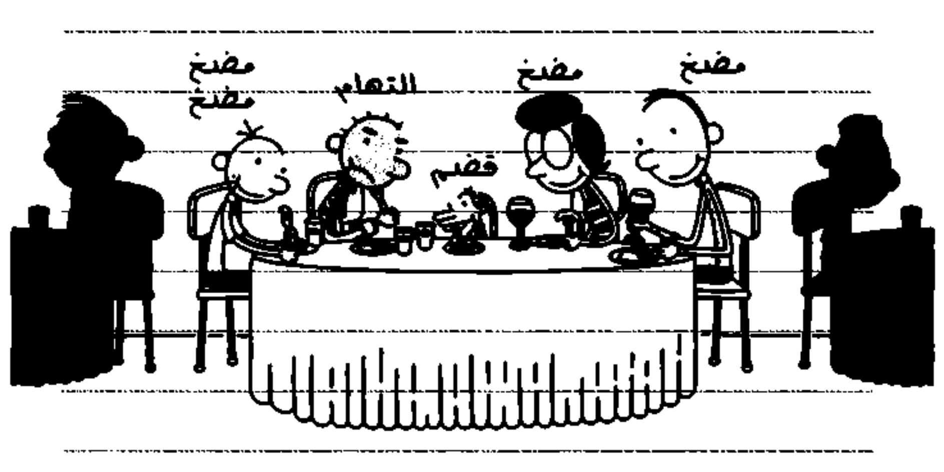
علي الاعتراف أننا حين خرجنا من مبنانا، بدونا في غاية الأناقة. وحتى ملابس رودريك فعلت فعلها على طريقتها.



توجّهنا إلى نادي الغولف، وأبقيت عيني على أولاد سني الذين قد يتعرفون إليّ. لكننا وصلنا إلى المطعم من دون مشاكل.



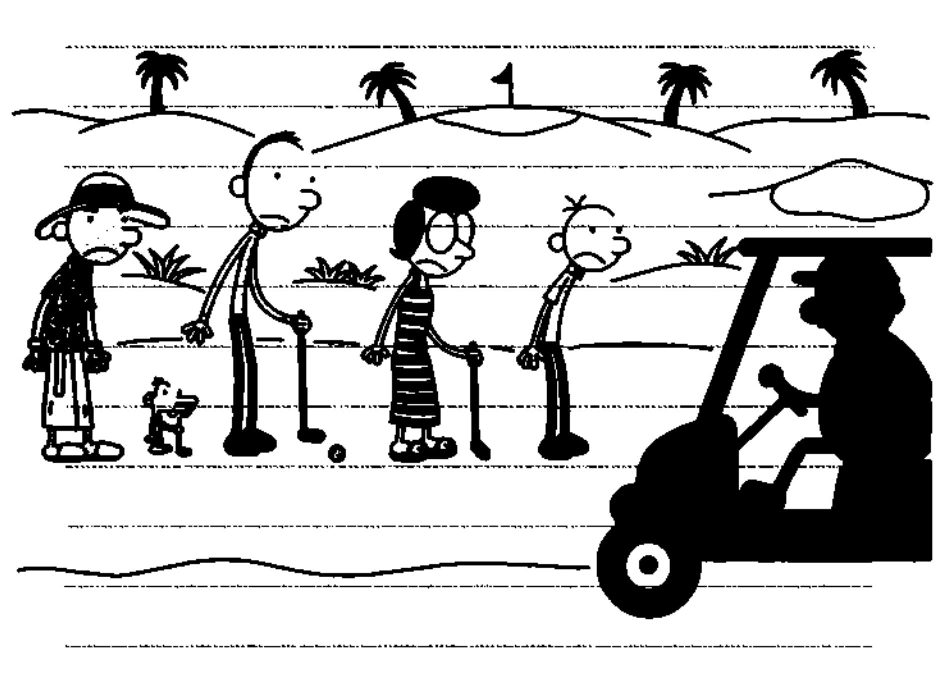
هذه المرة، سمحوا لنا بالدخول. وتناولت أفضل وجبة في حياتي بأكملها.



بعد أن أكلنا الحلوى، لم يرغب أيٌ منّا في العودة إلى الغرفة. فلهونا قليلاً في ملعب الغولف الأخضر.

في الحقيقة، لم يسبق لأسرتي أن أمضت وقتاً ممتعاً. لذلك، تصورت للحظة كيف كان يفترض أن تكون هذه الرحلة العائلية.

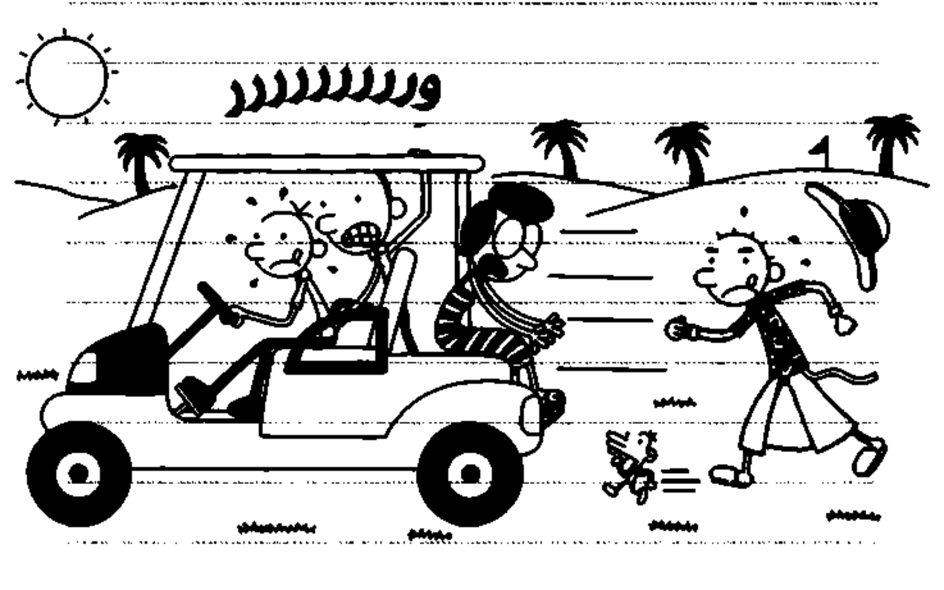
غير أنني تعلمت أن الأمور الجميلة لا تدوم إلى الأبد. إذ وصل حارس إلى الملعب في عربة غولف، ثم ترجل منها، وطلب منا مرافقته.



عندما سأله أبي عن السبب، قال إن أسرة أخرى في المطعم أبلغت أننا نرتدي ملابسها.

للحظة لم نعرف ماذا نفعل. ثمّ تذكّرت ما تعلّمته في المطار: عندما يقع آل هيفلي في المشاكل، فإنّهم يهربون.

هكذا، ركبتُ مكان الحارس في عربة الغولف، ثمّ صعدت أسرتي إليها، وتركنا الحارس خلفنا.



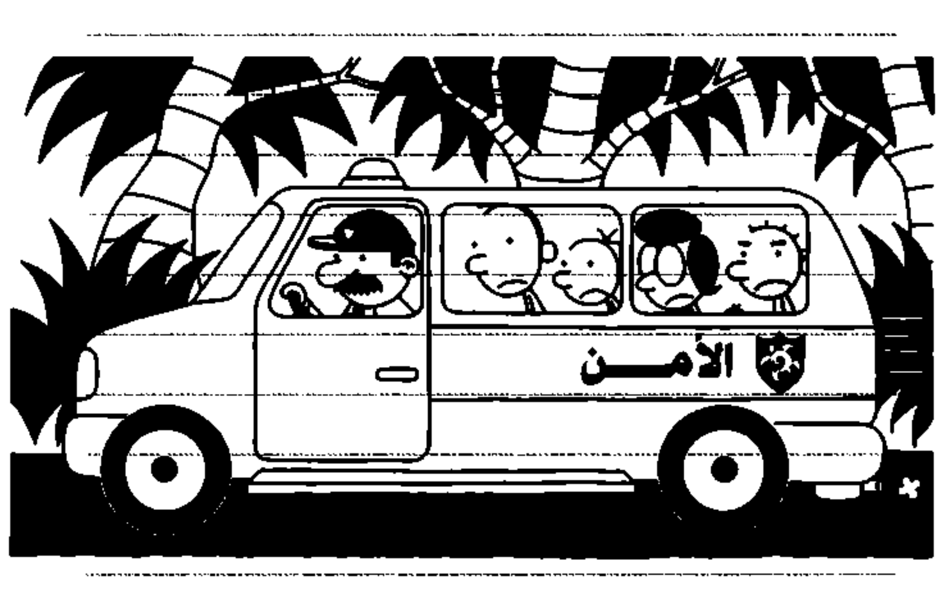
لكن تبيّن أنّ عربة الغولف بطيئة جداً ولا تنفع للهرب، لا سيّما عند صعود تلّة.

هكذا لحق بنا الحارس بعد أقلّ من دقيقة، من دون عناء كبير.

أجبرنا الحارس على العودة إلى غرفتنا وتسليم الحقيبة لأصحابها. كما اضطررنا إلى إعادة الملابس التي نرتديها، ولم تكن لحظة تبعث على الفخر.

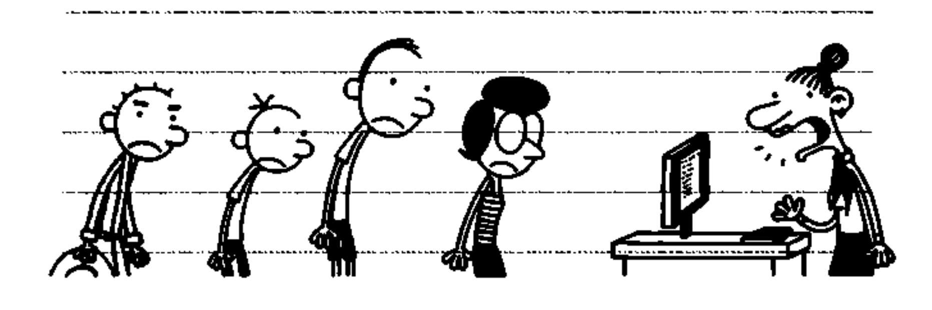
شخصياً، أعتقد أن الإحراج كان عقاباً كافياً. لكن الحارس قال إن المنتجع لا يتسامح مع السرقة، وعلينا أن نحزم حقائبنا ونغادر فوراً.

حاول أبي أن يشرح ما حدث بالفعل، لكن الرجل لم يكن في مزاج للإصغاء. وما إن حزمنا أمتعتنا، حتى أوصلنا إلى المطار بنفسه.



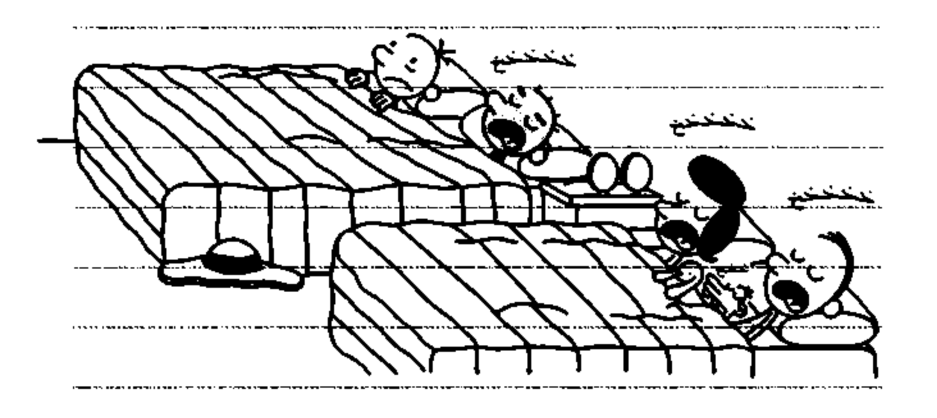
عندما وصلنا إلى المطار، ذهب أبي إلى مكتب خدمة العملاء في شركة الطيران، وأخبرهم أننا نرغب في العودة قبل يوم من انتهاء الرحلة.

أجابت الموظفة أن جميع الرحلات كانت محجوزة لذلك اليوم، وعلينا الانتظار إلى مساء اليوم التالي للعودة.



كانت تلك مشكلة لأننا لا نملك مكاناً ننام فيه.

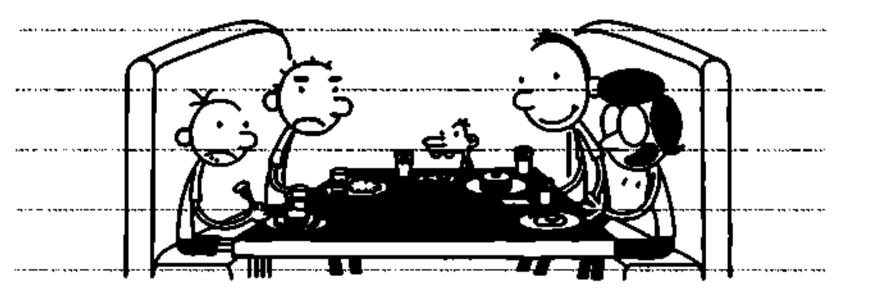
اتصل أبي بفندق المطار، فقالوا إنهم يملكون غرفة خالية واحدة. وهكذا أمضينا ليلتنا الأخيرة في غرفة صغيرة. واضطررت إلى مشاركة السرير مع رودريك الذي كان حبقاً بسبب عصير المثلجات.



السبت

عندما استيقظنا في الصباح، تخيلت أن نهاراً طويلاً ينتظرنا. فرحلتنا لن تنطلق قبل الساعة الثامنة مساء، ولا شيء نفعله في المطار. لكن خلال الإفطار، أعلن أبي وأمي عن مفاجأة.

قالا إننا سنعود إلى المنتجع هذا اليوم.



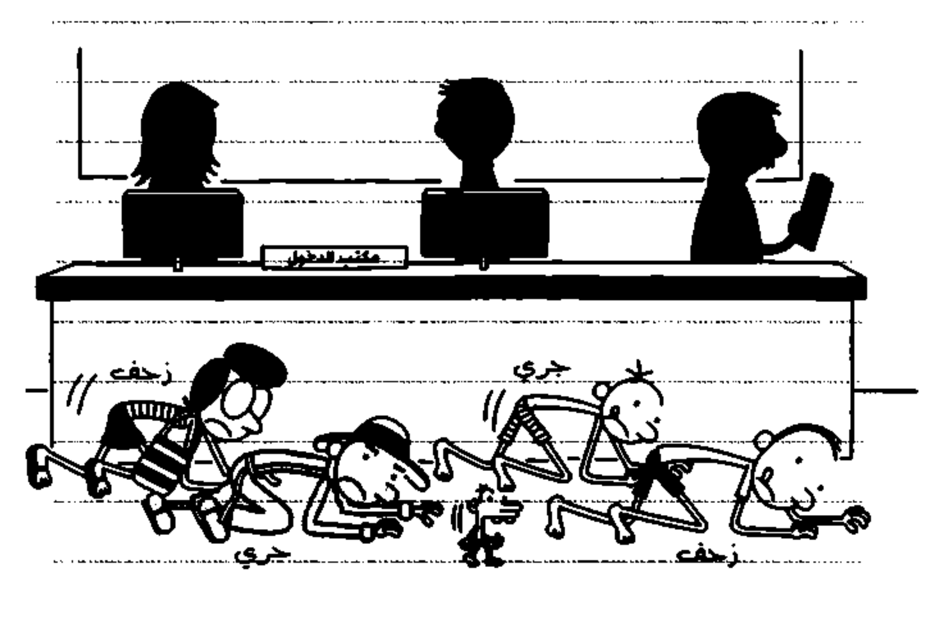
كانا قد ناقشا المسألة في الليلة السابقة، ولم يحب أحد منهما الطريقة التي آلت إليها الأمور. فقررا إصلاح الوضع والمغادرة بكرامة.

أشارت أمي إلى أن أهم شيء، هو التقاط تلك الصورة العائلية. وقالت إنها تعرف مكاناً ممتازاً على الشاطئ، وما إن نصل إلى المنتجع سنتوجه إليه فوراً.

وجدتُ الفكرة برمتها جنونية. لأنني لم أفهم كيف سنتخطى مكتب الاستقبال. لكن أبي قال إنّ لديه خطة سيخبرنا بها عند وصولنا.

ركبنا الحافلة المكوكية المجانية للعودة إلى المنتجع، وشاهدنا ذلك الفيديو مجدداً. فأدركت أنّ الأمور تبدو ممتعة لأنهم لا يعرضون صوراً لأسر حقيقية.

عندما ترجّلنا من الحافلة، شرح لنا أبي خطته للتسلّل إلى داخل المنتجع. ولا بدّ لي من القول إنها لم تكن مثيرة حقاً للإعجاب.



غير أنها نجحت فعلاً. وما إن عبرنا الردهة، حتى ذهبنا إلى المسبح. لم نجد أحداً فيه، لأنهم كانوا ما زالوا يملؤونه.



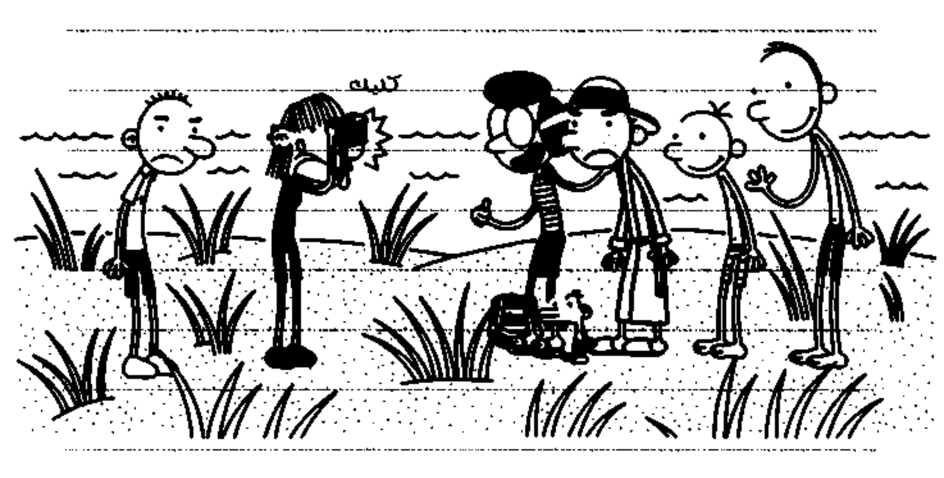
سرعان ما عرفنا أين الجميع، كانوا كلهم على الشاطئ. لكنه كان شديد الازدحام، ولم يبد أي فرح على الوجوه.

أرادت أمي التقاط الصورة العائلية، لكنها لم ترغب في ظهور أشخاص آخرين معنا. لذلك توجّهنا إلى الكثبان الرملية، حيث لن يظهر أحد في الصورة.

لكن عند وصولنا، التقينا بصديقة رودريك.

شعرتُ بالأسف على رودريك، لا سيما بعدما طلبت أمي من الفتاة التقاط صورة لنا.

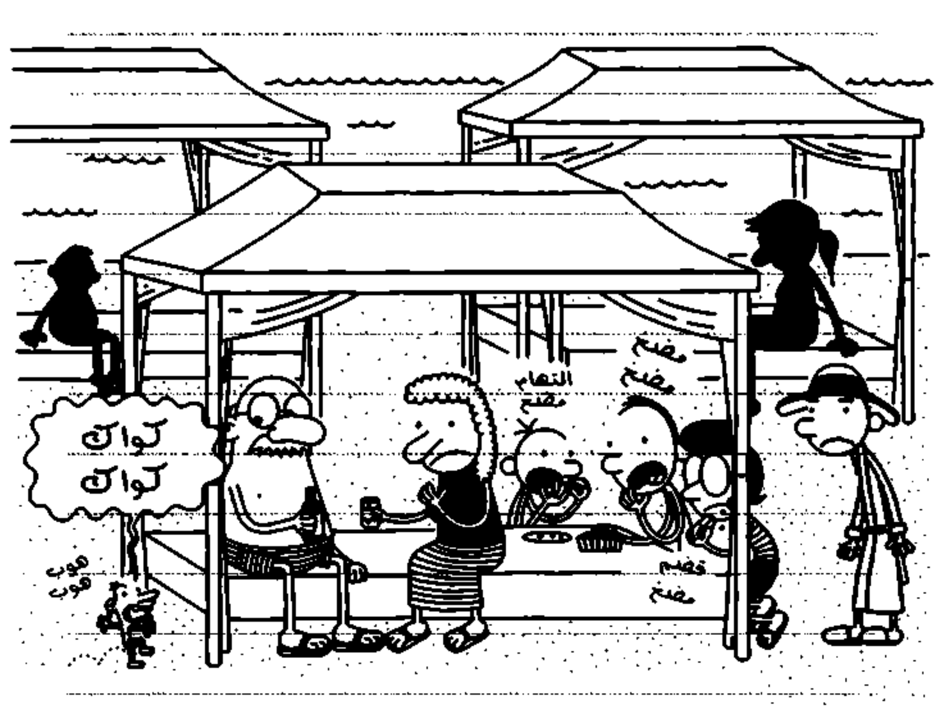
غير أنني لست واثقاً ما إذا كنا سنستعمل الصورة كبطاقة معايدة، لأن أمي تحب أن يكون الجميع مبتسمين.



بعد انتهائنا من مسألة الصورة العائلية، عدنا إلى الشاطئ. كان رودريك عابساً، أما نحن فاستمتعنا.

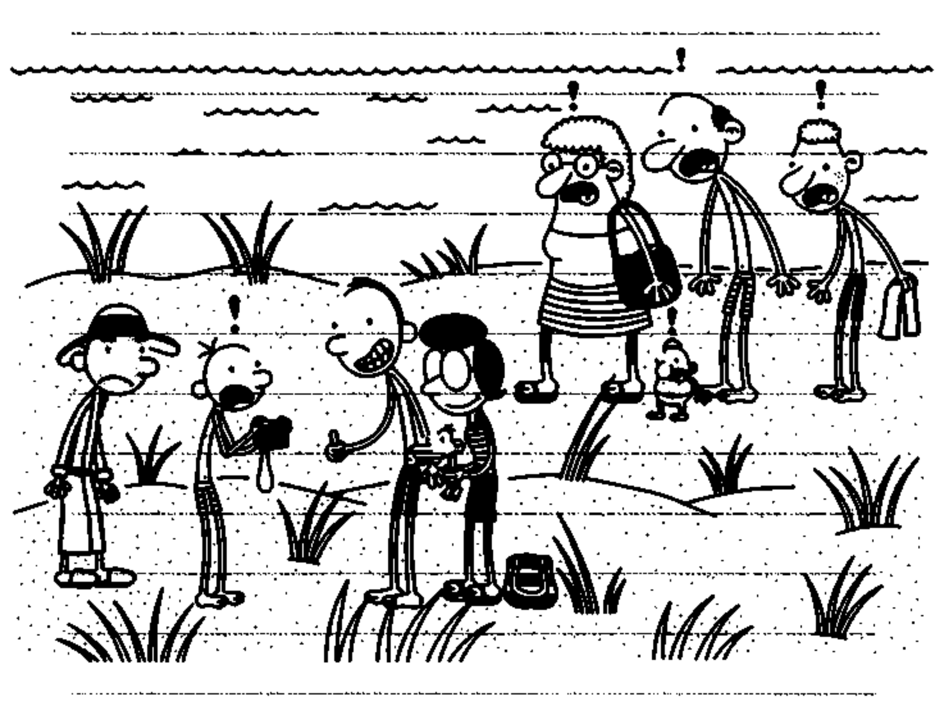
لعبنا حتى بدأنا نجوع، وأصبحنا جاهزين لتناول الطعام. المشكلة أن الحارس أخذ منا مفاتيح الغرفة عندما طردنا من المنتجع. لذلك لم نستطع أن ندفع ثمن شيء.

وجدنا أسرة في إحدى الخيم تركت بقايا البيتزا والبطاطس المقلية جانباً. فاستخدمنا الخدعة التي تعلّمناها من الطيور وأكلنا بعض الطعام.



بعد ذلك، قال أبي إن علينا العودة. إلا أن أمي رغبت في التقاط مزيد من الصور على الكثبان الرملية قبل رحيلنا، فتوجّهنا إلى هناك.

لكني أظن أننا جازفنا، لأننا صادفنا هناك بعض معارفنا.

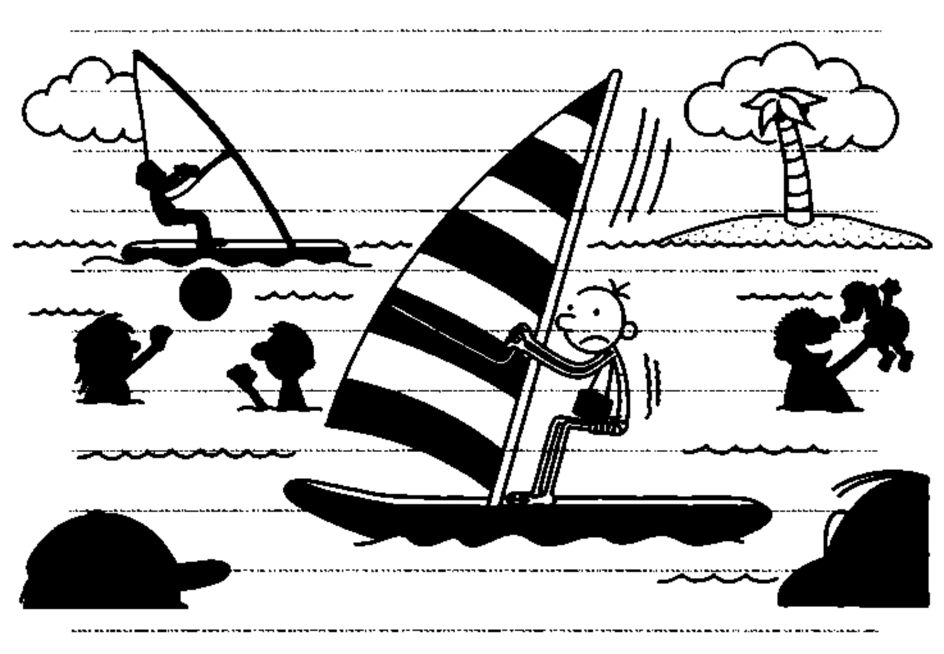


ما إن رآنا أفراد تلك الأسرة، حتى بدأوا يركضون، فعرفت أنهم سيبلغون عنا الأمن. لذلك غادرنا مسرح الحدث بأقصى سرعة ممكنة.

لا أعرف إلى أين ذهب بقية أفراد أسرتي، لكنني توجهت إلى الشاطئ. فمع العدد الكبير من الناس هناك، تصورت أن أحداً لن يجدني بينهم. لكن عندما رأيت حارساً يجري نحوي، أصابني الذعر.

ركضتُ إلى الماء، وسبحت إلى حيث توجد المراكب الشراعية. لم أكن أعرف كيف تُستعمل تلك الأشياء، لكنها كانت وسيلة نجاتي الوحيدة.

صعدت على المركب، ثم رفعت الشراع. وما أن استقام في الهواء، حتى بدأت أتقدم.



اكتشفت أن طريقة توجيه ذاك الشيء، هي بشد القبضة الكبيرة المعلقة بالشراع. وخطر ببالي أنني ما دمت أبتعد عن الشاطئ، فسأكون بخير.

فجأة، هبت رياح قوية، ولم أكن أملك القوة الكافية لتوجيه الشراع كما أريد. كنت أتقدم بسرعة وكانت سرعتي تتزايد.



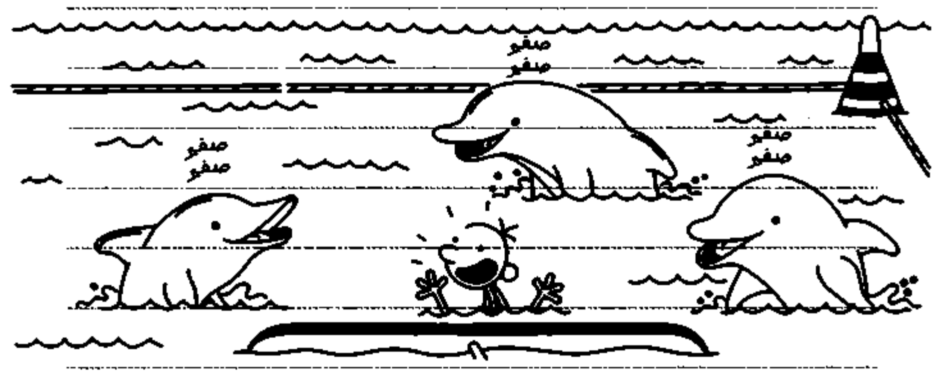
رأيت أمامي بعض العوامات التي تشير إلى حبال ممدودة في المياه. فسحبت القبضة بكل قوتي، لكنني لم أستطع تجنب الحبال.

أعتقد أن قعر المركب مزود بما يشبه الزعنفة، لأن شيئاً ما علق بالحبل. وحينئذ، مال المركب بأكمله وانقلب في المياه.

حاولت إعادته إلى وضعيته السابقة، لكن ذلك كان صعباً بسبب الأمواج. ثم لامس شيء ما ساقي، فتجمدت تماماً.

بعد قليل، ظهرت زعنفة، تبعتها ثانية وثالثة حتى أصبحتُ محاطاً تماماً. وظننت أنني على وشك أن أصبح غداءً لسرب من أسماك القرش.

في تلك اللحظة، أدركت أنني في منطقة الدلافين. ففرحت كثيراً ونسيت كيف وصلت إلى هناك.



فجأة، توقف مركب أمني على مقربة مني، وأعادني إلى الواقع.

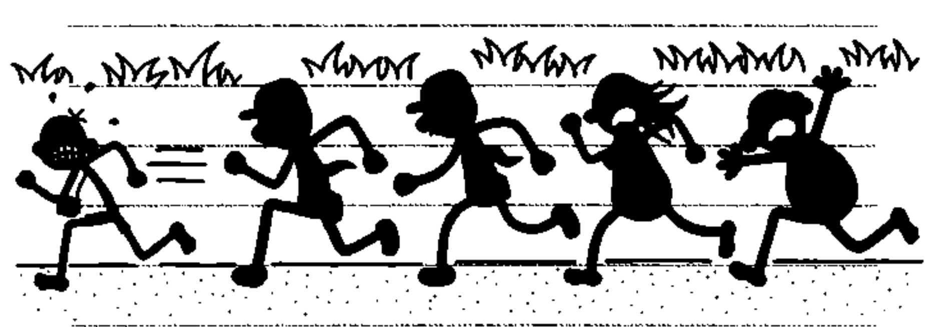
أين أنت!

الأمن

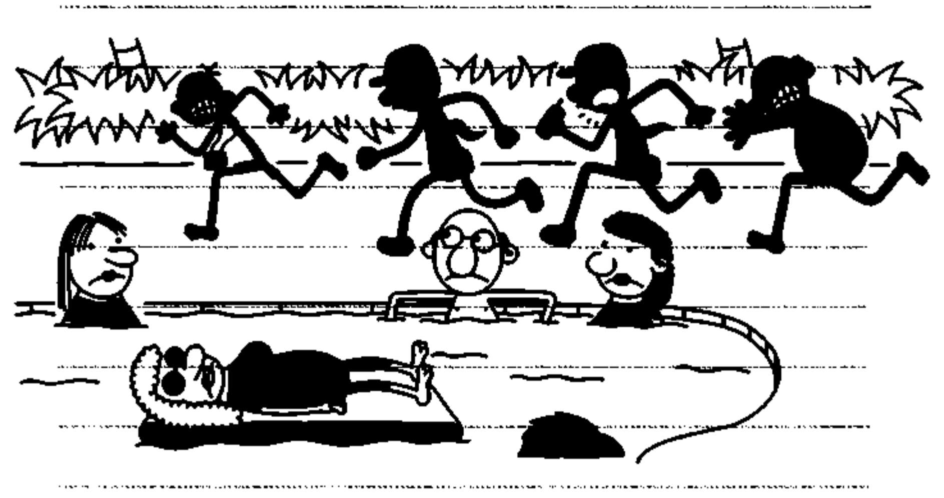
تخليت عن فكرة ركوب الأمواج وسبحت إلى الشاطئ. لكنني وجدته أقلّ ازدحاماً بكثير مما كان عليه قبل بضع دقائق.

عرفت السبب عندما وصلت إلى هناك. فقد توجهت من طريق الخطأ إلى مسبح القسم الساخن. ولم يبدُ السرور على أولئك الناس لدى رؤية ولد يحمل كاميرا على شاطئهم الخاص.

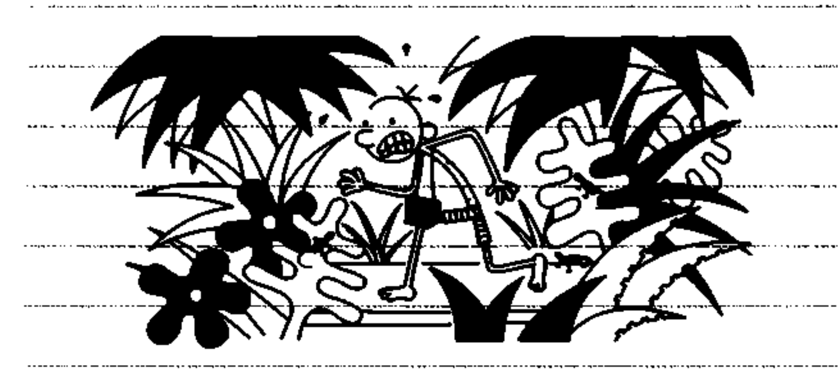
الآن بدأ الحراس يطاردونني من كل حدب وصوب، فأخذتُ أجري بأقصى سرعتي. ولم يلحق بي الحراس فقط، بل روّاد الشاطئ أيضاً.



جريت على الرمال وصولاً إلى المسبح، الذي بدا شبيهاً جداً بمسبحنا، لكنه مليء بالماء.

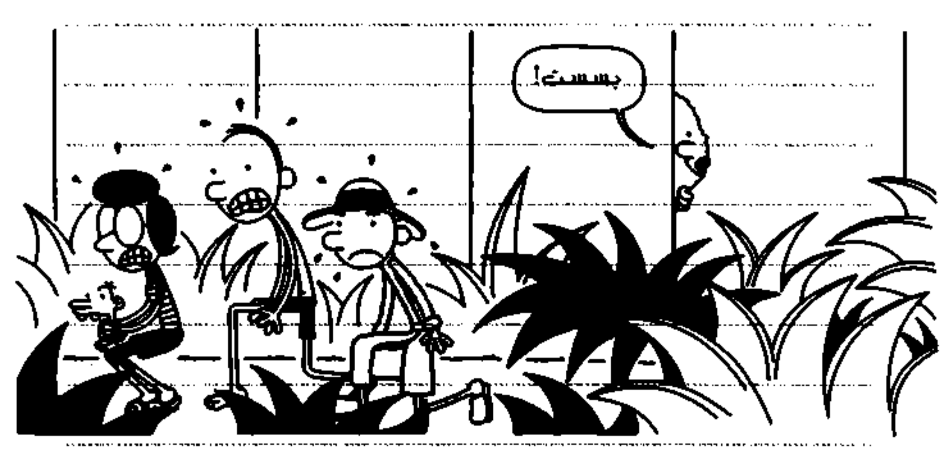


كان في أعقابي عدد من الأشخاص. فقفزت فوق جدار وهبطت في أجمة كثيفة.



عندما وصلت إلى الجانب الآخر، ظننت أنني أصبحت بأمان. إلا أنني اصطدمت بجدار.

كان في الجدار ثقب، ولن تصدقوا ما رأيته في الجانب الآخر.



رأتني أسرتي، فقلت لهم إنني بحاجة إلى المساعدة.

أدخلت أصابعي في الثقب في محاولة لنزع اللوح. ودفع أبي من الجانب الآخر، فانفتح الجدار قليلاً. غير أن الفتحة لم تكن كافية لأدخل من خلالها.

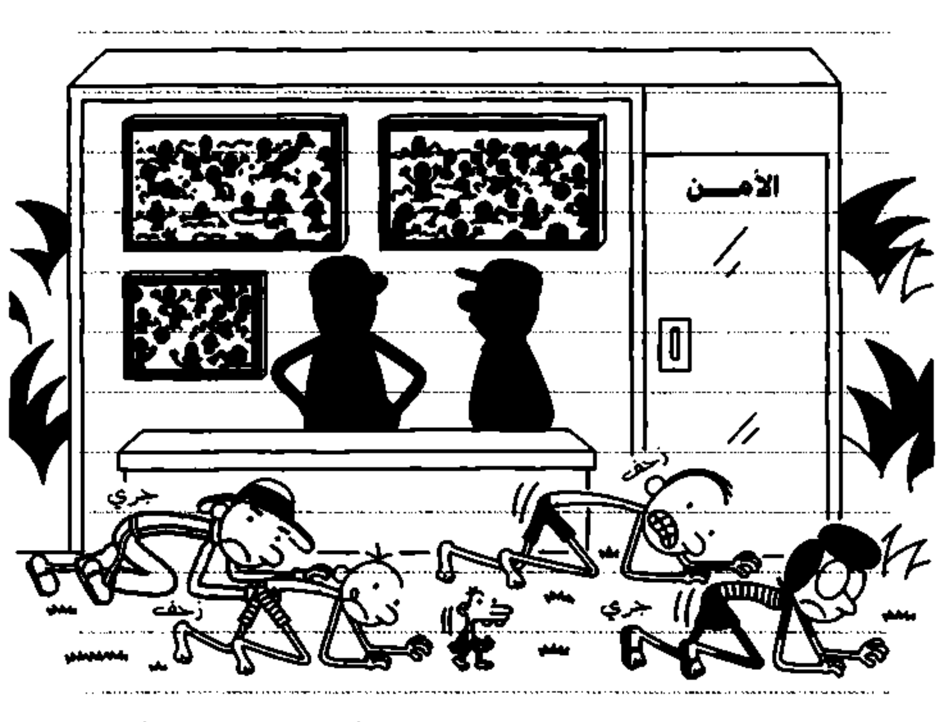
بدأت أسمع الحراس وهم يتحدثون باللاسلكي من الجانب الآخر من الأشجار، وعرفت أنها مسألة ثوانٍ قبل أن يعثروا عليَّ.

حاولت أن أتسلق الجدار، لكنني لم أستطع أن أجد موطئ قدم فيه. ثم رأيت رودريك يطل برأسه من الأعلى. مد لي يده وقفزت لأمسك بها. ثم بدأ يرفعني حتى ظننت أنني نجوتُ فعلاً.

فجأة، زحف عنكبوت بسبعة أرجل من ثوب الاستحمام الذي يرتديه رودريك على ذراعي، فأفلتُّ يده.

حين وقعتُ على الأرض، ظننت أنه قضي علي.
في تلك اللحظة، انهار القسم من الجدار الذي كنت
أحاول تسلقه. ولحسن حظي، لم أُسحق تحت أقدام
جمهرة الناس الذين تدفقوا من القسم الساكن.

استفدنا من حالة الفوضى وخرجنا. كان ثمة محطة أمنية عند طرف المنتجع. وما كنا لننجح في اجتيازها لولا الجنون الذي عم مسبح القسم الساخن.



ما إن خرجنا من المنتجع، حتى أوقفنا سيارة أجرة وطلبنا من السائق اصطحابنا إلى المطار.

مررنا ببعض المطبات الهوائية في رحلة العودة، لكن بعد كل ما عانيناه في رحلتنا، لم يعد يخيفني بعض الهواء العاصف.

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

الأحد

مرّت بضعة أيام على عودتنا، وبدأت أمي تعمل على ألبوم الصور التي يظن من يراها أننا أمضينا وقتاً ممتعاً.

غير أننا قضينا تماماً على أي فرصة للعودة إلى ذاك المنتجع. فحين دخلت إلى الموقع لأري راولي أين أمضينا عطلتنا، وجدت صورة كبيرة لأسرتي على صفحتهم الرئيسية.

ومع أنني لم أستطع قراءة ما كُتب فيها، غير أنني فهمت الفكرة العامة.



تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

شكر

شكراً لكل محبي سلسلة «مذكرات طالب» لأنهم ألهموني وحفزوني على كتابة هذه الحكايات. شكراً لكل أصحاب المكتبات لأنهم وضعوا كتبي في متناول الأولاد.

شكراً لأفراد عائلتي على كل الحب والدعم. أمتعني فعلاً مشاركتكم هذه التجربة.

شكراً لكل الزملاء في «منشورات أبرامز» لأنهم عملوا بكدّ لإصدار هذا الكتاب. شكراً خاصاً لرئيس التحرير تشارلي كوشمان، والناشر جايسون ويلز، ومدير التحرير سكوت أويرباش.

شكراً لكل شخص في هوليوود عمل بكدّ لإنجاح شخصية غريغ هيفلي؛ ولاسيما نينا، وبراد، وكارلا، وريلي، واليزابيت، وثور. وشكراً لكما سيلفي وكيث على مساعدتكما وإرشادكما.

الكاتب

جيف كيني هو أحد المؤلفين الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز، وقد فاز ست مرات بجائزة الكتاب المفضل للأولاد من نيكلوديون. كما تمت تسمية جيف واحداً من أكثر الشخصيات المئة المؤثرين في العالم على لائحة مجلة تايمز. وهو منشئ موقع بوبتروبيكا Poptropica الذي اختارته مجلة تايم كواحد من أفضل خمسين موقع انترنت. قضى طفولته في واشنطن، العاصمة، ثم انتقل إلى نيوإنغلند في العام 1995. وهو يعيش حاليًا مع زوجته وولديه في ماساتشوستس حيث يملكون مكتبة تدعى An Unlikely Story.



صدر من هذه السلسلة







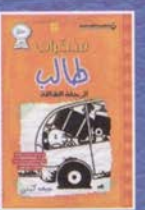






















الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com



ISBN: 978-614-01-2610-7
9 786140 126107